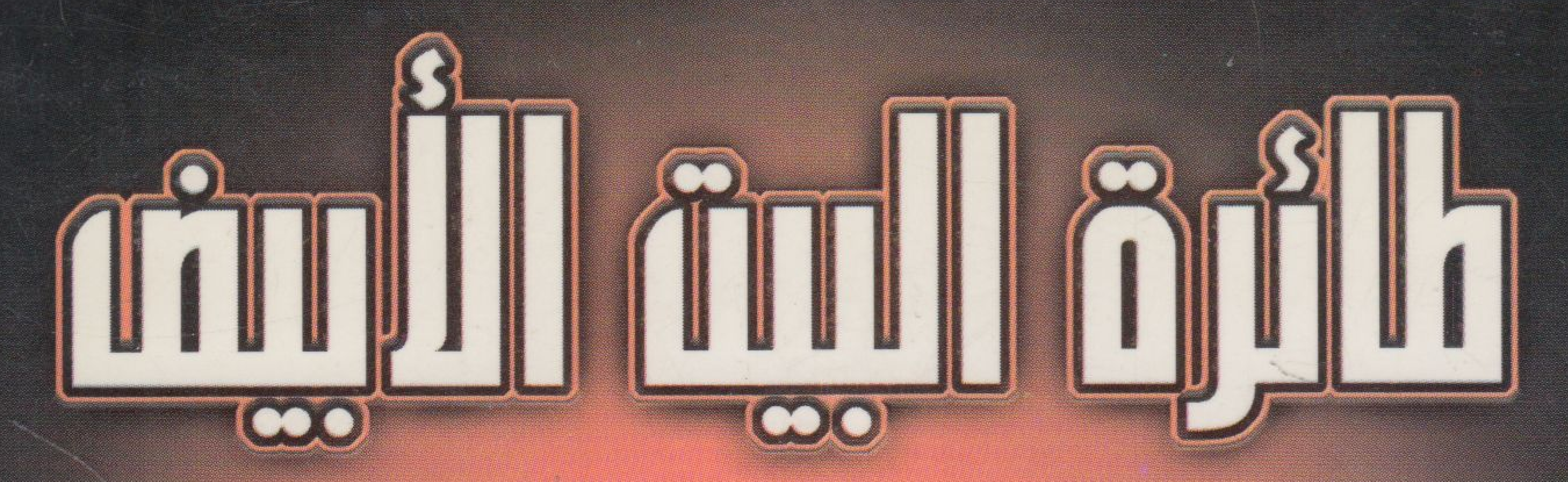


طائرة البيت الأبيض

اسرار وحكايات من داخل الطائرة الخاصة لرؤساء اميركا

تأليف: جيفرى تيرهوست

و رالف البرتارى

ترجمة: منير فوزى

AIRFORCE 1

H. Al ashker 2000

هلا للنشر والتوزيع

طائرة البيت الأبيض

الكتاب :طائرة البيت الأبيض
ترجمة وإعداد : منير فوزي
الناشر : هلا للنشر والتوزيع
٦ ش الدكتور حجازي - الصحفيين - الجيزة
تليفون : /٣٠٤١٤٢١ / تلفاكس : ٣٤٤٩١٣٩
رقم الأيداع : ١٧٩٧٩ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولي : **8 - 46 - 5784 - 977**
التجهيز والطبع : مطابع سامح
٧٤&٥٣١ عمارات السعوديه - الزيتون - القاهرة
تليفون : **٤٥٤٤٦٠٩** - تلفاكس :**٤٥٣٥٩٦١**
الطبعه الأولي
١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م

الغلاف للفنان : هاني الأشقر

طائرة البيت الأبيض

تأليف : جيفري تيرهوست
ورالف البرتازي
ترجمة وإعداد : منير فوزي

الناشر



محتويات الكتاب

مقدمة

تقدم دار هالة للنشر هذا الكتاب للقارئ العربى لأنه يتنـــاول موضوعاً جديداً على المكتبة العربية عموماً : ماذا يحدث على متــن طائرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة. إلى أى مدى تختلف هـــذه الطائرة التى تحمل شخصية بهذه الخطورة.

هذا الكتاب ألفه اثنان من الطيـــارين الممـــيزين: جيفـــرى تيرهوست ورالف البرتازى. الأخير هو صاحب الإسهام الأكبر فـــى سرد ما كان يحدث على طائرة الرئيس الـــــ Air force one ، وهو كبير الطيارين والمسئول كقائد عن كل ما يتعلق بـــــها. ومـــن موقعه شاهد أحداثاً جساماً وأحداثاً طريفة، ونماذج بشرية متعـــــددة على متن طائرة الرئاسة الأمريكية التى تجاوزت إمكانياتها مؤخـــراً مدى كان من الصعب تصوره فى السابق مـــن حيـــث الإمكانيـــات التكنولوجية ومستوى الرفاهية.

لكن ، فى النهاية ، ماذا تجدى الرفاهية والإمكانيات المذهلة لهذه القلعة الطائرة ، لرجل فقد منصبه وسلطاته ومكانتـــه ليتحـــول من رئيس دولة إلى رجل عادى مثل ريتشارد نيكسون. وماذا تجدى هذه الهالة التى تحيط بـــ Air force one لرئيس آخر فقد حياتـــه

نفسها. استقل الطائرة المرموقة وهو يفيض حيوية وإقبال على الحياة ، ليعود على متنها جثة هامدة يلفها علم دولته.

أن تجربة نيكسون ومأساة كينيدى ، وقسم ليندون جونسون الذى بمقتضاه تولى سلطات أخطر منصب فى أمريكا ، هى مجرد أمثلة لأحداث يصفها رالف البرتازى فى مسار خدمته كقائد لهذه الطائرة الفريدة والمميزة Air force one وهى جديرة بأن يطلع عليها القارئ العربى الذى نجاهد قدر المستطاع أن نلبى حاجته للمعرفة والمتعة. ونأمل فى النهاية أن نكون قد حققنا الغايتين: معرفة فيها عبرة وحكمة الأيام عندما تطلق حكمها على البشر عظماء أو بسطاء. ومتعة استعراض أحداث برغم أهميتها لا تخلو فى بعض جوانبها من طرافة.

الناشر

الفصل الأول

البيت الأبيض فوق السحاب

أو قصة Air force one

Air force 1 هى طـــائرة الرئاســة يســتخدمها رئيــس الولايات المتحدة فى تنقلاته سواء العادية أو الهامة ، وهى تحمـــل رقم مثل أى طائرة أخرى وهو 27000 – ٢٧٠٠٠ ولها بديل على نفس المستوى جاهز دائما : طائرة تحمل رقــم 26000 – ٢٦٠٠٠ طرازها فى وقت صدور هذا الكتاب بوينج ٧٠٧ إلا أنها تطـــورت الآن إلى بوينج ٧٤٧ جامبو وهى أكبر الطرازات المدنية.

مؤلفا الكتاب هما "تيدهورســـت" "والبيرتـــازى" ، كبـــيرى طيارى طائرة القوات الجويـــة رقــم (١) Air force 1 وهمـــا يستعرضان الأحداث الهامة والعادية التى وقعت على متن طــــائرة رئيس الولايات المتحدة : الأحداث الجسام والطريفـــة ، المحزنـــة والسارة والتى أثرت بالفعل فى حياة الأمريكيين ، وربمـــا العـــالم بأسره ، طائرة شبيهة بالمسرح الذى ضم مواقع انتصارات سياســية وشخصية ، كما ضم دموع وأحزان وإخفاقات ، وضـــم طرائــف أيضا مثلما يستعرض أى مسرح.

وهى طائرة بها نظام لا تحلم به أى طائرة أخرى فى العالم من الممكن أن تتصل ببكين أو موسكو أو حتى حجرة ابنتك فى البيت الأبيض ، وهى طائرة شهدت قرارات مصيرية ، كما شهدت مقالب يقوم بها طاقم موظفى الرئاسة مع بعضهم البعض ، وهى تحمل الروح الأمريكية وأسلوب حياة هذا الشعب . طاقمها يتم اختياره علي الفرازة وتكاليف حياتها لا يمكن لجهة أن تتحملها إلا وزارة الخزانة الأمريكية . سماها فرانكلين روزفلت "البقرة المقدسة" حتى يبهر بالاسم جوزيف ستالين أثناء سفريات روزفلت فى الحرب العالمية الثانية.

وكان لكل رئيس خصائصه على متن هذه الطائرة ، ليندون جونسون كان يتصرف كما لو كان قائد قلعة طائرة ، فارس يمتطى حصانا جامح . ريتشارد ينكسون لم يكن يدع لطاقم الطائرة وقت لأى تراخي في أداء مهامهم . جيمس كارتر كان يحلو له طلب مشتقات البرغل فى أى وقت.

إمكانيات الطائرة خرافية لا يحلم بها أى سلطان يستخدم بساطا سحريا . طائرة القوات الجوية الأمريكية رقم واحد عبارة عن قصر رئاسة يطير على ارتفاع أربعين ألف قدم. تحمل فى داخلها قراراتها تؤثر فى العالم كله .. الكتاب بالتالى هو تاريخ طائر للولايات المتحدة الأمريكية ... وغيرها.

ريتشارد نيكسون
وقرار استقالته

كان نومه متقطعا تلك الليلة ، استيقظ فى السادسة والنصف صباحا ... طيار طائرة الرئاسة لريتشارد نيكسون . ولم تكن فترة الصباح أسعد حالا سواء بما عرضته شاشات التليفزيون أو ما عرضته صفحات الـ "واشنطون بوست" تقارير جديدة عن قرارات غير سارة سيتخذها الرئيس في مقره بالبيت الأبيض. ساد اليوم ، ربما أكثر من الأمس ، ذلك الإحساس بتغيير قادم وبدوامة ستطوى أحداثا قلقة وحتمية تتجه إلى ذروتها بما يمس رئاسة نيكسون.

صدرت زفرة ، نفس بها الكولونيل رالف البيرتازى عما بداخله فلم يكن من السهل تقبل أن نيكسون يفكر حقيقة في التنازل عن الرئاسة . نيكسون العنيد ... يتنازل ؟ ! لا يتفق هذا مع شخصية نيكسون كما عرفها.

ألقى كولونيل البيرتازى نظرة سريعة على ساعة يده ، وكالمعتاد نظر إلى تاريخ اليوم : الثامن من أغسطس ١٩٧٤ يوم خميس . لكن كان عليه أن يتجه إلى مهام عمله . قبل زوجته كارول ، وقاد سيارته عبر المسافة القصيرة التى تفصل مقره فى قاعدة أندروز الجوية إلى مكتب كبير طيارى الرئاسة.

لعدة أيام تطايرت الإشاعات عن استقالة الرئيس وانتشرت كالنار في الهشيم عبر أروقة البيت الأبيض . قاعدة أندروز هي مقر أسطول طائرات الرئاسة . وكان استخدام نيكسون لمختلف طائراتها أكثر من معدل أي رئيس سابق في تاريخ هذا المبنى . إلا أن غياب أي تعليمات رسمية خاصة بتحرك الرئيس في ذلك اليوم. لم تدع لطاقم القيادة إلا خيارا واحدا وهو انصراف انتباههم اليقظ إلى ما يجري في حظيرة الطائرات التي تضم أساسا تلك البوينج العملاقة ٧٠٧ وقد تزين ذيلها برقم الطائرة الأولى لسلاح القوات الجوية وهو ٢٧٠٠٠ ، وبجوارها زميلتها الاحتياطي التي تحمل رقم ٢٦٠٠٠ . لم يتسنى لألبرتازي أن يعلم ما يزيد على ما عرضته الصحف ، في مجال رده على استفسارات واشنطون بوست ، خط اتصاله المباشر مع وزارة الدفاع يموج باستفسارات صادرة عن أعلى الرتب تتساءل بقلق عن تحركات محتملة لـ Air Force one لطائرة الرئاسة ، وأحيانا كانت تحمل تلك الاتصالات معلومات جديدة . إلا أن أهم خط : خط الاتصال الذي يربط البيت الأبيض بمقر كبير الطيارين ، وهو الخط الوحيد الذي يحمل تعليمات الرئيس ... ظل صامتاً.

خطا البيرنازى إلى مكتبه عبر سكرتيرته الرقيب كيم بروبلز التى قابلته بعينين مستطلعتين على أمل العثور على مؤشر لما يحدث . إلا أنه أومأ برأسه ودلف إلى مكتبه.

شعر بإحساس الفراغ والعجز . فهناك أشياء تحدث فى البيت الأبيض ليس بإمكانه لا معرفتها ولا بأثرها على مستقبله وطاقم القيادة المصاحب له . متى وكيف ستقع هذه الأحداث . إلا أنه أقنع نفسه أخيرا أن لا جدوى فى التنقل فى القاعدة بلا هدف .

فليعتبر هذا اليوم كأى يوم فى قاعدة أندروز : أى عليه أن يفحص الطائرة ويختبر مدى استعداد طاقمها ، وهو الإجراء الروتينى تحسبا لأى طلب من الرئاسة بالتحرك الفورى . قال لنفسه: اشغل نفسك بالعمل ، لكن بقى فى خلفية تفكيره ذلك التوتر والقلق لعدم تأكده بما يحدث بالبيت الأبيض . كان إحساسا مزعجا وكان يتزايد.

قبل التاسعة والنصف بقليل انتقل رتشارد نيكسون من مقر الرئاسة فى مبنى البيت الأبيض إلى المكتب البيضاوى الشهير لرئيس الدولة لم ينم ليلتها إلا فى وقت متأخر ، بقى مستيقظا حتى الساعة الثامنة والنصف صباحا . لثلاث ساعات فقط استطاع أن يخلد إلى النوم . قضى الليل بطوله فى صياغة ومراجعة الخطاب الذى سيوجهه للأمة كما أبلغ رئيس الاركان الكسندرهيج.

توقع هيج بالفعل أنْ سهر الرئيس سيكون لـــبهذا السـبب . وكان قد استدعاه نيكسون فى الليلة السابقة ليخبره أنه قد جمع أفـراد عائلته وأقنعهم أن السلوك السليم هو أن يقدم استقالته . لم يكن هناك أى منطق فى أنه ينتظر محاكمته قانونيا وانتظار طاحونـــة قـرار المحكمة بعزلة عن وظيفته . وافق هيج تماما على هـــذا الـــرأى . الآن وهو ينظر إليه وهو قابع خلف المكتب الرئاسى الفخم ، لم يكن نيكسون أمامه في هذه اللحظة بهذا القدر من الضعف . لكنه برغـــم ذلك بدا هادئا قدر استطاعته ومتماسكا.

أبلغ نيكسون هيج أنه لن يتلقى أية مكالمات تليفونية منذ هذه اللحظة . وفيما عدا زيارة قصيرة سيقوم بها لنائبه جيرالدفورد فـــهو سيكرس بقية اليوم للمراجعة النهائية لخطابه المحـــدد لـــه التاسـعة مساءا.

شعر هيج بإحساس بالراحة . انتـــهت أخـيرا أيـــام عـــدم الاستقرار والمعاناة الشديدة . انتهت مرحلة تأرجح الرئيـــس بيـــن التحدى وبين الاستسلام والاستقالة . وسعد بقرار نيكسون أنـــه لـــن يتلقى أية مكالمات تليفونية . ففى الليلة السابقة عانى هيج من إلحـاح رئيس الأركان السابق في رغبته للحديث مع نيكسون لطلب عفـــو رئاسى عن نشاطات هالدمان السابقة فى ووترجيت . وكان هيج قـد أبلغه بصراحة ووضوح أن نيكسون قـــد قـــرر عـــدم إصـــدار أى

قرارات عفو رئاسية لأى شخص . وبالمثل كان سلوك جون إيرلخمان الرجل الثانى سابقا فى هيئة رئاسة موظفى البيت الأبيض. وكان الرد هو نفس الرد.

فمع قرار نيكسون بمنع أى اتصال به أصبح فى مقدور هيج رفض الطلبات الملحة المتوقعة من هالدمان وايرلخمان . وقبل كل شيء كان هادئا. من المهم ألا يصدر أى تصرف من البيت الأبيض خلال الستة وثلاثون ساعة التالية قد يوحى بأن الرئيس يخطط لشيء آخر غير الاستقالة.

كان قرار الاستقالة مؤكدا وغير قابل للنقاش ، لكنه حتى الآن بقى سرا لا يعلمه العالم الخارجي ولا حتى العاملين فى البيت الأبيض عدا نفر قليل جدا من الموثوق بهم.

غادر هيج المكتب البيضاوى ليبدأ إجراءات نقل السلطة فى سلاسة ويسر . وكان قد أعد من قبل قائمة بالإجراءات الواجب اتباعها.

دق جرس التليفون حوالى العاشرة ، وكان موظف السويتش الخاص بالبنتاجون وكان الصوت للملازم بوب كليفورد بنقل أية احتياجات خاصة بالبيت الأبيض.

"يا رالف هذه مكالمة استطلاعية ، فقد تلقيت من المكتب الحربى فى البيت الأبيض لإعداد الطائرة C-141 كطائرة دعم لرحلة إلى إيل تورو ماذا يحدث بالله عليك".

"لا أعلم ن لكن بالتأكيد سأحاول أن أعرف" ووضع البرتازى سماعة التليفون وهو فى حالة استثارة . هناك شيئا ما يتم الإعداد له . لكن ماهو ؟

طراز الـ C-141 هو طراز لطائرة نقل ضخمة تم استخدامها مرارا لنقل المركبات ، واحتياجات البيت الأبيض ، وأفراد المخابرات وأطقم تأمين الرئاسة . وطائرة الهيوكوبرا طواز من الهليكوبتر ذات محركين من طراز Bell . وهى طائرة تدعيم رحلات احتياطية من النادر أن يستخدمها طاقم الرئاسة . صالونها الداخلى يتسع لستة أفراد ، ومع الضغط عند الحاجة تسعة ركاب . وقد استخدمها نيكسون فى رحلات الاستجمام إلى كاليفورنيا أو فلوريدا . أما شحن طائرة من هذا الطراز داخل داخل الـ C-141 العملاقة إنما يدل الآن على حاجة ملحة وطارئة ، فوجه الرحلة الآن هو القاعدة البحرية El Toro قرب سانت كليمنت . ترى ما هو هدف البيت الأبيض لإعداد رحلة هذه طبيعتها وعلى عجل ؟!

استخدم البرتازى جهاز اتصاله الداخلى لمخاطبة سيرجنت برويلز طالبا الاتصال ببيل جيلى أو الجنرال لوسون بالبيت

الأبيض. في العاشرة اتصل موظف السويتش بميلتون بيتس للاتصال بحلاق الرئيس سيتفن بيتز . كان بيتز ما زال بمنزله "الرئيس يريدك بالبيت الأبيض العاشرة والربع". وفي الميعاد وصل بيتز كما اعتاد استدعائه مرات سابقة على عجل لتسوية شعر الرئيس منذ ١٩٧٠ . استعد بمقعد الحلاقة الخاص بالدور الأرضي قبل لحظات من وصول الرئيس . وما كاد الرئيس يسترخي في الكرسي الوحيد لركن الحلاقة الخاص به ، حتى بدأ يشكر بيتز "لخدماته الجيدة في مهنته طوال هذه السنين" إنها نهاية فترة الرئاسة بالتأكيد .. هذا ما راود فكر بيتز. في الغالب هذه آخر مرة يقوم فيها بتسوية شعر الرئيس الكثيف المتموج . "كان العمل معكم مصدر سعادتي يا سيادة الرئيس" . وكان قد لاحظ من قبل زحف الشعيرات البيضاء في رأس الرئيس طوال الأربع أعوام الماضية.

وكالمعتاد كان معظم مفردات الحوار من قبل الرئيس : أخبر حلاقه أن سيظهر في التليفزيون هذا المساء . ووعد بالتردد على المحل العادى الخاص به في المدينة مستقبلا ، والكائن بفندق شيراتون كارلتون على بعد خطوات من البيت الأبيض . كانت يدا بيتز تعمل بسرعة وأنهى عمله ف اثنين وعشرين دقيقة ثم أسرع ليساعد نيكسون في ارتداء جاكتته . مد الرئيس يده مصافحا "وداعا يابيتز" وعند الباب استدار نيكسون ليضيف "بلغ سلامى للسيدة بيتز"

لم يستطع البرتازى الوصول إلى أى معلومة بعد اتصالــــه بالمركز الحربى بالبيت الأبيض . "لا نعلم حقيقة ما يحــــدث" كمـا أبلغه الجنرال لوسون . كان لوسون فى الحقيقة مراوغــا إذ كــان يعرف كل شىء ولم يشأ أن يفضى بأى شىء خارج نطــاق البيــت الأبيض.

شعر البرتازى بأن لوسون يجد متعة فى جعله فـــى حالــة حيرة وعدم تأكد فمنذ عام مضى كـــانت هنــاك شــائعات بترقيــة البرتازى لموقع المساعد الحربى لرئيس الجمهورية . وقــد سـألـه الكسندر هيج إذا كان لديه الرغبة فى هذا المنصب كما ألــح عليــه رون زيجلر سكرتير الرئيس لقبول المنصـــب . إلا أن البرتــازى شعر أن ليس باستطاعته تحمل مسئوليات هذا المنصب إلى جـــانب مسئولية قيادة طائرة الرئيس . إلا أن المنصب كان يمثل أملا لكــل عسكرى . توقف ترشيحه . وفيما بعد شغل لوســـون المنصـــب . وبدأت بالتالى العلاقات تسوء بين المركز الحربى ومسئول الوحـــدة الجوية الخاصة بقاعدة أندروز الجوية . وهى القاعدة المنـــوط بـــها أساسا صيانة وإمداد وتموين ، وأمـــن وســلامة ن وكــل المــهام الإدارية للأسطول الجوى الخاص بالــ VIP الشــخصيات الفائقــة الأهمية ، بما فيها طائرة الرئيس نفسه . وواجه لوسون النقد لتعمــده إخفاء تفاصيل رحلات الرئاسة لآخــر وقــت ممكــن . بالإضافــة

لإدخال تعقيدات روتينية وإدارية على أطقم القيادة وبعض القيود التى لا حاجة عملية لها فى الواقع.

لم يذكر البرتازى فى اتصالاته الأخيره أنه يعلم أن هناك هليكوبتر سيتم شحنها غربا إلى كاليفورنيا ، إذ أن لوسون فى موقعه بالمركز الحربى بالبيت الأبيض لم يكن ليرحب بتبادل أية معلومات بشكل مباشر مع طيارى الرئاسة دون المرور عليه.

إن إعداد طائرة بضخامة C-141 وإعدادها لشحن هليكوبتر على وجه السرعة ، كان أمرا يتجاوز مثل هذه الحسابات، فما لبث البرتازى أن تلقى مكالمات من الوحدات المساعدة لطائرة الرئيس رقم واحد Air Force 1 بالقاعدة البحرية بمدينة إيل تورو ، وهى قاعدة العمليات لأى رحلة كان الرئيس يقوم بها فى الماضى لولاية كاليفورنيا للتوجه للفيلا الخاصة به على شاطئ البحر . وبالمثل وصلت البرتازى مكالمات لها أهمية أولى من قاعدة مماثلة بفلوريدا ، حيث منزل نيكسون ومنتجعه فى خليج كى بسكاين.

كان رد البرتازى متحفظا : لم أتلقى أية معلومات رسمة من البيت الأبيض حتى الآن . ماذا لديكم أنتم من معلومات ؟ لكن على أية حال كان هناك مهام يتعين عليه القيام بها فنقل الهليكوبتر كان له دلالة لا يمكن تجاهلها . حتى لو تعمد لوسون الصمت . بالتالى تنبه على مساعد البرتازى الكولونيل ليستر ماكليلاند وكبير

الملاحين الكولونيل ماكون بالاستعداد "لم أتلقى أى تكليف رسمى بمهمة ، لكن هناك شيء ما سيتم الإعداد له" كما أوضح لهما البرتازى.

من ناحية أخرى ، قضى نائب الرئيس جيرالدفورد ساعات الصباح فى مهام متتالية . ففى مقره الذى لا يفصله عن البيت الأبيض إلا شارع واحد انهمك منذ العاشرة والربع فى تقليد نياشين لممثل عائلات سبعة من أفراد القوات المسلحة لقوا حتفهم فى حرب فيتنام وبالطبع تسبب تزاحم الجمهور الذى شاهد الحفل فى اختناق مرورى بسيط وما أن عاد فورد إلى مقره حتى وجد فى انتظاره الكسندر هيج برسالة تدعوه للتوجه لمقابلة الرئيس على الفور وفى الحادية عشر ودقيقة دخل فورد المكتب البيضاوى ليجد نيكسون مائلا بظهر مقعده الرئاسى . بدأ الحوار بكلام دردشة عادية كالمعتاد ، قطع توتر الموقف بالنسبة لفورد ، دخول مصور البيت الأبيض لإلتقاط صورة للرئيس ونائبه من أجل الأجيال القادمة . التقط المصور عدة لقطات للرجلين معا . فورد وهو جالس على المقعد المذهب مواجه للرئيس كل متجه للآخر مستندا مبرفقيه على المكتب البيضاوى ومصافحا للآخر.

استمر حديث الرجلين لمدة ساعة ، لم يتطرق كثيرا للماضى متفاديا ما أمكن موضوع ووترجيت ، وانصب على

المستقبل وآمالهما للحكومة والأمـــة . وأخـيرا تطــرق نيكســون للموضوع الأساسى كما أبلغ هيج فورد قبل اللقاء . سيرسل الرئيس بخطاب استقالته صبيحة اليوم التالى لوزير الخارجية وفــق نــص القانون . وتصبح الاستقالة سارية الموضوع عند تســـلم كيســنجر للرسالة . حينئذ سيصبح موقع رئيس الجمهورية شاغرا ليتقدم نـائب الرئيس ليقسم القسم المعتاد لتولى رئاسة البلاد . وكخليفة لنيكسون.

"أنا أعلم يا جيرالد أنك ستقوم بعملك الرئاسي علـــى خـير وجه" قال نيكسون وهو يصافح فورد بقوة وتأثر فى لحظة عاطفيـة. إلا أن الوجوه بقيت ملامحها متماسكة . ثم أرخى نيكسون قبضتـــه ليغادر فورد المكتب.

من ناحية أخرى بقى البرتازى فى قاعدة أندروز الجوية مع طاقم العمل قريبين من الهاتف فى انتظار معلومات قاطعة . وكـانت أجهزة الإعلام قد أذاعت استدعاء نيكسون لجيرالد فورد فى مكتبـه. لكن فيما عدا ذلك بقى مضمون اللقاء مجرد تكـهنات مـن رجـال الإعلام . أما زيجلر السكرتير الصحفى فلم يصــرح بـأى شــىء للصحافة.

حتى الآن لم يتلقى البرتازى من المركز العسكرى بـــالبيت الأبيض أية مكالمات . ولا مكالمات بالمثل مــن البنتــاجون بينمـا انهمك أطقم القاعدة فى شحن الهليكوبتر داخل الـــ C-141 للرحلـة

"السرية" إلى كاليفورنيا . فيما عدا هذه الرحلة المؤكدة بقيت كافة المعلومات الأخرى ... مجرد تكهنات.

ولم يجد البرنازى بدا فى النهاية من أن يخفف على طاقمه من واجباتهم الروتينية العادية منعا للإجهاد والملل . فاحتجز الحد الأدنى من رجال طاقمه وطلب من الباقى التوجه إلى منازلهم للراحة ، لكن بجوار التليفون لأى استدعاء . كانت إثارة أحداث اليوم قد أصابت الجميع . وأصبح بالتالى العمل الروتينى العادى لا معنى له.

فى تمام الثانية عشرة ظهراً طلب هيج من مسئول المراسلات الرئاسية بوقف العمل بالآلة التى تحمل التوقيع الخاص بالرئيس والتى تختم جميع المراسلات الصادرة عنه . فبعد خمسة أعوام ونصف تم وقف العمل بهذه الآلة التى توقع جميع مراسلات الفاكسيملى الصادرة عن البيت الأبيض . منذ هذه اللحظة فإية مكاتبات ، وكان هيج يعرف أنها ستكون قليلة ، يجب أن يوقعها ريتشارد نيكسون بنفسه. وكما ذكر الصحفيان وودوارد وبرنشتاين فى كتابهما "الأيام الأخيرة" فقد ذاعت الأخبار بسرعة عما يحدث . أولئك المخلصون لنيكسون والذين آمنو به أصابتهم الدهشة وأخذوا بما حدث.

بعد الثانية عشرة بتسع عشر دقيقة ، دخل زيجلر السكرتير الصحفى قاعة الصحافة بالبيت الأبيض تتبعه شاشات التليفزيون ، وقطيع من مراسلى الصحف . وفى لهجة حاول أن يبدو بها متماسكا صرح : "سيوجه الرئيس فى تمام التاسعة مساءا وفق التوقيت الشرقى للولايات المتحدة ، خطابا مذاعا بالراديو والتليفزيون من مكتبة البيضاوى" سمع بالطبع البرتازى تصريح زيجلر عبر وسائل للإعلام . أنهى هذا التصريح موقف واحد ، أن الرئيس لن يغادر واشنطون إلى أى مكان حتى وقت إلقاء خطابه . وحتى بعد ذلك فمن المعروف أن نيكسون كان يكره السفر ليلا . ونادرا ما كان يقوم برحلة فى هذا التوقيت خاصة من البيت الأبيض.

إلا أن حديث الرئيس للأمة له وضع خاص ومتعلق بعد ذلك بالسفر بلا ريب . البرتازى من ناحية أخرى مثل سائر الأمريكيين لم يكن يعلم ماذا سيكون مضمون خطاب نيكسون الليلة. كان يخمن ، مثل كافة وسائل الإعلام أن الحديث سينصب على الاستقالة ، فخطر بباله الاتصال مرة أخرى بالمركز الحربى بالرئاسة ، إلا أنه عاد وفكر أن كل ما سيظفر به كلام مايع من الجنرال لوسون ورفاقه . فقال لنفسه ... تبا لهم جميعا . من الأفضل أن ننتظر ونرى.

والانتظار كان هو العامل المشترك لجميع العاملين بـالبيت الأبيض تحول الموقف كله إلى قلق وتوتر ، بينمـا كتـاب خطـب الرئيس أرسلوا فى طلب ستة صناديق من علب البيزة ، وظـهرت زجاجات الويسكى والبيربون فى أجنحة المحامين . وطـوال فـترة بعد الظهر كان المرء لا يرى سوى أناس تذهـب وتجـيء وفـى أياديهم أكواب البلاستيك المملوءة من هذا أو ذاك.

وكما سجل الموقف الصحفيان وود داود وبرنشتين . كـان الجو مفعماً بعواطف شتى ، وبأحساس بقرب الناس مـن بعضـهم البعض . إذ كان يضمهم موقف واحد . كان أمراً عاديـاً أن تجـد أناسا تتعانق أو تتصافح بعضها البعض فى مـودة . أحيانـا كـان سلوكهم يتسم بالخفة ، بينما ضمت قاعة الطعام أعدادا من الوجبـات المكسيكية ، فقد كان اليوم هو يوم الخميس المخصص لمثـل هـذه الوجبات.

وفى الجناح الشرقى الذى ضم المركز الحربـى ، انسـاب الويسكى بغزارة . هناك زجاجات وجرادل من الثلـج المجـروش على المكاتب حتي كولونيل بريئان كان موجـودا برغـم راحتـه الأسبوعية . وكان الجميع يشربون بغزارة.

أخيرا رن جرس التليفون فى مكتب البرتازى . جاء صـوت كيم برويلز مسئول الاتصالات "الجنرال لوسون سيحدثك ياسـيدى"

كان صوت لوسون خشنا لكن ضعيف إلى حـــد بعيــد "الديــك ١٠ تحركات إقلاع إلى القاعدة EL tORO غــدا ، ســيوفيك جــالى بالتفاصيل فيما بعد ".

بحكم العادة سأل البرتازى "كم شخص فى كاليفورنيا؟" "إنـك لن تبقى فى كاليفورنيا إنها مجرد محطة ، الرئيس سيعلن اســتقالته الليلة".

أراح البرتازى سماعة التليفون . إذن وأخيرا الخبر حقيقــة انتهى كل شيء بالنسبة لنيكسون إذن . أول اســتقالة فــي تــاريخ الولايات المتحدة الأمريكية . غدا ستشهد أميركا رئيساً جديدا . غـدا ستحمل Air Forc 1 الحاكم القديم كما لو كانت رحلـــة وداع فــي جنازة صامتة.

إلا أن البرتازى ، وبصورة أوتوماتيكية التقط قائمة بالمنوط بهم القيام بالرحلة لإبلاغهم فورا ، كما اعتاد فى أية رحلة رئاسية . وتم إبلاغ كافة الوكالات الرسمية من مخابرات وأمن وخلافه لمسار الرحلة . وتم الاتصال بطاقم الـــ Air Force 1 وظـــل البرتـــازى يعمل نشاط وبخفة من مكتبه . كل شيء تم بإحكام ودون تعقيد . لــم يأت ذكر الاستقالة فى اتصالاته ، لأن الاستقالة لا علاقة مباشـــرة لها بعمل الفنيين المهنى والمحترف.

وبنهاية اتصالاته ، اتصل تليفونيا بزوجته كارول ، ثم توجه إلى منزله للاستماع إلى خطاب الرئيس.

كان يوم الجمعة ٩ أعسطس حاراً ورطبا . وفى تمام الثامنة اخترقت أشعة الشمس البرتقالية بصعوبة الشبورة العالقة بالجو ، انزلقت هذه الأشعة على تمثال واشنطون ، بينما مضى الكسندر هيج عبر حديقة الزهور ليدلف إلى الجناح الشرقى بالبيت الأبيض . استقل المصعد إلى مقر إقامة عائلة نيكسون حيث وجد الرئيس في كامل ردائه منتظرا فى صالة لينكولن . مر نيكسون بناظرية على الورقة التى يحملها هيج والتى قدمها إليه ثم قام بالتوقيع عليها في نهاية خطاب الاستقالة الموجز والذى سيتم إرساله في وقت لاحق فى نفس اليوم إلى هنرى كيسنجر وزير الخارجية:

"عزيزى وزير الخارجية ......

لقد قررت بمقتضى هذا المكتوب الاستقالة من رئاسة الولايات المتحدة".

وكان هذا التوقيع هو آخر عمل رسمى يقوم به نيكسون بصفته رئيسا.

بعد الثامنة بقليل كانت طائرة الرئيس الضخمة على وشك الاستعداد . وإن كان من الناحية الفنية إعدادها قد بدأ من السادسة

صباحاً ، لرحلتها المقرر لها الساعة العاشـــرة وخـــلال الســـاعتين المتبقيتين على بداية الرحلة.

قام البرتازى بتجميع طاقم الطائرة بمكتبه لمراجعة خطـوات الرحلة للمرة الأخيرة ، فى محاولة منــــه أن تكــون آخــر رحلـــة لنيكسون تتم بصورة مثالية كما اعتاد أن تكون.

أعد السيرجنت برويلز كمية من القـــهوة تكفـــى الجميـــع ، وجهاز الاستقبال مفتوح لكنه بصوت خفيف فى الخلفية لتلقـــى أيـــة تعليمات نهائية جديدة . بدأ أفراد الطاقم مراجعة إجراءات كل واحـد فى هذه المهمة . راجع خط سير الرحلة كل من الطيـــار المســـاعد ماكليلاند والملاح دون ماكوف ، وقاما بإعادة فحص التنبوء الجـوى لخط سير الرحلة مع كابتن البرتازى ، وكان قد تم التنسيق بـــالفعل مع جميع وحدات المراقبة الجوية المعنية فى قاعدة أنـــدروز بـــرج المراقبة ، ووحدة اقتراب واشنطون ، وقيادة القوات المســـلحة فـــى الموقع المختص ، وكذلك الموقع الموازى لــــه والخـــاص بتـــأمين رحلات الشخصيات فائقة الأهمية VIPS.

وكان ماكوف ، وبسبب تقرير طبى يفيد بإصابته بالتـــــهاب فى الأذن قد منع من الاشتراك فى الرحلة مما أثار لديـــه إحساســـا بالحزن، أرسل البرتازى ماكليلاند وماكوف إلى مركـــــز عمليـــات قاعدة أندروز الجوية لملء بيانات برنامج الرحلة (نقـــاط مســـارها)

"تأكدوا أن ضابط الترحيل على وعى بأننا فى حالة انتظار مكالمــــة تفيد بالوقت الفعلى للإقلاع وأى تغيير فى حروف نداء الطائرة".

وكان هذا التغير هو الاستثناء الوحيد فى هذا الرحلـــة فقــد علم البرتازى أنه فى الثانية عشرة ظهرا تقريبا ، سيقســـم جـيرالد فورد بتحمله مسئولية رئاسة الولايات المتحدة فــــى حفـل بـــالبيت الأبيض . وبالتالى من سيستقل الطائرة معهم لن يكـــون نيكســون رئيس أمريكا ، بل المواطن ريتشارد نيكسون بالتـــالى لــن تكــون حروف نداء الطائرة "طائرة القوات الجوية رقم واحد Air Force1 لكن اسمها الحقيقى وهو سام ٢٧٠٠٠ / SAM 27000 .

توقع البرتازى هذا التغيير عند طيرانهم فوق ميسورى فــى اتجاههم غربا ، ومن ثم أبلغ هذه المعلومة لمراقبة منطقة كانساس ، ورئاسة الدفاع الجوى ، ووكالـــة الطـيران المركزيـــة الفيدراليـــة ومركز قيادة القوات المسلحة . كان هذا إجـــراءا ضروريـــا فـــى ظروف العصر النووى واستعداداته ، أى أن يتم نقل السلطة للقـــائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية إلى خليفته بكل دقـــة فـــى كـل تفاصيله.

حوالى التاسعة أخذ نيكسون وزوجته طريقهما إلى الصالـــة المتسعة والبعيدة عن ضوء الشمس فـــى الجـانب الغربـــى للبيـت الأبيض وكان كبير الطهاة هنرى هـــالز ، وفتيـات وجارسـونات

الخدمة قد تجمعوا بواسطة مدير المطعم آشرركسى سكوتن ، لتحية الرئيس نيكسون وزوجته قبل مغادرتهما.

حاول الرئيس أن يكون ودوداً ، فشكرهم على جميل عنايتهم بعائلته طوال فترة الرئاسة . فبرغم أنه فى دول أخرى ربما كانت ميزانية الطعام أضخم وفي قصور أفخم وبأعداد عاملين أكثر ، إلا أنه فى النهاية من دواعى الفخر العمل فى البيت الأبيض، وأضاف نيكسون أنه متأكد أن فورد وعائلته سيلقون نفس الرعاية.

ثم توجه نيكسون إلى أفراد وأطقم خدمة الطعام وصافحهم الواحد تلو الآخر مضيفا بكلمة مجاملة لكل فرد قبل الوداع.

وقبل التاسعة بقليل تلقى البرتازى مكالمة تليفونية . كان جاللى مرة أخرى يبلغه أن نيكسون يرغب فى إقلاع "مغلق" أى بعيد عن وداع الجمهور الذى يجب عدم تشجيعه على الدخول فى قاعدة أندروز . لن تكون هناك التغطية الصحفية المعتادة لهذه الرحلة من القاعدة المذكورة ، ولا إجراءات احتفالية لتوديع الرئيس المستقيل ، عندما يستقل الطائرة.

لم يشأ البرتازى أن يبلغ جاللى بما كان يعلمه مسبقا ، وهو أنه لم يتم إعداد أى احتفال كبير لوداع نيكسون ، وأنه لن يشهد

إقلاع طائرته إلا أسر العاملين بالقاعدة ، وفقط المسافرين من صالة المغادرة من العسكريين بالقاعدة.

في الدور السفلي بالجناح الشرقي تقاطر العاملون بالبيت الأبيض منذ وقت مبكر . وعند دخول نيكسون لم يكن هناك موضع لقدم . وأطلقت جوقة البحرية نشيد "فليحيا الزعيم" ، تبع نيكسون زوجته وجولي ودافيد إيزنهاور وتريشيا إدوارد كوكس . وبعد أن هدأ التصفيق قليلا تقدم نيكسون إلى الميكروفون ليخاطب أولئك الذين عملوا معه بإخلاص طوال السنوات الماضية . كان الخطاب طبيعيا وتلقائيا . تحدث عن أمه ووالده أيام صباه الأولى في كاليفورنيا ، وسنواته الخمس ونصف بالبيت الأبيض . إلا أنه الآن قد حانت بالفعل ساعة الوداع .

تهدج صوت نيكسون بالعاطفة ، وتنفس بشكل يدل على انفعاله ، بينما كان صوت شهيق الكثيرين مسموعا أثناء بكائهم في صوت خفيض ، وبينما عدسات التليفزيون مسلطة عليهم ، تسائل هل سيضعف الرئيس ويطلق العنان لدموعه ، إلا أنه أخذ نفسا عميقا وتمكن في النهاية من السيطرة على نبرات صوته ومضى إلى نهاية خطابه للموجودين "والأن نحن نمضى للحظة وداع مفعمة بآمال كبار ، وبروح عالية ، وبإحساس بالعرفان ... ".

تبعت كاميرات التلفزيون نيكسون إلى أن خرج من الحجرة، وكان في الواقع قد خرج من مجال الرئاسة كله.

كان البرتازى مستعدا للتوجه إلى طائرته في التاسعة والربع ، فألقى بنظرة أخيرة في المرآة المستطيلة بمكتبه للتأكد من هيئته وملابسه العسكرية في هذا الموقف الهام . حذاءه لامع وكذلك النجوم التى تزين حلته الزرقاء الداكنة . وكذلك النجوم الصغيرة المثبتة في ياقة قميصه المشدودة ، وضع قبعته المزينة بشعاره العسكرى فوق رأسه ، والتقط حقيبته السامسونيت من فوق مكتبه وتوجه إلى الخارج.

ألقى التحية المعتادة على سكرتيرته ، التى أجابته بتمنياتها الطيبة برحلة موفقة .. كانت المسافة من مكتبه إلى طائرة القوات الجوية رقم واحد ، حوالى ٨٠٠ ياردة قطعها في أربع دقائق بالخطوة المنتظمة . السماء صحو وبلا سحب تقريبا . من الواضح أنه أحد أيام أغسطس الحارة . وهو يطوف حول مبنى الركاب بالقاعدة ، شاهد جمع من النظارة في دور أعلى يحيط سور دائرى يطل على منطقة انتظار الطائرات ، وعند رؤيته حياه رجل البوليس الحربى وزميله من رجال أمن القاعدة.

اتجه البرتازى رأسا إلى الطائرة ، وجناحاها المطلوان بالطلاء الجديد يعكسان أشعة الشمس ، وكان يشعر بنظرات

الواقفين خلف السور تتبعه . لقد سار من قبل نفس المسافة مئات المرات ، إلا انه هذه المرة شعر بالعيون تتبعه .

حياه سارجنت جولويز قائد حرس الطائرة ن حين اقترب من السلم المفضى إلى كابينة القيادة ، وسلمه البرتازى قائمة رسمية بالأشخاص المسموح لهم بالصعود إلى الطائرة الذى ابلغه أن بعض هؤلاء قد صعد إلى متن الطائرة بالفعل بعد إتمام إجراءات الأمن المعتادة ، فوافق البرتازى بالتالى على تواجدهم وصعد سلم الطائرة، حيث كولونيل لى مكليلاند قد سبقه إلى الكابينة ، ومهندس الرحلة جو تشابيل ودانى دانيلز اللذان انهمكا فى تغذية الحاسب الآلى لعمليات الرحلة بالمعلومات المطلوبة ، من نقاط تقارير جوية ونقاط الانتقال من منطقة مراقبة أرضية إلى أخرى .

تناول تشابيل حقيبة البرتازى ووضعها فى مكانها المعتاد على يسار مقعد الكابينة . وأخذ فى تثبيت ووضعها فى مكانها المعتاد على يسار مقعد الكابينة , وأخذ فى تثبيت سماعتى الاستقبال في جانبى الحقيبة . ولاحظ البرتازى إن خرائط الاقتراب الرادار عبر مسار الرحلة مثبته بالفعل أمام عجلة القيادة والخرائط الملاحية قد تم نشرها جاهزة لإطلاع الكابتن بالقرب من جانبه الأيسر بالكابينة . وتم بالفعل حساب كافة المعلومات الضرورية لعملية الإقلاع والهبوط وإدخالها فى الكومبيوتر ، وأن تشابيل قد قام

بعملية إعادة التأكد من كل معلومة قبل إدخالها دائما كان البرتـــازى فخورا بطاقمه المعاون ، إذ إن اختارهم فردا فردا بنفســـــه ، وتــم تهيئتهم لدخول فى طاقم قيادة متجانس على أعلــــى مســتوى مــن الحرفية ودقة العمل كطيارين وأطقم قيادة كـــانوا بـــالفعل أفضــل عناصر القوات الجوية على الإطلاق ودائما ما كانوا بأدائهم موضع فخر بالنسبة له .

بعد أن تأكد أن كل شئ يسير فى مجراه الطبيعــــى بيســر وسلامة فى كابينة القيادة ، اتجه البرتازى لتفقد بقية جوانب الطائرة

كان كبير المضيفين تشارلز بالمر ، وزميله تـــيرى يامـــادا يعدان الطعام فى القاعة المخصصة للعائلة الأولى فى أمريكا " مــاذا اعدد تم للغذاء ؟ سأل البرتازى

" روزبيف يا سيدى ... "

وعبر الممر المفضى إلى الصالون كانت البرقيات الكاتبـــة الأوتوماتيكية تعمل بنشاط واضح ، بينما سيرجنت فـــالكنبيرج وراى جونسون مشغولان وقد وضعـــا ســماعتى الميكروفونـــات فـــوق رأسهما، بإعداد معلومات الطيار الآلى ، وإرسال واستقبال الرســائل التليفونية والمساعدات الملاحية ونظم الاتصالات الجـــو أرضيــــة ، وعند مرور البرتازى قال جونسون أن الرئيس مازال يوجه رســالته التليفزيونية إلى الأمة من مقر الرئاسة.

كان جناح نيكسون فى الطائرة قد أعد حسب ذوق الرئيس وشمل على ثلاثة حجرات شبيهة بصالونات القطارات الفخمة الغرفة الأولى للرئيس ، تلينها الثانية للسيدة الأولى ن وأخيرا قاعة فى المؤخرة تصلح لعقد اجتماعات والحجرات الثلاثة يضمهم جناح يمكن فصله عن بقية صالون الطائرة بستارة تضمن الخصوصية لمن بالداخل .

كان الباب المؤدى إلى حجرة الرئيس مفتوح ، وهو باب مزين للونين الذهبى والأزرق (ألوان الرئاسة) ، دلف البرتازى على الداخل ليطمئن على إعداد الحجرة لاستقبال نيكسون . وجد كل شئ على ما يرام . المقعد ثم تلميعه ، البلوكنوت على المكتب ، البايب الخاص بالرئيس فى مكانه مع نوعية الطباق الذى يستخدمه نيكسون أحيانا . كان مقعد الرئاسة من الجلد الداكن يواجهه على جانب المكتب مقعد جلدى آخر وكلا المقعدين يمكن تحريك ظهرهما وإدارتهما فى أية اتجاه يبغيه الجالس . وبالرغم أن نيكسون نادرا ما كان يدعو أكثر من مسئول واحد للاجتماع به فى مكتبه بالطائرة إلا أن حجرة المكتب كانت مزوده بأريكة تسع ثلاث أشخاص . وهى أريكة ، مثيله لتلك فى حجرة السيدة الأولى ، يمكن تعديلها لتصبح سرير للاسترخاء ، ولا يذكر البرتازى أن الرئيس قد استخدمها إلا نادرا لفترة قصيرة . ونادرا أيضا ما كان

نيكسون يستخدم طائرته الرئاسية في رحلات بعيدة ، كـان يفضـل التوقف في بلده للمبيت ، ثم يستأنف مساره صبيحة اليوم التالي .

انتهز البرنتازي فرص المتسع المتبقي من الوقت للتأكد مـن سلامة نظام الإضاءة في حجرة الرئيس . فوق المكتب أو الكشـلفات الصغيرة في الأركان ، كلها يمكن التحكم فيها من تابلوه قريب مـن يد الجالس على المكتب . وفي متناول اليـد أيضـا لوحـة لإدارة اسطوانات موسيقى ستريو ، وبإمكان لرئيس أيضا الاستماع إلى أي محطة إذاعة يرغب في متابعة برامجـها ، بطلـب مـن مسـئول الاتصالات . وبرغم عزوف الرئيس عن مشاهدة التلفزيون ، ففـي الإمكان تثبيت أربعة أجهزة في مكتبه بالطائرة . وفي متناول يـده وهو جالس إلى مكتبه تليفون أبيض مرتبط بنظام أقمـار صناعيـة تمكن من الاتصال بأي مكان في العالم .

وكان سيرجانت لي سيموتر ، الوصيف الخاص للرئيس من أولئك اللذين يتمتعون بخاصية التنبؤ بكل طلبات الرئيـس وعائلتـه مقدما ، فآخر طبعات الصحف والمجلات المختارة كانت تعد سبـالفا في حجرة السيدة الأولى وفي غرفة نيكسون كنت تجد عدة طفايـات سجائر وكمية وفيرة من سجائره المفضلة .

أما مسز نيكسون فكانت تمتنع قدر الإمكان عـن التدخيـن علنا ، لكن في Air Force one اعتادت أن تدخن بصورة شـبه

متصلة ، وكان هذا أحد الأسرار الخاصة التى اطلع عليها طاقم الطائرة . وكان من الطريف أن أطقم الطائرة اعتادوا أحيانا إحصاء عدد السجائر التى دخنتها السيدة الأولى مقارنه بالعدد الوافر الذى اعتاد إن يدخنه الطبيب الخاص للبيت الأبيض ميجور جنرال ما يكل تاك . وكان الطبيب يتفوق دائما فى عدد سجائره وان كان يعدد قليل من لفافات التبغ .

ثم مضى البرتازى لتفقد مستوى النظافة فى الحمامات ودورة المياه وكان عمال النظافة يعلمون مدى دقته المتناهية فى مسألة النظافة وعند دخوله إلى الصالة الرئيسة بالطائرة لاحظ البرتازى إن جهاز تليفزيون ملون قد وضع فوق أحد المناضد . الجهاز ماركة "سوني" لكن كالمعتاد تم إزالة الماركة اليابانية من جهاز بطائرة الرئاسة لأنه لا يجوز أن يعلم الجميع أن "سوني" كانت تتفوق على التليفزيونات الأمريكية المماثلة . عند دخول البرتازى كان سيمونز يشاهد البرنامج المذاع ، فى فقره كان نيكسون فيها يتول كلمات الوداع للعاملين بالبيت الأبيض كما أسلفنا . على الأريكة كان يتابع البرنامج اثنان من السكرتارية الصحفية بالرئاسة ديانا سوير وآن جرير ، وكانا يبكيان تأثرا . تجاوزهما البرتازى ليتابع سلامة إجراءات فى بقية أقسام الطائرة . ولفت نظرة الطابع المميز لهذه الرحلة : منع رجال الإعلام من ركوبها .

فى مؤخرة الطائرة سلم قائمة بمـن يحـق لـهم اسـتقلال الطائرة لسارجنت رأس ريد ومساعده . ووضع قبعتـه العسـكرية على رأسه واتجه إلى سلم الطائرة حيث وجد بنهاية السلم بيل كيمـو وسارجنت ويللى هيل من قوة أمن القوات المسـلحة ويصاحبـهما رجل المخابرات المعين للخدمة الذين تناولوا نفس القائمة لمراجعتنـا ومعهما راجع البرتازى أسماء من صعدوا إلـى متـن الطـائرة ، وأولئك اللذين متوقع وصولهم مع الرئيس .

ومن موقعه أسفل الطائرة ألقى نظرة متفحصة أخيرة علـى الطائرة ككل من كابينة المقدمة إلى مجموعة الذيل للبحث من أيـة ظاهرة غير عادية ن فى مراجعة شاملة وسريعة ، وهو إجراء قـام به ربما آلاف المرات من قبل وراجع بالتالى عمل أطقـم الخدمـة الأرضية اللذين أتموا عملهم على خير وجه .

عاد مرة أخرى إلى المساحة التى تفصل سور مبنى ركـاب القاعدة من مكان الطائرة ، وقد قرر اختيار اسم ضابط الأمن الـذى سيكلفه بتأمين هذه المنطقة عند إقلاع طـائرة الرئيـس . وطبقـا لتعليمات ينكسون لهذه الرحلة فقد تم إلغاء عدة إجـراءات ، منـها عدم وضع حاجز لرجال الأعلام وهو عبارة عن حاجز كان يحـدد أماكن وقوف رجال الأعلام لتلقى تصريحـات أو التقـاط صـور للرئيس وصحبه من كبار رجال الدولة عند إقلاعـهم أو وصولـهم

بطائرة الرئاسة . واعتاد هذا الحاجز أن يشمل صندوق مرتفع بـــه توصيلات تليفونية وأماكن لتوصيلات الكاميرات التليفزيونية .

لم يكن نيكسون بطبعه محبا لنشاط رجـــال الأعـــلام عنـــد وصوله أو سفره لكنه كان يشعر أن التغطية الإعلاميـــة لتحركاتـــه كانت لمصلحة . خاصة وان الخدمات والتسهيلات المقدمة لرجـــال الأعلام بقاعدة أندروز لم يكن لها مثيل فى إى مكان آخـــر فـــى العالم .

أما الآن ، في هذا الموقف ، فالوضع اختلـــف . نيكســون ليس بحاجة لرجال الأعلام إطلاقا . ومن ثم فلم يســـمح لأى مـــن رجال الأعلام بتغطية رحلة الوداع فى القاعدة .

عاد البرتازى مرة أخرى ، هذه المـــرة مباشـــرة لكابينـــة القيادة وسأل معاونيه " كيف الحال ؟ " فأجابه تشابيل مـــن أطقـــم القيادة " نحن على استعداد الإدارة المحركات "

الساعة تقارب العاشرة ، الوقت المحـــدد لبـــدء إجـــراءات الإقلاع فعاد البرتازى مرة أخـــرى ليتـــابع البرنـــامج التليفزيونـــى وخطاب الوداع وكانت ديانا وأن جربيار مازالتا تبكيان . وســـالت من عينية هو أيضا دمعتان .

ظل البرتازى يتابع حديث نيكسون للنهاية ، ثم أتجـــه إلـــى مقعد القيادة فى الكابينة .

نبه بقية الطاقم "أنه لابد أن الرئيس فى طريقـــــه للقـــاعدة الآن" وطلب من مساعده الاتصال بالخدمـــات الأرضيـــة وضـــابط المراقبة الجوية بالبرج.

Air Force 1 تنادى برج القاعدة أندروز "أبدأ رسالتك".

- "يبدو أن هناك تأخير حوالى ١٥ دقيقة بعد موعد الإقلاع".
- علم ويرجى معاودة الاتصال عند الاستعداد للتحرك.

لم يكن لدية ما يفعله لان إلا انتظار اتصال البيـــت الأبيـــض بـــأن نيكسون على وشك دخول القاعدة .

صاحب نيكسون وعائلته عند مغادرته الجناح الشرقى إلـــى المقر الديبلوماسى للاستقبال أعضاء الخدمة السرية وعدد محـــدود من مساعدى الرئيسى . عند هبوطهم درجات السلم وكانت حجـــرة الاستقبال هذه من أكثر الحجرات المقربة إلى النفـــس فـــى البيـــت الأبيض كله ، خاصة عندما كان ضـــوء الشـــمس يغمـــر الجـــزء الجنوبى من المبنى حيث كان جير الدفـــورد وزوجتـــه منتظريـــن لينكسون لتحية الوداع .

أمسك نيكسون بيد فورد وتقابلت أعينهما "حسنا يـــا ســـيادة الرئيس ن قال نيكسون لفورد أتمنى لك حظاً سعيداً وأنا على يقينـــى أنك ستقوم بالمهمة خير قيام " وضعت مسز فورد يدها يدها علــــى ذراع نيكسون لدقائق معدودة لتقول فى النهاية ، أرجو لكـــم رحلـــة

سعيدة ، وبصورة تلقائية اتجهت إلى مسز نيكسون واحتضنتها ، لم تتجاوب مسز نيكسون لإقبال مسز فورد عليها لكن أغمضت عينيها للخطة وأمسكت بيديها وكان بقية العاملين بالبيت الأبيض في حالة تأثر وجرت الدموع مدراراً .

خطا نيكسون خطوات متجها إلى الباب ثم التفت قائلا في صوت مرتفع "حسناً يا رفاق حان وقت الرحيل".

ثم تأبط ذراع مسز نيكسون واتجه جميع الموجودين إلى الجناح الجنوبي فوق بساط أحمر اصطف على جانبيه حرس الشرف ووصل إلى سلم الطائرة المروحية العسكرية المنتظرة . وفجأة وفي حوالي العاشرة انطلق صوت مكبر الصوت داخل كبينة Air force one. إلى جميع أطقم السيارات ومحطات الخدمة الأرضية خمسة ثم تسعه ، كان هذا هو نداء الشفرة الذي ينبه جميع المنصطين لهذا النداء أن الرئيس قد غادر بالفعل البيت الأبيض متجها إلى نقطة أخرى . قد تكون كامب ديفيد أو قاعدة أندروز أو موقع أخر داخل واشنطن ، أو أي مكان آخر ، وفي أية أحوال كان رجال الخدمة السرية سيبلغون فورا أل WHCA أي وكالة الاتصالات الخاصة بالبيت الأبيض التي ستقوم بدورها بتأمين خروج موكب الرئيس من مقره في ١٦٠٠ شارع بنسلفانيا ثم كانت كلمة charlie هي رمز شفري بأن يبتعد الجميع عن التردد

المستخدم حاليا. فى تمام العاشرة وستة دقائق وصل كبينـــة القيـــادة نداء بمعنى أن مروحية الرئيس قد أقد أقلعت من مكانها المخصـــص بالبيت الأبيض بالفعل داخل كابينة القيادة لAir force one

أبلغ رى جونسون الكابتن ألبرتازى عبر الاتصال الداخلى " تأكد لنـــا موعد الإقلاع بالفعل سيكون الرئيس داخل قاعدة أندروز بعد ثمـــان دقائق بالضبط "شكرايارى" أجاب البرتازى .

" اتصل هولدمان وطلب أن يسمح له بالحديث مع الرئيـــس لحظة وصوله بماذا أرد عليه "

"دع عنك هذه المحادثات ولا تشغل الرئيس بها كانت أوامـر البرتازى " " عموما انقل هذه الرسالة إلى مساعد الرئيس زجلـــر أو بول عند وصولها ودعهما يقرران "

اندهشى البرتازى لجرأة هولدمان فقد شغل هذا الرجل طاقم العمل الإدارى بالبيت الأبيض لمدة خمسة عشر شـــهراً ولابـــد أن هناك شيئا على قدر من الأهميـــة بحيـــث بدفعـــه للاتصـــال مـــن كاليفورنيا فى وقت مثل هذا ، ترى هل الموضوع له علاقة بطلـــب عفو لهولدمان نفسه فى موضوع و وترجيت فقد انطلقت شائعات .

بهذا المعنى على صفحات الجرائد ، إلا أن البرتـــازى لـــم يكن يشعر بإسداء خدمة لهولدمان ، إذا دعه يتصل بأى من العاملين بالبيت الأبيض كما اعتماد هولدمان نفسه أن يطلـــب مـــن الجميـــع

الالتزام بقنوات الاتصال العادية ، وشعر البرتازى بنوع من سخرية الموقف .

ألقى بنظره من داخل كابينة القيادة على يساره فوجد حركـة غير عادية نظرا لقرب وصول موكب الرئيس ، رجال المخـــابرات يغلقون البوابات والبوليس الحربى يوقف أى سيارة تقترب من موقع الطائرة فى نفس الوقت ، وجد أن مراقب الحركـــة الأرضيـــة قـد أوقف كل التحركات لآية طائرة فوق أرض المطار .

وكان ضابط العمليات المنوب ورئيـــس طـــاقم الخـــابرات المكلف بتأمين الرحلة قد قام بعلمية مسح نهائي للممر الرئيس فـــى القاعدة مستخدمين سيارة عسكرية لفحص أية ظواهر غير عاديــــة فوق الممر وفى نفس الوقت كانت الكلاب المدربة تجوب المنطقــة . المحيطة بالممرات الفرعية وعبر مناطق القـــاعدة جميعـــها كـــانت هناك مواقع تحتلها سيارات البوليس السرى .

بالمثل كانت علـــى أهبـــة الاســـتعداد ســـيارات المطـــافئ والإسعاف وأطقم الخدمات الطبية كل فى موقعه للتدخل فور حدوث أى طارئ فوق القاعدة كانت تحوم قاعدة هليوكبتر أخـــرى لتـــأمين إخلاء أى موقع إذا استدعت الضرورة أو فى حالة حـــدوث حادثـــة بعد الإقلاع كانت أعين جميع طاقم الطائرة تجوب الأفق بحثا عـــن

حوامة الرئيس القادمة من البيت الأبيض ، كان مهندس الطيران دانيالز هو أول من لمحها .

" ها هى الطائرة أشار بإصبعه فى اتجاه غرب البرج ، كان نيكسون قريبا أكثر مما توقع الجميع ، استدارت حوامة نيكسون فى اتجاه مسار الهبوط النهائى الذى كان موازيا لموقع Air force one وعلى يمين أرض هبوط حوامة الرئيس ب ٣٠٠٠ باردة .

ثم هبطت حوامة الرئيس على يسار Air force one وعبر نافذة الحوامة كان من الممكن رؤية نيكسون وابنته ترشيا ورون زجلر واستيف بول واثنان من الحرس الخاص للرئاسة . أسرع الجنرال كلارنس دوجلاس إلى باب الهليوكبتر وما لبث أن تم إنزال السلم واستعد أحد الحرس ناصبا قوامة رافعا يده بتحية عسكرية وظل ثابتا بيده المرفوعة.

كانت مسز نيكسون هى أول من هبط تبعتها ترشيا ومضت عدة دقائق استعاد فيها الرئيس لثباته وسيطر على انفعاله وظهر أخيراً على باب الحوامة يتبعه أحد حرسه الخصوصيين وما لبث أن هبط درجات السلم مادا يده إلى دوجلاس الذى اندهش باندفاع الرئيس نحوه فأنهى التحية العسكرية المعتادة ومد يده مندفعا

ليصافح الرئيس ، لم يستغرق الموقف إلا لحظات اتجـــه نيكســون بعدها إلى Air force one.

كان الجميع يشعر برغبته نيكسون فـــي مغـــادرة المكـــان بأسرع وقت ممكن فأسرع الجميع خارجين مـــن الــهليوكبتر أولا دكتور كاتش ، ومنولوسنشيز الوصيف الخـــاص بنيكســون وبقيـــة المساعدين مسرعين بدورهم إلى Air force oneواتجهوا إلـــى مؤخرة الطائرة لأخذ أماكنهم .

ألقت مسز نيكسون بنظرة صامتة إلى البرتازى الذى انتظــو بدوره الإيماءة المعتادة لتحيته من قبل الرئيس إلا أن هذه الرحلة لــم تكن تحتمل أية تحيات .

وقف نيكسون للحظات عند آخر عتبات السلم ليلتقط أنفاســه ولوح بيده للعاملين بالقاعدة الذى ملئوا تراس القاعدة القريبـــة مــن الطائرة ، ثم دلف مسرعا إلى جناحه الخـــاص بطـــائرة الرئاســـة متجاهلا تحية الصباح من داتيالز "صباح الخير يا سيدى "

وما أن وطئت قدماً نيكسون حتى أصدر البرتازى أمر إلـــى ماكيلايلاند " شغل رقم ٣ " وبدوره ضغط الطيار المســـاعد علـــى مفتاح تشغيل المحرك الثالث للطائرة .

" شغل المحرك رقم ٤ " ودارت ريش محرك رقم ٤ بالمثل وعمل المحركين سويا بصورة مثالية .

سمع البرتازى باب الكابينة يغلق من خلفه بواسطة دانيـــالز ولمح على يساره رجال الخدمة الأرضية يسحبون السلم بعيدا عـــن الجناح الأيمن وعد الاتصال الداخلى سمع صوت مهندس الاتصـــال يطلب وقف استخدام التليفون نظرا لبدء الاتصالات بالمراقبة الجوية "نبدأ تشغيل المحرك ١ ، ٢ الذى تم تشتغيلها فى نفس الوقت ، مــن الخارج أومأ أحد ضباط الخدمة الأرضية بالتحية بما يدل علـــى أن كل شئ يسير فى مجراه الطبيعى .

رفع البرتازى أرجله عن الفرامل وبـــدأت الطـــائرة فـــى التحرك " Air force one متجهة إلى الممر الفرعى ، "علـــم" كانت إجابة ضابط المراقبة الأرضية .

نظرا البرتازى إلى ساعته التى أشارة إلى العاشرة والدقيقـــة الخامسة عشر وثلاثون ثانية ، كل الإجـــراءات صـــارت بطريقـــة جميلة ومثالية وهو يتحرك فوق الممر الفرعى الشرقى ثـــم يتجـــه جنوبا إلى بداية الممر .

أجرى البرتازى وبقية طاقم الطائرة مراجعة ســـريعة لكـــل خطوات ما قبل الإقلاع كل شئ على ما يرام " Air force one" تطلب الإذن بالإقلاع ، " تصرح لكم بالإقلاع مـــع التحويـــل إلـــى موجة ١١٩.٧ فور الإقلاع للاتصـــال بالمراقبـــة المسـئولة عـــن المغادرة " علم أجاب ماكليلاند "

كان البرتازى يزيد فى سرعة الطائرة على الممر عند الوصول إلى سرعة ٨٠ عقده رفع قدمه عن الفرامل وصل بالسرعة إلى مائة عقدة ليقلع بسلاسة رافعا عجلات اليوبنج عن أرض الممر .

أقلعت إلى Air force one السعة العاشرة والدقيقة سبعة عشر وكانت هذه آخر مرة يستغل فيها ريتشارد نيكسون هذه الطائرة وهو رئيسا للجمهورية .

مع ترك نيكسون لمقعد الرئاسة توقفت هوجة التوقعات وبالتالى من سيكون الرئيس الجديد .

كان نائب الرئيس جير الدفورد وزوجته مسز فورد قد غادرا احتفال وداع نيكسون إلى جناحهما المعتاد بمقر نائب الرئيس والذى كان يطل على البيت الأبيض ، تبادل فورد عدة كلمات مع زوجته وكبار مساعديه ممسكا بفنجان من القهوة ومشغلا غليونه وهو فى حالة من الهدوء والاستقرار فى التفكير فيما سيتضمنه خطابه للامة بعد أن يقسم اليمين رئيسا للجمهورية. الجناح الشرقى الآن خال من ساكنه بعد مغادرة نيكسون ومن ثم انهمك العاملون به فى إعادة ترتيب المقاعد استعداد للوافد الجديد ، أما المكتب البيضاوى ، فقد تم تنظيفه وتلميع كل قطعة أثاث فيه استعدادا للمناسبة كل ذلك تحت العيون الفاحصة لرجال الخدمة السرية .

غصت غرفة الصحافة فى البيت الأبيض بمزيد من رجال الصحافة الذى غلب الانفعال على كل تصرفاتهم سواء المراسلين أو المصورين أو المخرجين . كان خطاب الوداع لنيكسون قد تم الانتهاء من إذاعته. الحدث الساخن الآن هو تولى فورد للسلطة والخطاب الذى سيلقيه وكيف سيسلك فورد فى اليوم الأول لتوليه الرئاسة.

نعود إلى كابينة القيادة فى طائرة الرئاسة لنجد صمتاً غير عادى يكتنفها ، ففى الرحلات السابقة الأخرى اعتاد البرتازى وماكيلايلاند وبقية طاقم القيادة الحديث المرح عن لعب الجولف ورحلات صيد السمك ، وأسماء المطاعم الكبرى التى تقدم الطعام الفاخر فى جنوب كاليفورنيا ، إلى جانب الأحاديث العائلية المعتادة أما اليوم فقد حل الصمت محل هذا كله ، لم يجد أيا منهم الرغبة فى مجرد الحديث.

كان تركيز كل فرد من الطاقم فى عمله الفنى ، وضم الصمت الجميع.

سرح البرتازى بذاكرته إلى عشر سنين ونصف قضاها قائدا لطائرة الرئيس ، كانت سنينا طيبة واعتاد أن يصرح لرجال الصحافة أن الطيران بـ Air force one هى بالفعل أفضل وظيفة فى القوات الجوية كلها وكان يعنى ما يقول ، برغم بعض

المضايقات والتحرشات التى صادفتها من كبار العاملين علـــى أيـــة حال أحب فى وظيفته هذه عنصر الإثارة وبريق المنصب والمكانـــة الاجتماعية ، ومتعة السفر فى أرجاء العالم كله مع رئيس الولايـــات المتحدة الأمريكية . خاصة وقد أتاح لـــه هـــذا العمـــل التصـــرف واكتساب صداقات خاصة فى مناطق سان كليمنتى وخليج بســـكاين الذى اعتاد نيكسون أن يقض أياما طويلة فى هـــاتين المنطقتيـــن ، وأحيانا كان يبدو لألبرتازى أن ريتشارد نيكسون فى حالة طـــيران دائم فبعد عودته من رحلته فى الشرق الأوسط فى ١٩ يونيو كـــان قد زار ٢٨ دولة وكان بتفاخر بأنه قد قطع ١٣٧٥٠٠ ميل وساعات طيران تفوق أى رئيس للولايات المتحدة على الإطلاق .

فبالإضافة إلى رحلاته الخارجية اعتاد نيكسون أن يذهـــب رحلات ذهاب وعودة بين واشنطن ومقره الصيفى فـــى كاليفورنيـــا وفلوريدا ، ناهيك عن رحلاته المكوكية الشاسعة التى قطـــع فيـــها مسافات شاسعة سنة ١٩٧٢ خلال حملاته الانتخابية وخلال الســـنة الماضية بالذات كانت Air force one تقطع رحـــلات غـــير عادية شغلت أطقم القيادة جميعهم ، فبعد عودته من الشرق الأوســـط بخمسة أيام بدأ رحلة ثانية إلى موسكو وكانت ثـــان زيـــارة خـــلال سنتين ثم اتجه مرة أخرى فى ١٢ يوليـــو غربـــا إلـــى كاليفورنيـــا ليمضى بعض الوقت فى استراحة كانوا باسيفكا ، ثم فى فيللا تعتـبر

البيت الأبيض الغربى ، بقى بها حتى ٢٨ يوليو والآن نحن فى هذه الرحلة بعد ١١ يوم فقط من الرحلة السابقة .

كان الطريق الذى اختاره البرتازى فى رحلته الآن هو نفس الطريق الذى اختاره نيكسون كأفضل الطرق التى تربط واشنطن بسان كلمنتى. الطريق يسير تقريبا فى خط مستقيم بالطيران فوق غرب فيرجينيا ثم عبر سينسيناتى فسانت لويس فمدنية ويتشتا ثم ليبرال فولاية كانساس ، ثم فوق مكسيكو الجديدة ليعبر بألم سبرنجر بولاية كاليفورنيا التى تقود الممر الجوى إلى قاعدة سانتا أنا البحرية هذا الطريق كان الأقصر وبالتالى الأسرع ، وله ميزة الابتعاد عن مناطق الحركة الجوية الكثيفة فوق المراكز التجارية الكبرى من سواحل شرق الولايات المتحدة إلى سواحل غربها .

بعد الإقلاع بساعة كانت Air force one تطير على ارتفاع ٣٥٠٠٠ قدم وتنطلق بسلاسة بسرعة ٦٠٠ ميل فى الساعة قرر البرتازى أنه قد حان الوقت للقيام بعملية مراجعة لطابع الرحلة ككل ، نرى كيف تسير الأحداث خلف كابينة القيادة ، من كان يستخدم التليفون فى محادثات خارجية ، من على متن الطائرة كان يتصل ، ما هو نوع الغذاء المقدم الآن ترى هل يشعر ركاب الطائرة بالراحة كالرحلات المعتادة تلك كانت بعض مسئوليات كابتن طائرة الرياسة مجمل عدد الركاب ٣٤ راكب ، كان البرتازى

وطاقمه يعرفون معظمهم (٤) منهم هى عائلة الرياسة نيكسون وزوجته وابنته ترشيا وزوجها إيدى ، بينما ابنته الأخرى جولى وزوجها ديفد ايزنهاور فضلا البقاء فى واشنطون حتى ينتظم ديفد فى دراسته .

هذه المرة لا يوجد صندوق أسود وهو الذى يحتوى على الشفرة السرية من حق الرئيس وحده استخدامها لتشغيل كل وسائل الدفاع النووى فى حالة وقوع حرب ذرية ، فلو حدث – مجرد كافتراض أن اكتشف الرادار أو الأقمار الصناعية وجود صواريخ نووية مسئولية القائد الأعلى للقوات المسلحة فى خلال ١٥ دقيقة فقط أن يتصرف وفق ما يقضيه الموقف ، خلال هذا الوقت أمامه أن يختار بين عدة اختيارات للهجوم المضاد بالأسلحة النووية ، الصندوق الأسود الذى يحمله أحد المساعدين العسكريين لم يكن أبدا بعيدا عن متناول الرئيس أينما ذهب ، حى لو كانت الرحلة إلى بكين أو إلى موسكو فى كل مرة كانت تقلع إلى Air force one وعلى متنها الرئيس عهد إلى فان فالكن بيرد أن يضع الصندوق الأسود فى خزينة محكمة داخل قطاع الاتصالات بالطائرة ومواجه مباشرة بحجرة الرئيس الخاصة ، وفى كل مرة يغادر الرئيس الطائرة يتبعه أحد العسكريين حاملا الحقيبة بعد استعادتها من فان فالكن بيرد.

في الليلة السابقة وقبل ظهوره في التليفزيون ، اجتمع نيكسون مع أعضاء حكومته في قاعة الوزراء بالبيت الأبيض مع مجموعة من أكثر المخلصين له في الكونجرس ليشكرهم على ما قدموه من نصائح بترك الرئاسة ، وكان الحاضرون يذكرون بإعجاب سياسة نيكسون الخارجية وإنجازاته وما ستواجه أمريكا فيما بعد من أخطار مازالت قائمة " في رحلتي غدا إلى كاليفورنيا قال نيكسون سأظل محتفظا بالصندوق الأسود علي متن الطائرة وحتى لحظة نقل سلطات الرئاسة .

إلا أن الملف السري الخاص برئيس الجمهورية أو الصندوق الأسود الذى يحوى شفرة الحرب النووية لم يصاحب نيكسون في هذه الرحلة عند صعوده إلى Air force one فلم يكن لدى الكولونيل برينان أى شيء ليسلمه إلى فان كالفن هذه المرة. غياب هذا الملف السرى كان قد أثار أنباء متضاربة.

النقطة المثارة وكانت محل جل هو حدوث حالة طوارئ أو موقف شبيه بحالة الطوارئ في فترة نقل السلطة ، وكإجراء احتياطي يغطى كل الاحتمالات قام وزير الدفاع جيمس شلزنجر بتحديد لجميع القادة الرئيسية بالقوات المسلحة الأمريكية بعدم تنفيذ أية تعليمات صادرة عن البيت الأبيض إلا بعد توقيعه بصفته وزيرا للدفاع عليها .

وبالتالى فقد كانت الساعات الأخيرة من حكم نيكسون تشـــهد فى الواقع تقييدا لسلطاته كقائد أعلى للقوات المسلحة ، لم يعد فـــى هذه الساعات من سلطته أن يقرر إجراء الهجوم المضاد فى حالـــة وقوع اعتداء فتلك السلطة ، ودون علم بنكسون كانت قد انتقلت إلـى نائب الرئيس جير الدفورد . لم يعد الصندوق الأسود فـــى متنـــاول الرئيس الآن.

في حوالى الحادية عشر اتصل فان فالكن بيرد مرة أخـــرى ليبلغ البرتازى أن هولدمان يلح فى رغبته الاتصال بنكسون ووفـــق التعليمات التى كانت قد صدرت لفان فالكن بيرد ، أنه لا اتصـــالات أيا كانت مع الرئيس الآن.

وفتح البرتازى جهاز يتيح له متابعة الكلمات الصادرة مـــن أو الواردة إلى طائرة الرئاسة ، سمع صوت إحـــدى الســـكرتيرات وهى تبكى " لا تتخيل ماذا يفعلون معنا الآن ، إنهم فى الواقع يلقون بنا خارج البيت الأبيض ومرت لحظات ليتصل زيجلـــر الســـكرتير الصحف بجير الدوارين نائب السكرتير الصحفى الذى فضل البقـــاء فى واشنطون ليتولى عملية نقل مسئوليات الاتصال بالصحافة مـــن زيجلر إلى جيرى تير هورست رجل فورد فى التعامل مع رجـــال الإعلام وأفاد وأريد أن مساعدى فورد من رجال الإعـــلام وطـــاقم

السكرتارية الخاص به ينقلون مكاتبهم الآن بالفعل ولم ينتظروا حتى حلف اليمن من قبل فورد.

" ليس هذا ما اتفقنا عليه قال زيجلر غاضبا نحن مازلنا فـي السلطة "

" أعلم ذلك يا سيدى لكن المهم كيف سـنتصرف معـم لأن المسئول عن عملية نقل الإختصاصات غير موجود الآن.

قبل الثانية عشرة بقليل ، تم إبلاغ السارجنت سـيمونز أن الرئيس يطلبه فى جناحه الخاص . لم يعلم سمونز ماذا سـيقول أو ماهو المطلوب منه.

"هل هذه الساعة مضبوطة ؟" سأله نيكسـون مشـيرا إلـى ساعة معلقة على جدار الطائرة . كانت هناك ثلاث ساعات رقميـة ليتمكن الرئيس من الاطلاع على أى منها : الأولى علـى توقيـت واشنطون ، الثانية توضح توقيت الولاية التى يمر فوقـها الرئيـس والثالثة توضح توقيت الجهة القـاصد إليـها ، فـي هـذه الحالـة كاليفورنيا.

"بالتأكيد يا سيدى" أجاب سيمونز.

كانت الساعة تشير إلى ما قبل الثانية عشر ببضع دقائق فى واشنطون ، وكان نيكسون يعلم أن وقت القسم الذي سيقسمه فـورد كرئيس للدولة قد حان موعده الآن.

كان سيمونز قد خدم مع الرئيس لمـــدة أربعـــة ســـنوات ، وليتفادى الحرج شغل نفسه متجنبا النظر إلى نيكسون بتسوية بعـض الأوراق بالمكتب . كان نيكسون مازال فى حلته الزرقاء ، ولم يكـن قد استبدلها برداء أكثر راحة كالجاكيت الرياضى الـذى اعتـاد أن يرتديه.

نظراته إلى سيمونز تنم عن إجهاد وتعب . وإن كان منظره أفضل مما بدا عليه وهو يلقى خطاب الوداع إلى الأمـة . انتـهزها فرصة ، وبدأ سيمونز عدة كلمات مجاملة : "سيادة الرئيس أنا أشعر بالحزن لكل ما حدث أخيرا وأرجو أن تكون سيادتك ومسز نيكسون فى ... " قاطعه نيكسون "اسمع يا لى (اسم الدلع) من مدة وأنا أريـد أن أبلغك أننى مقدر للعناية التى أوليتها لعائلتى فى فـــترة خدمتـك وكل ما قمت به لى ولزوجتى بات"

ومضى نيكسون فى حديث مماثل ، ولدهشة سيـمونز بـدا الرئيس منطلقا فى حديثه ويكاد يكون فى حالة مرح.

"لكن تذكر يا سيمونز ، تذكر جيدا ، أن غـدا يـوم آخـر جديد. لا يمكن أن نستسلم للأيام . لا ينبغى أن تهزمنا الأيام . يجـب على المرء أن "يصلب عوده" لأن الحياة يجب أن تســتمر" وعنـد استعادة هذا الحديث مع كابتن الطائرة البرتازى ، كـان سـيمونز

يردد "غريبة ، حاولت أنا أن أرفع معنوياته ، فوجدته هو يحاول أن يواسينى بأن الحياة يجب أن تستمر".

استدعى نيكسون سيمونز مرة أخرى ...

"طلباتك يا سيدى"

"أعد لى كأس مارتيني ، واستدعى روف زيجلر ولتعد لـــه كأسا مماثلا هو الآخر ... وفيما بعد سأتناول طعام الغذاء ...".

وخرج سيمونز ليعد طلبات الرئيس مغلقا الباب خلفه . لـــم يكن نيكسون ممن يحتسون المشروبات الروحية نهارا إلا فى النـادر وبكميات قليلة . لكن عندما كان ينوى أن يتناول عدة كئـوس كـان السكوتشى ويسكى هو مشروبه المفضل . لكن بيب روبوزو صديقه كان يفضل المارتينى ، وعادة عندما كان يصل من فلوريـــدا كـان نيكسون معتادا أن يشاركه عدة كئوس من المارتينى ، خاصة فـــى البهو الرئاسى بالطائرة ، مكان أكثر اتســاعا وأدعـــى للاســترخاء وعدم التقيد بالرسميات.

حمل سيمونز الصينية ، وعاد إلى جناح الرئيـــس . كـان زيجلر قد سبقه إلى هناك .

فأبلغهما سيمونز بأن ضابط الاتصال قد اختار موجه لا سلكية تتيح حسن استقبال فعاليات تولى فورد للسلطة في البيت الأبيض . ومن ثم ضبط مؤشر جهاز الاستقبال القريب من نيكسون، ووضع كئوس المارتينى المطلوبة وغادر المكان . وكانت الساعة الرقمية تشير إلى الثانية عشر بالضبط .

كان الجميع فى الجناح الشرقى فى انتظار جيير الدفورد والمتحدث باسم الرئيس ، وزعيمى الديموقراطيين والجمهوريين ودسته من أصدقاء فورد في الكونجرس ، الجميع فى إنتظار حفل حلف اليمين . بقية الحاضرين معظمهم من وزراء نيكسون وكبار رجال الدولة اللذين خدموا في العهد السابق وسيستمر عملهم مع الرئيس الحالى .

وفى الصف الأول انتظر بشغف أولاد الرئيس الأربعة ، عندما دخل الحجرة والديهما .

اتخذ نائب الرئيس (حتى الآن) موقعه على المنصة هو وزوجته ، نفس المنصة التى شهدت منذ ساعات نيكسون وزوجته . كاميرات التليفزيون مسلطة .

وكبير القضاة وارين بيرجر الذى تم استدعاؤه على عجل من أوروبا بطائرة حربية ، واقف أمام الميكروفون الذى سيردد منه فورد القسم .

أخيرا وضع فورد يده على الإنجيل الذى أمسكت به زوجته وأعاد ترديد نفس النص من الدستور الذى أقسم به ثلاثة وسبعون رئيس سابق، بما فيهم نيكسون .

" أقسم بأنى سأمارس عملى كرئيس للولايات المتحدة بكل إخلاص وتفانى ، وأنى سأرعى مواد الدستور وأحافظ عليها و أدافع عنها "

ثم اتجه فورد بخطاب قصير ومؤثر إلى الأمة : "مواطني الأمريكيون ، انتهى كابوس ظل محلقا فوق رؤوسنا. دستورنا قوى ونافذ . أن الولايات المتحدة دولة قانون وليست دولة أفراد . آمل للرئيس السابق الذى ضمن السلام للملاين أن يجد سلاما لنفسه".

أما نيكسون فقد تابع الاحتفال مع رون زيجلر فى حجرته وقد انهى معه عده كئوس مارينتى البرتازى. من ناحية أخرى واصل عمله القيادى فى الكابينة مناديا على مراقبه المنطقة.

" كانساس ..... هذه طائرة القوات الجوية رقم واحد أرجو تغير حروف النداء الآن إلى سام ٢٧٠٠٠ " "علم" ونرجو كل الخير للرئيس كان رد رجل المراقبة الجوية.

انتهى الموقف بكل أبعاده ، واصبح ريتشارد نيكسون هو أول رئيس جمهورية سابق على متن طائرة الرئاسة التى تغيرت

حروف ندائها بتغير الواقع على الأرض . كان فى الواقع يطير الآن كمواطن قد استعار مؤقتا طائرة رئيس الجمهورية .

دخل الوصيف غرفة القيادة بعد عدة دقائق ليعلم ، " هل أحضر طعام الغذاء ؟ رد البرتازى .

" وليتناول رجال الطاقم الطائر طعام الغذاء الآن أما أنا فاحجز لى غدائى فيما بعد لآنى سأقوم بجولة داخل الطائرة . ووضع الجاكيت الخاص به وغادر الكابينة حيث وجد كبير الطهاة بعد قائمه الطعام لليوم ، كوكتيل جمبرى ، ضلع ضأن ، بطاطس مهروسة ، فاصوليا خضراء ، سلاطة منوعة ، ثم شاى أو قهوة ، وطبق الحلو ، كيكة الجبن (أكله أمريكية).

طلب السكرتير الصحفى لينكسون من فتيات السكرتارية نص خطاب فورد بعد تنصيبه كرئيس فاضطرت فتيات السكرتارية أن تطلبها عبر الاتصال بالبيت الأبيض وتنقلها بطريقة الاختزال . بدا هذا الإجراء بالنسبة لاستيف بول مدعاة للسخرية فمن الذى يعنيه الآن من جميع ركاب هذه الرحلة الذين يلفهم طابع الحزن ، ماذا قال فورد أو لم يقل ، ثم لماذا إجهاد فتيات السكرتارية دون داعى ، كان زيجلر يتصرف دون أن يدرى كما لو كان نيكسون مازال فى السلطة . اندهش بول من حالة الوهم الذى مازال يعش فيه رون زيجلر.

أما بالنسبة لزيجلر فقد كانت الحاجة لنص خطـــاب فــورد شيئا عمليا وعاجلا لأن رجل المخابرات فى قاعدة التورو المتجهـــة إليها الطائرة كان قد أبلغه أن يتوقع حشـــدا كبـــيرا عنـــد وصـــول نيكسون للقاعدة ، وبالتالى كان زيجلر يرغب فى معرفة ماذا قـــال فورد عن نيكسون وبأى طريقة ذكر الرئيس السابق.

وقد أعجب هذا الإجراء نيكسون الذى شـــرع فـــى إعـــداد خطاب قصير سيلقيه عند الوصول ، ربما سيكون الأخـــير الـــذى سيلقيه مباشرة للجمهور . بالطبع لن يكون رد فعل مباشـــر لكـــلام فورد ، لكن مع ذلك سيكون خطابا هامـــا فـــى وجـــود كـــامرات التليفزيون ورجال الأعمال.

بلهجة مرحة سأل زيجلر البرتازى "من تحمل من الركـــاب فى هذه الرحلة" تغاضى البرتازى عن التلميح وأجابـــه "نحـــن الآن نحمل حروف نداء سام ٢٧٠٠٠ " فأومأ زيجلر برأسه موافقـــا دون تعليق ، وتركه البرتازى ليكمل جولته فى الطـــائرة حيـــث فوجـــئ بريتشارد نيكسون أمامه ، الذى ترك جناحه الخاص واتجـــــه إلـــى جميع العاملين بالطائرة ، كان يرتدى نفس الحلة ، كحلـــــى غـــامق وقميص أبيض وربطة عنق نبيتى فى أزرق وبرغم ملامح الإجـــهاد على وجهه كان مبتسما ويفرك يديه كما لـــو كـــان ســـعيدا اعتـــاد البرتازى أن يرى هذه الحركة آلاف المرات وبلهجة مرحة ســـألهم

موجها خطابه للجميع "هل أنتم مستمتعون بالرحلة" لم يجـرؤ أحـد على الإجابة ، فعاد نيكسون يوجه خطابه للبرتـازى "أريـد عنـد الوصول التقاط بعض الصور لى ولطاقم الطـائرة ، ثـم صـورة أخرى لمسز نيكسون معى وطاقم الطائرة ، ثم صـورة لنـا نحـن الإثنان.

"بالتأكيد يا سيادة الرئيس" أجاب البرتازى.

واستمر نيكسون فى حديثه "سأقوم بإلقاء بعض الملاحظـات هناك ومتوقع أن يزورنى بعض الأصدقاء عند الوصول، لكن قبـل الإقلاع بالحوامة سنتمكن من التقاط بعض الصور ، أجاب بريـنـان بلهجة ضابط البحرية الذى يخاطب رئيسه "بالتأكيد ياسيدى" وعـاد نيكسون يوجه خطابه للبرتازى "أنت تذكر يارالف أنه قبل سـفرى إلى الصين سأقوم بترقيتك إلى رتبة الجنرال ، لقد كنـت أنـوى أن أقوم بهذا الفعل لكن مثل أشياء كثيرة خططت للقيام بـها ، تغـيرت الظروف مؤخراً "تهدج صوته قليلا إلا أنه استعاد تماسكه بسـرعة" "كل ما هنالك أننى لم أرد أن أترك أشياءا لم تتم وأنا آسف لذلك".

"أجاب البرتازى للتو أنا متفهم للوضع ياسيادة الرئيس".

استدار نيكسون واتجه إلى جناحـه الخـاص بينمـا عـاد البرتازى إلى كابينة القيادة، لحق زيجلر وبول بنيكسـون وقـرر

الجميع القيام . بجولة فى أنحاء الطائرة فيما بعد لتحية بقية العاملين فى كافة أرجائها.

فى خلفية الطائرة لاحظ نيكسون أن رجال الخدمة السرية يشغلون الجزء الذى كان مخصصا لرجال الصحافة فعلق على هذا الوضع بشكل مرح "خلفية الطائرة رائحتها أفضل الآن" وضج الجميع بالضحك بما فيهم نيكسون نفسه ، ثم استدار وعاد فى الاتجاه المعاكس ودلف إلى ركنه الخاص وأغلق الباب ولم يخرج منه إلا بعد ملامسة عجلات الطائرة لقاعدة إليتورو .

بعد أن دخل البرتازى إلى كابينة القيادة راجع بسرعة مسار الرحلة . كانت الطائرة قد عبرت للتو مدينة ليبرال بولاية كانساس وأبلغه مساعده أنه قد تم تعويض أل ١٧ دقيقة التى تأخروها عند الإقلاع .

دخل يمارا الوصيف بالغذاء وأثناء تناول البرتازى للطعام كان يفكر بعمق فى مستقبله – مستقبله هو وليس مستقبل نيكسون .

فى العام الماضى كان قد فكر أن يحيل نفسه إلى الاستيداع خاص بعد ترقية ليوسون إلى رتبة جنرال وإسناد منصب:

مساعد الرئيس العسكرى فى البيت الأبيض وكان ليوسون بتصرفاته معاديا والعلاقات بينهما فى صورة توتر دائما يتعمد إخفاء برامج رحلات الرئيس عنه إلا للحظات الأخيرة وهو سلوك

غير مهنى ويثير الضيق ، ثم جاءت قضية و وترجيت وأصبحت العلاقة بين رجال البيت الأبيض وكبار العاملين بقاعدة أندروز أكثر حدة وأكثر توترا تقريبا قبل القيام بكل رحلة ولم تعد قيادة طائرة الرئيس بنفس المتعة التى كان يشعر بها من قبل إلا أن نيكسون احتفظ به بوظيفته قائداً لطائرة الرياسة ففضل أن ينتظر ولا يتعجل بترك منصبه .

أما الآن وبعد استقالة نيكسون فربما قد حان الوقت فى اعتقاده أن ترك هذا المنصب أفضل . خاصة وهو لا يعلم إذا كان فورد قد عقد النية على اختيار كابتن جديد أم لا .

قطع حبل أفكار نداء من وأين براولى فى قاعدة التوورو البحرية يبلغه أن الجو فى القاعدة صحو سرعة الريح ١٥ عقده درجة الحرارة ٢٧ الممر المستخدم ٣٤ يمين الممر الفرعى المستخدم .

بعد الهبوط هو نفس الممر الفرعى المعتاد كان عدد المستقبلين كبير وفى ازدياد .

هذا النداء نبه البرتازى إلى ندرة الاتصالات التلفونية بينه وبين قاعدة التوورو طوال الرحلة ، فلم يكن هناك الكثير من الحديث حوله بين الطائرة والقاعدة ونفس الشئ بالنسبة لرجال

القاعدة ، فكرسى السلطة كان بعيدا عن الطائرة وعن القاعدة ، فهذه طائرة عادية وليست Air force one.

بدأ مسار الاقتراب النهائى من فوق نقطة س باتجاه جنـــوب غربى إلى نقطة أو ش ساير ثم اتباع مسار شاطئ المحيـــط الـــذى سيفضى إلى قاعدة التوورو البحرية وكان هذا المسار معد من سنين للابتعاد وتماما عن كثافة الحركة الجوية فى مطار لوس أنجلـــوس الدولى ، ومن فوق نقطة تيرمال بدأ الـــهبوط التدريجـــى وبـــدأت الطائرة تفقد ارتفاعها بهدوء حى لامست عجلاتها ممر ٣٤ بقـــاعدة التوورو. كان هبوط جميلا وهادئا. الآن أصبح نيكسون علـــى أرض القاعدة .

كانت مسز نيكسون أول من تظهر فى ممـــرات الطـــائرة تتبعها ابنتها وزوجها ، وبصوره تلقائية عند مرور مسز نيكســـون عبر لى سمونز احتضنته فى تأثر ، وأخيرا ظهر على باب جناحـــه ريتشارد نيكسون فى نفس الوقت الذى كان الفنيون ينزلون ســـلالم البوينج.

بدأت العائلة تهبط الواحد تلـــو الآخـــر . وقـــف نيكســـون للحظات على الجزء العلوى مـــن الســـلم رافعـــاً وجهـــه ليواجـــه الجمهور، وابتسم ابتسامة عريضة ورفع كلتا ذراعية على شـــكل V علامة النصر بتحية مجاملة للمستقبلين .

صاح المستقبلون مرحبين وصفقوا ، والبعض غلبه التأثر فالت دموعه . تجمع حوالى ٥٠٠٠ شخص لتحية وصول نيسكون وعلى عكس وداع الرئيس السابق في واشنطون الذى كان يبلغ عليه طابع الحزن ، كان الاستقبال في قاعدة إيل تورو مفتوحا للجمهور ، وهو أمر لم يكن يحدث فى السابق .

كثير من مؤيدى نيكسون المخلصين قطعوا مسافات شاسعة بالسيارات لرغبتهم فى استقبال نيكسون هذه المرة بالذات فى قاعدة الوصول ، وليؤكدوا له انهم مازالوا مؤمنين به وانهم يؤيدونه ويقفون خلفه .

وبدأ نيكسون يهبط درجات السلم مبتسما ، وقد انتشى بتدفق العاطفة والحماس من قبل المستقبلين وصافح بقوة قائد القاعدة واتجه إلى الحاجز المدفوع لكى يصافح بنفسه الواقفين خلفه مادا يداه إلى أكبر عدد من الأيادى الممدودة له لتصافحه ويؤكد دعمها له مما جعله يشعر بالدماء تندفع فى جسده وتمنحه القوة والحيوية .

ومن تحت جسم الطائرة حيث اتجه ستيث بول لالتقاط الحقائب الخاصة بعائلة نيكسون ، كانت دهشة بول شديدة أن وصل إلى سمعه وبصوره بدأت تتزايد أصوات الجماهير المنفعلة وهى تنشد نشيد " فليبارك الله أمريكا " وهو نشيد عاده يلقى فى مناسبات الأحداث الهامة وبتلقائية كان هذا الجمهور الطيب يريد أن

يشد من آزر نيكسون فى محنته. كان التجمع والإنشاد الـــذى بـــدأ يزداد تلقائيا وغير معد بدأت منـــذ الجمـــهور الملاحـــق للحـــاجز الموضوع بالقاعدة من قبل رجال الأمن وأخذ ينتشر حتـــى وصـــل للواقفين فى خلفيه الحشد .

غمر بول شعور دافق بالعرفان ، فهؤلاء أناس تحملوا شـقه الحضور لتأكيد دعم نيكسون فى هذا الموقف . منذ بدء الرحلـة زال عنده أى إحساس بالمرارة أو الغضب للمصير الـــذى انتـــهى إليـــه نيكسون ، غسل هذا التصرف التلقائى من الأمريكييـــن المخلصيـــن كل مشقه وحزن الرحلة . ووجد بول نفسه يشد من قامته ويرجـــع إلى طاقم الطائرة ليصافحهم فردا فردا ، مردداً كلمات "شكرا لكـم ، ونراكم بخير " حتى وصل لى سيمونز أكثر رجال الخدمة اقترابـــا منه لطالما ملأ كأسه بالوسكى الذى كان يفضله وانخرط الاثنان فـى بكاء هادى صامت .

عند نزوله من الطائرة وجد نيكسون أمامه ميكروفون معـــد لإلقاء خطاب قصير لقد "صرحت بكلمات فى السابق ، ولا أريـــد أن أثقل عليكم بمزيد من التصريحات التى قد تصبكم بالملل".

"كونى انتهيت من مرحلة وقمت بمهام فى الماضى لا يعنـــى أننى سأركن للراحة والاستمتاع بشمس كاليفورنيا الرائعة" . وهنـــا صاح الجمهور عند ذكر جمال مناخ ولايـــة كاليفورنيـــا وواصـــل

نيكسون "صدقونى أن أهم قراراتى قد اتخذتها هنا فى ولايتكم الجملية حيث الهدوء والقدرة على التفكير" ، ثم واصل حديثه عن "أمريكا ككل بلد الفرص المتاحة للجميع وبلد الحرية الحقيقية".

ولم يتطرق إلى واترجيت ولا شرائط التسجيل ولا احتمالات لاستجواب ولا أى من مفردات المحنة السابقة ، بل واصل " فى الوقت المتاح لى الآن سأعمل بكل جهدى الإقرار السلام ليس فى العالم الخارجى بل أيضا بين الأمريكيين أنفسهم".

ثم فى تحية لطاقم الطائرة ولفخره بطائرة الرئاسة الرابضة خلفه قال " أن هذه الطائرة الممتازة هى رمز لقوة وجلال منصب الرئاسة فى أمريكا هذه الطائرة التى نقلتنا للصين ، ولروسيا وللشرق الأوسط ، جديرة بأن نتذكرها "كروح ٧٦" خاصة بسبب هذه الرحلات التاريخية الهامة.

وانتظر نيكسون للحظة ، فقد تذكر أن رحلة الصين لم تكن بهذه الطائرة بل بطائرة بديلة ، لكن الجمهور لا يمكن أن يلاحظ الفرق أو يعرفه أصلا.

انتقل نيكسون إلى كلمات انهاء الحديث "وبالتالى ساو أصل نشاطى كما ستواصلون أنتم نشاطكم بإحساس بالفخر إننا أمريكيون وكاليفورنيه . وأنا سعيد أن أعود إلى هذا المقر الذى اعتز به مره أخرى".

وتأبط نيكسون ذراع زوجته وعاد بها مـــرة أخــرى إلـــى الطائرة فقد كان طاقم الطائرة فى انتظار التقاط الصور التذكارية.

وقفت مسز نيكسون وزوجها والبرتازى في مقدمه الطـاقم ، وأخذت إحدى السكرتيرات في التقاط الصور ، ثم صـــور للثلاثـــة فقط ، الذين وقفوا بجدية تحت شعار رئاسة الجمهوريـــة المرســـوم على الطائرة.

إلا أن الهليوكوبتر كانت تنتظر وهي الحوامه التى كان قـــد تم نقلها من واشنطون اليوم السابق وهى من طراز كوبرا .

صاحب البرتازى نيكسون إلى الهليوكوبتر الذى كان طـــاقم تشغيلها قد صعد إليها من قبل . ولاحظ طبيب نيكسون الخاص أنـــه قد عاد إلى عرج خفيف أثناء سيره ربما نظراً للجـــهد المضـــاعف الذى بذله هذا اليوم في كل من واشنطون والقاعدة حاليا.

عند وصول الرئيس السابق مع البرتازى إلى بدايـــة سلم الهليوكوبتر التقط قائدها صورة أخرى لنيكسون وهم ممســـك بيـــد البرتازى.

" لقد قطعنا آلاف الأميال مع بعض يا البيرتـــازى ، وأنـــا آسف أن نهاية الرحلة قد حان موعدها بهذه الصورة . "وأنا أيضـــا ما كنت أتمنى هذه النهاية " ثم عاد ليضيف " حظا سعيدا يا سيدى".

وفى إيماءة أخيرة لوح نيكسون لجمهور المستقبلين بالقــاعدة ودلف إلى الحوامة ، التى بدأت محركاتها تدور بقوة وما لبثـــت أن بدأت ترتفع ببطء محدثه صوتا عاليا ثم اكتسبت سرعتها وانطلقـــت إلى هدفها.

من الهليوكوبتر ألقى نيكسون بنظره أخبره علــــى طبــائرة الرئاسة بلونيها الأزرق والأبيض وشعارها المميز بكلمات "الولايات المتحدة الأمريكية " ورفع يده لألبرتازى الذى ظل واقفا متطلعا إلــى الهليوكوبتر . الذى رد عليه بتحية عسكرية من ضابط لقائدة .

واستدارت الهليوكوبتر فى اتجاه منزلة فى سانت كليمنتـــى للواقفين على أرض القاعدة صارت مجرد نقطة فى السماء الصحــو وما لبثت أن اختفت من الأنظار.

وصل رينشارد نيكسون أخيرا إلى منزلة الخاص ، وحـــان الوقت بالمثل لطائرة الرئاسة أن تعود إلى مقرها فى واشنطون.

الفصل الثانى

البساط السحرى

هناك سحر خاص للطائرة Air force one. فــهى تثــير إعجاب راكبيها من الرؤساء، وتبهر الأسرة المالكة عنــد زيارتــهم فى إنجلترا وغيرها، وتنتزع إعجاب أفراد الشعب فـــى الجــولات الانتخابية. طائرة لها من إمكانيات الرفاهية تثــير إحساســاً لــدى راكبها بالقوة والمتعة.

فقط رئيس الدولة له الحق بالتمتع بهذه المتعة من الســلطة والإحساس بالتميز، فــ Air force one شبيهة بحصن طائر تصل بمدى سلطته إلى ابعد مما كان يحلم به أى قيصر فى القديم، وهــى تفى بغرض الرمز القومى، رمز للولايات المتحدة كدولــة متفــردة تمثل دولة الحرية والقانون، فأثناء طيرانها إقلاعا أو هبوطــا تثــير إحساس الفخر الذى يشعر به الأمريكى عند رفــع علــم الولايــات المتحدة فى عيدها القومى فى الرابع من يوليو.

لكنها من ناحية أخرى بمثابة "لعبة" الرؤساء، تنتج لهم متعة وحس المغامرة يضاف إلى كافة مزايا المنصــب الفخــم. رئيــس الولايات المتحدة. فهذه البوينج الفخمة المنطلقة فى أرجــاء العــالم تحرره من ضيق وتزمت المكتب البيضاوى. طائرة قادرة أن تنقلــه

فى رفاهية إلى أى دولة بعيدة تتطلب المحادثات والانتقال إليها وكذلك التحرك إلى أى منتجع يختاره فى ولاية جورجيا مثلا أو غيرها.

قصة سفر رؤساء أمريكا إلى الخارج لم تبدأ إلا بعد أن أبحر تيودور روزفلت إلى باناما ١٩٠٦. وخلال الـ ١١٧ سنة السابقة كان الرؤساء حبيسى حدود الولايات المتحدة، ولم يغامر أى منهم بالخروج من هذا النطاق أكثر من مرة حتى بدأ فرانكلين روزفلت سفرياته. لم يكن الإحجام عن السفر ناتج عن عدم رغبة فى معرفة العالم الخارجى، بل نتيجة ما تصور هؤلاء من دواعى الواجب الوظيفى التى تلزمهم بالبقاء داخل أمريكا لاتخاذ القرارات الهامة للدولة، بل أن الرحلة الأولى لتيودور روزفلت بحراً إلى باناما كانت مثار انتقاد. إذ كيف يبقى رئيس أمريكا بعيدا عن العاصمة واشنطون هذه المدة، وهى بالمناسبة لم تكن أكثر من ساعات معدودة، بل أن وودرو ويلسون، أول رئيس يعبر المحيط كان عرضة لنقد شديد لاعتزامه حضور مؤتمر السلام فى باريس فى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد تقدم السيناتور (عضو مجلس الشيوخ) عن ولاية الليونى بمشروع قانون باعتبار منصب الرئاسة خالياً أثناء غيابه، وهو ما أدى إلى تكوين ما سمى بمقاطعة كولومبيا، وهى الموقع الذى يشمل واشنطون حاليا، بحيث أن سلطة

الدولة لايمكن أن تمارس إلا داخل العاصمة واشنطون. ولحسن حظ الرئيس ويلسون إن اقتراح عضو مجلس الشيوخ المذكور لم ينل الأغلبية الكافية، لكن ظلت المناقشات دائرة مع ذلك في الصحف ووسائل الإعلام، لأن الرئيس لن يغيب فقط عن أمريكا، بل خارج نطاق نصف الكرة الأرضية الغربي، ولمدة طويلة خلالها لن يتمتع بالحماية المطلوبة لرئيس الدولة، وسيكون عليه اتخاذ قرارات هامة معتمدا على تقديره الشخصي وحده، وفي مواضيع ذات طابع دولي.

ومع ذلك سافر ويلسون ليكون أول رئيس يشترك فيما سمي بعد ذلك "دبلوماسية القمة" ، لكن مجلس الشيوخ رفض بعد رجوعه إن يقر معاهدة فرساي وعصبة الأمم، وهي المقترحات التي عاد بها ويلسون من أوروبا إلا أن غيابه مع ذلك لم يفقده الاتصال ولا الإحساس بقضايا بلده ولا أثر في قدرته على اتخاذ القرار المناسب حيالها.

ومضت ٢٥ سنة أخرى قبل أن يجرؤ رئيس أمريكي آخر أن يغادر الولايات المتحدة، وهو فرانكلين روزفلت الذي سافر إلى الدار البيضاء ١٩٤٣، ليجتمع مع ونيستون تشرشل وكان حصيفا بأن سافر دون إعلان سابق عن رحلته وسافر جوا.

وكان هذا هو الفارق الكبير ...

وسنجد أن الفاصل الزمنى لرحلة روزفلت الأولى التى استعار فيها طائرة من شركة TWA والرحلة الثانية التى أقلت رئيس أمريكى على متن بوينج خاصة به أقل من عشرين عاما ومع ذلك فإن هذا الفارق بين سفر الـ Dixie Clipper ورحلة الـ Air force one كان فارقا كبيرا ، كالفرق بين رحلة على الأقدام ورحلة أخرى بعربة فارهة تجرها الجياد.

ونفس اسم "طائرة سلاح الجو رقم (١)" نفسه يحتاج إلى تفسير ، لأنه قد يثير نوع من عدم الفهم أو عدم الدقة فى التعبير.

فلنبدأ بالقول أن Air force one ليست بالمفهوم الحرفى هو اسم طائرة بذاتها، بل هى بالأحرى "أية طائرة" تابعة للولايات المتحدة، يكون الرئيس هو راكبها الأساسى.

فالاسم لا ينتمى إلى نوع الطائرة أو طرازها، بل إلى راكبها الشخصى الهام الذى يستقلها، وهو رئيس الدولة.

وفى الرحلات الأولى لطائرات الرئاسة كان النداء اللاسلكى للطائرة (الذى ينادى به برج المراقبة عليها) واسم الطائرة نفسه متلازمان؛ لأن النداء اللاسلكى كان لصيقا بالطائرة وهو اسمها الرسمى.

لكن فى استطاعة أى رئيس أن يختار للطائرة اسما يحلو له أن يطلقه عليها. أى اسم يداعب خيال رئيس الدولة أو حتى قائدها ،

أو رجال الصحافة. روزفلت سماها "البقرة المقدسة"، لكـــن ندائـــها اللاسلكى الرسمى الذى يكتب فـــى خطـــة الملاحـــة الجويـــة هـــو 42-107451 قبل هذا الاسم كان يكتب "قوات جوية" عندما تطـــير فى رحلات روتينية ، وعندما كان يستقلها أحد كبار رجال الدولـــة أو شخصية هامة كوزير الخارجية أو رئيس الأركان ، كان يســـبق حروف النداء "رحلة خاصة" أو SAM وهى الحروف الأولى لـــ Special Air Mission.

هارى ترومان أطلق اسم "الاستقلال" علـــى طائرتـــه مـــن طراز DC6، بينما حروف ندائـــها كـــانت "SAM 7885"، أمـــا الرئيـــس إيزنـــهاور فقـــد كـــان يســـتقل طائرتـــان مـــن طـــراز "SAM 8610" ، "SAM 7885".

هذا الرقم الذى يكتب على ذيل الطائرة يستخدم الآن بالنسبة للطائرات الحربية أو الخاصة أو الرحلات التجارية.

لكن فى منتصف الخمسينات، وقت حكم إيزنهاور لم يكـــن هذا الذيل وسيلة فعالة أو سريعة لكى يعرف رجال المراقبة الجويـــة والطيران عموما ما إذا كانت هذه الطائرة تقل رئيس بالدولـــة أم لا وبالتالى تم التفكير فى إطلاق اسم: "طائرة سلاح الطيران رقـــم (١)" كنداء متفرد وشخصى لطائرة الرئيس فقط ، وكان هذا التفكير له ما يبرره.

لأنه فى عصر حمل احتمالات استخدام القوة النووية والصواريخ العابرة للقارات. بالتالى كانت شخصية الإنسان الذى فى سلطته إطلاق كل هذا، أى الرئيس الأعلى للقوات المسلحة يجب أن تميز، فأصبح هذا التعبير وهو إطلاق اسم Air force one على طائرة الرئيس عندما يكون موجودا فى داخلها أمرا ضروريا لكى يعرف كل المسئولون فى الدولة إذا كان الرئيس الأعلى للقوات المسلحة بسلطاته اللامحدودة على الأرض أو فى الجو ومن ثم فمنذ اللحظة التي يدخل فيها رئيس الدولة "أية طائرة" وإلى لحظة مغادرتها ، تحمل هذه الطائرة اسم Air force one ، وبالمثل تم تطبيق نفس الإجراء على أية طائرة هليوكوبتر تقل الرئيس من البيت الأبيض إلى القاعدة الجوية التى سيستقل منها طائرة أخرى تصبح الهليوكوبتر Air force one أو "Army one" ، وإذا استقل أية طائرة تابعة لسلاح البحرية يصبح الاسم "Navy one".

هذا النظام ملزم لكل من القوات المسلحة ورجال الدول المسئولين فى كافة القطاعات ولوحدات لدفاع الجوى ، ووحدات المراقبة الجوية فى الداخل ، وبالتنسيق مع الدول الأخرى يصبح ملزم بالخارج أيضاً.

تبع ذلك أن هناك اسما مميزا آخر لطائرة أخرى وهى "طائرة سلاح الطيران رقم (٢) وهى خاصة بنائب الرئيس ،

ويطبق حيالها نفس الإجراءات ونفس النظام المتبع مع طائره الرئيس ، مع فارق أن المتعامل معها يعرف أن الذى ينقلها هو نائب الرئيس فقط ، وليس أكثر.

وقد أطلق الرئيس كينيدى على طائرته "Caroline " اسم ابنته. وكانت من طراز دوجلاس DC 6 ذات أربع محركات.

بينما لمع اسم Air force عندما تسلمت الرياسة أول طائره نفاثة من طراز بوينج سنة ١٩٦٢ والتى صنعت خصيصاً بمواصفات معينة نفس بمتطلبات رئيس الدولة فقط . وكانت طائره فى منتهى الجمال . تحفه زينة .. وما زالت.

إن مهام الرئيس ، ويجب ألا ننس هذه الحقيقة لكفيله بتحويل أى إنسان يتحمل مسئولياتها إلى إنسان مرهق حيث هو محتجز داخل المكتب البيضاوى يدرس ويتخذ قرارات هو مسئول عن نتائجها ، وبالتالى فهو مجهد جسديا ، ثم يجب أن يفكر ويناقش كافة القضايا الهامة ، وبالتالى فهو مجهد عقلياً.

ومن هنا يتحول البيت الأبيض إلى سجن ضخم . لكن فى العصور الحديثة نشأت تلك الرفاهية والفخامة التى تحيط بهذا المنصب كنوع من التعويض فنوع الحياة التى يحياها رئيس أمريكا اليوم ، مع توافر إمكانيات العصر الحديث ، تفوق من حيث الرفاهية والمتعة أية حياة يمكن لملياردير أن يحياها ليس بالنسبة

لهو فقط ، بل لعائلته ، وتفوق في وسائل الراحة والتدليل أى حيـــاة لأى حاكم على وجه الأرض حتى الملوك.

فمن ذا ، غير رئيس أمريكا ، تحت إمرتـــه أسـطول مـــن طائرات نفاثة وهليوكوبتر وطائرات نقل أثـــاث ، يمكـــن بطـــرف إصبعه وضعها تحت إمرته أي قيصر أو ملك ذلك الذى يجد فى أى وقت نفاثة ضخمة أو هليوكوبتر خاصة جدا بوسائل اتصال مذهلـــة ملك يديه فى أية لحظة يروق له مزاجه استخدامها. إن هذه الروعـة التى تشبه بذخ حياة لإمبراطوريات القديمـــة ، أصبحـت لصيقـــة بالمنصب الضخم "رئيس أمريكا".

ولا تتخيل كما يرغم البعض ، أن رئيـــس الدولـــة عندمـــا يستلقى مسترخياً فى صالون الخاص بطائره الرئاسة سيكون همـــه الأول مناقشة شئون الدولة وقضاياها فلا يوجـــد رئيـس أمـــيزيكى يستقل طائرته البوينج لأنه يستطيع أن يفكر بصـــوره أفضـــل فـــى هموم الدولة وهو فوق السحاب. فوق السحاب ينتابك إحساس أنـــك خارج نطاق التزامات المكتب البيضاوى والبيت الأبيض.

لكن من ناحية أخرى ، لا يوجد رئيس دولة لا فى أمريكـــا أو غيرهما ، فى قدرته أن يبتعد عن مسئوليات منصبه حتـــى وأن كان طائرا. المسألة نسبيه فقط. لذلك قام رجال الرئيس فرانك ليـــم روز فلت بتزويد طائرته ، كما تم تزويد أية طائره ينقلها الرئيـــس

بأحدث وسائل الاتصال المتقدمة وأكفأ أجهزة استماع ، وعدد من المبرقات ، وأماكن وافية لعدد مطلوب من المساعدين والمسئولين استعدادا لأى طارئ أو انتظاراً لقرار هام وعاجل. وبرغم أن قرارات هامة قد اتخذت فعلا خلال الخمس وثلاثون سنة الماضية على متى طائره الرئاسة ، إلا أن هذا كان بحكم الضرورة أكثر منه بحكم رغبة الرئيس فى ذلك ومع ذلك لا يجب أن يغيب عنا حقيقة أن طائره الرئيس ليست بديلاً عن البيت الأبيض ، هى فى أحسن الأحوال ، كما قصد من استخدامها منذ البداية ، مجرد وسيلة سريعة تنقل الرئيس من مكان إلى مكان بالحد الأدنى من قدراته على قيامه بواجباته الرئاسية.

بالطبع ، باستثناء الرحلات إلى المنتجعات الترفيهية.

غالبا فى الواقع ، ما تكون الرحلات الجوية للرئاسة لحضور تجمع انتخابى مع أصدقاء قدامى ، أو حضور توقيع معاهدات وما يصاحبها من احتفالية فى دولة أجنبية ، أو الاشتراك فى مناسبة دبلوماسية هامة والحالة المزاجية المصاحبة للرحلة تحدد طبيعتها ، وتحدد أيضا نوعية المسئولية الذين يختارهم لمصاحبته فى هذه الرحلة أو تلك مثلا لو كانت الرحلة لدولة أجنبية لمناقشة مواضيع سياسية ، سنجد الرئيس قد اصطحب بالطبع كتاب خطبه ، وستجده دائم المراجعة للنص ، ويطلب معلومات دقيقة عن

الموضوع ، يناقش ويعيد المناقشة ويصحح ، طبعا بمعاونة المتخصصين فى هذا الأمور بالبيت الأبيض.

من ناحية أخرى لو كانت رحلة عادية أو الأغراض اكتساب شعبيه لانتخابات قادمة ، نجده يصطحب أعضاء مجلس شيوخ وشخصيات هامة من الولاية التى سيزورها، ويتجاذب مع الجميع أطراف الحديث بود، محاولا أن يلتقط قصة طريفة هنا ، أو حادثة مسليه هناك ، وبالطبع يجتهد لمعرفة آخر أخبار الولاية أو المكان المتجه إليه اهتمامات الناس ، توقعاتهم ، آمالهم طبعا أى عضو مجلس شيوخ أو حاكم ولاية تكون مكافأته الطبيعة أن كل الناس سيشاهدنه فى معية الرئيس هابطا من Air force one أهم طائرة فى أميريكا. خاصة أفراد دائرته الانتخابية وأصدقائه. حتى أضعف السياسيين وأقلهم أهمية ، هذا المشهد سيضفى عليه نوع من الأهمية. ولن يكون غريبا أن يذكر عرضا فى حديثه مع أهل بلدته جملاً مثل "وعندما كنت مع الرئيس فى طائرته اقترحت عليه كذا وكذا ...... "

لكن الرحلات للدول الأجنبية لها طابع آخر مختلف لن يكون من المهم خطاب المجاملة عند الوصول كلها متشابهة الأهم ، دراسة تقارير أجهزة الأمن القومى ووزارة الخارجية وتقارير السفراء ، حتى يكون مستعدا عند مقابلته رئيس الدولة الأجنبية

ورجاله الذين سيقابلهم فيما بعد. من المستحسن بالطبع أن يصطحب معه في Air force واحد أو أكثر من قاده القوات المسلحة كنوع من الفخامة. وقد يحن للرئيس أن يسأل مترجمه أن يعلمه بعض الكلمات والجمل باللغة المحلية للبلد المتجه إليه حتى يجعل المقابلات تتسم بروح الفرح. جون كينسدى مثلا عانى كثيرا لكى يحفظ عن ظهر قلب بعض كلمات التحية والمداعيه باللغة الألمانية الصعبة فى أول رحله له إلى ألمانيا.

لكن بالطبع يكافئ الرئيس عادة نفسه بعد هذا الجهود برحلة ترفيهية إلى منتجع سياحى فى الغابات أو على شاطئ البحر أو فى الريف الهادئ. لكن مع ذلك ، يطلق رجال الرئيس على مثل هذه الرحلات الناعمة والممتعة اسما فيه نوع من التمويه مثل " رحلة عمل لنهاية الأسبوع " أو " أجازه تنشيطية ليندون جونسون مثلا كان يبذل مجهودا حقيقياً حتى يبدو أمام رجال الصحافة أنه ليس في أجازه لكن فى عمل متواصل. وكان من عادته القول " أنا لست فى أجازه . أنا أعلم هنا أكثر من عملى فى البيت الأبيض.

ولكى تتم الصورة المطلوبة ، تجد طائرات ذهبه وقادمة من البيت الأبيض تحمل أكواما من الأوراق ، مفروض أنها هامة تنتظر توقيع الرئيس ثم رحلات أخرى تحمل مسئولين حكوميين معهم ملفات .... الخ.

لكن في الواقع ، معظم هذه الرحلات إلـــى مقــر الرئيــس الصيفي أو في أى مكان آخر يستريح فيه ، هي مظهريه أكثر منــها لغرض العمل.وسواء كان الرئيس في ميســوري أو فـــي ملاعــب الجولف في أوجاسئا ، أو منتجع في جورجيا ، أو كيب كـــود ، أو تكساس . فان الرحلة بواسطة Air force إلى هذا الأمــاكن هــى أكثر الرحلات الترفيهية التي تستخدم أضخم وسيلة مواصلات علــى ظهر الأرض. لكن هذا لا يمنع أنه في مرات معدودة كـــانت تقــع أحداث هامة على متن طائره الرئاسة. ففي طائره ترومان " البقــرة المقدسة " كما كان يسميها تمت المناقشة النهاية وتوقيع قانون الأمــن القومي سنة ١٩٤٧ ، وهو القانون التي تنص مواده على ضم كافــة أسلحة القوات تحت إمرة وزارة الدفاع وعلى متن الطائرة "Colom bine" أنهى إيزنهاور دراسة مشروع "الذرة مـــن أجــل السلام" الذى قدم بعد ذلك للأمم المتحدة في ديسمبر سنة ١٩٥٣ يــلى لقد طلب إيزنهاور في هذه الرحلة من بيرومودا إلى التحليق لفـــترة فوق نيويورك لكي يتم الأخصائيون طبع النسخة النهائية المنقحـــة على المبرقات الموجودة في طائرة الرئاسة قبل الهبوط وكان مـــن بينهم جون فوستر دالاس وزير الخارجية المعروف.

وفي أكتوبر سنة ١٩٦٣ أمر جون كينيدى بإرسال شـــحنة قمح إلى الاتحاد السوفيتي ، برغم أراء معارضة مـــن مستشـــاريه

ونائبه ليندون جونسون على متن الطائرة ، بغرض تحسين العلاقـة بين قطبى الكرة الأرضية آنذاك أميريكا والاتحاد السوفيتي.

وعلى رغم أن الرئيس جير الدفورد كان يحب السفر علـى طائرة " سلاح الجو رقم (١) " ، فان رحلاته لم تكن موفقه تماماً وتركت انطباعا أنه بطئ فى تحركاته ، خاصة الواقعـة المعروفـة وهي فقده لاتزانه أثناء الهبوط على سلم الطائرة فـي مـايو سـنة ١٩٧٥ عند وصوله إلى مطار سالزبورج فى النمسا ، وفى حضور مستقبلين من كبار رجال الدولة ، والمراسلين الصحفييـن وحتـى المصورين ، ثم فى نفس اليوم وأثناء صعوده فى درجات سلم قصر سالزبورج للضيافة فقد توازنه وكاد يسقط مره أخرى. وكـان مـن المفترض أنه سيسافر فى اليوم التالى لمقابلة رئيس مصـر أنـور السادات. مما ترك انطباعا عن شخصية بصفة عامة. وتوالت أسئلة الصحفيين النارية موجهه إلى سكرتيره الصحفى رون نيسن:
هل كان الرئيس متعبا ؟ هل أرهقته الرحلة إلى هذا الحد ؟ أو هـل ... وهل ...... ؟ ولم يستطع رون نيسن أن يقدم إجابـة مقنعـة أو شافيه.

وكانت صور "الوقعة" تصور الرئيس مستندا إلى كلتا يديـه وإلى ركبة واحدة ، ثم استطاع أن يصلب طوله فى وضع مسـتقيم مرة واحدة. لكن مراسل وكالة / اليونيتد برس وصف الحادثة بأنـه

لو لا مسارعة مساعدين إلى مساعدته لسقط من فوق سلم الطـــائرة وعددها ٢٠ سلمة.

في مذكرات السكرتير الصحفى رون نيسن ، قدم تفســيرا لسقوط الرئيس مرتين ، وهو أن عند المبيت فى أسبانيا متوجها إلــى النمسا ، كانت الأسرة فى قصر الضيافة في مدريد ، صلبة للغايـــة والمراتب ليست لينه ، وسرير الرئيس كان أقصر مما ينبغى فأمض ليلة بلا نوم تقريباً. وإلى جانب الإرهاق كان الرئيس يعــانى دون أن يعلم الصحفيين من إصابة قديمة كلاعب كرة قديم والإصابـــة فـــى الركبة.

لكن برغم كل هذه التفسيرات ، فكان مـــن الحــظ الســئ للرئيس فورد ، أن نظرات الجميع أصبحـــت الآن مســلطة علـــى سلوكه الشخص فى السير والصعود والهبوط فهو أولا وأخيرا رمــز الأمة بل بدأت الصحافة تركز أيضا علـــى تصريحاتـــه وأقوالـــه. وتوالت صور كثيرة للرئيس هــو " يخبــط" رأســه عنـد دخولــه الهليوكوبتر الخاصة به وهو يتخبط فى الأربطة التى يجر بها كلابــه أو وهو يحك جسمه أثناء سيره فـــى أحــد الممــرات المخصصـــة لرياضة المشى فى البيت الأبيض. وكانت مثل هذه الصـــور تدعـــم "تريقة" ليندون جونسون عنه أنه : "لا يستطيع أن يمشـــى ويمضـــغ اللبان فى نفس الوقت" وللأسف فإن تراكم هذه الصور ، جعلت منــه

مادة خصبة للصحافة كإنسان يفتقر إلى الذكاء المطلوب ، كما يفتقر إلى الرشاقة فى تحركاته.

وعوده إلى الرحلات الرئاسية إلى المنتجعات والمصايف نذكر أنه ليس كل الرحلات كانت تمض دون أحداث هامة تستدعى الانتباه والدراسة ، فأثناء رحلة مماثلة للرئيس كينسدى من كيب كود تلقى على مبرقة الطائرة رسالة مضمونها أنه قد تم سقوط طائرة داج همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة فى الكونغو. ويذكر قائد الطائرة فى هذه الرحلة مدى معاناة كينيدى ومساعديه فى إعداد كلمة سيلقيها الرئيس للجمعية العمومية للمنظمة الدولية ، وكيف أن الصحفيين على متن الطائرة كانوا يشكلون عائقا وضيقا لمساعدى الرئيس بتزاحمهم لمعرفة مزيد من الأخبار بينما الرئيس يريد أن ينتهى من مراجعة خطابه.

وفى منتصف الستينات بينما طائرة ليندون جونسون تعبر سماوات المحيط الهادى ، وصله نبأ رفض رئيس فيتنام الشمالية لعرض السلام الذى كان قد تقدم به إليه.

وبينما ريتشارد نيكسون فى رحلة ترفيهية إلى منتجعه المفضل بولاية كاليفورنيا ، تم إبلاغه بالمبرقة أن كبير قضاة المحكمة العليا وارين بيرجر قد تم تعينه بواسطة اللجنة القانونية بمجلس الشيوخ لنظر فى قضية ووتر جيت التى انتهت باستقالة

نيكسون المعروفة. وبينما جير الدفورد مستمتعا برحلة على متـــن Air force one متجها إلى استراحة فى بالم سيرنجز ، سلمه أحد المعاونين مظروفا بنى اللون ، داخله برقيه مفادها "سقطت دانانج" وكانت حرب فيتنام تنبئ ببداية هزيمة الولايات المتحدة هناك.

وفق غابات الأمازون فى ربيع سنة ١٩٧٥ تم إبلاغ جيمـــى كارتر أن أباطرة مصانع الصلب قد تحدوه ورفضوا طلبه بتثبيــــت أسعاره ، وقرروا زيادة أسعاره لتبدأ موجة من التضخم حـــاول أن يتفاداها. ولم يستطع كارتر المهذب مـــن أن يطلـــق لعناتـــه علـــى أصحاب المصانع جميعا.

ثم نجد أن بغض النظر عن شـــخصية الرئيـــس ومزاجـــه ورغباته ، فهناك خاصية لصيقة بـــ Air force one من النـــادر أن تتغير : فقد يتغير مظهر الطائرة من الخارج أو يتغير طاقمـــها ، أو حتى مراسم استقبال الرئيس عند الوصول. لكن تبقـــى راســـخة إجراءات الأمن عند الإقلاع أو الوصول. وكان من حكمة الرؤســاء أنهم يتركون هذه المسائل للمختصين لترتيبها.

ففور صعود الرئيس إلى داخـــل الطـــائرة ، مثـــلا ، فـــإن الصندوق الأسود الذى يحوى فى داخله شـــفرة الحـــرب النوويـــة ستجده قد تم وضعه فى خزينة محكمة بكابينة القيادة . وكان يطلـــق عليه من باب التندر "الكورة" ويظل هناك فى حراسة حتـــى لحظـــة

هبوط الرئيس ، سنجد المختص محتضننا إياه ، دون أن يلاحظ أحـد ودائما قريبا الوصول إليه خاصة فى عاصمة أجنبية. فعند وصـول جيرالد فورد مطار باريس ، نسى المختص حمل الحقيبة السـوداء "الصندوق" فسارع مساعد الرئيس الحربى الذى لاحظ ذلـك بعـد انتهاء مراسم الاستقبال بالاتصال بطاقم القيادة ، وتم حمل الصندوق البالغ السرية على الفور إلى سيارة خاصة تتبع سيارة الرئيس فـى موكبه المتجه إلى العاصمة الفرنسية.

ودائما رحلات الرئيس تكون طائرتـه مصحوبـة بطـائره أخرى أو أكثر تحمل الصحفيين. وهى مسـئولة مديـر الانتقـالات والمواصلات بالبيت الأبيض.

صحيح أن الرؤساء يشكون دائما من ملاحظة الصحفييـن لكل تصرفاتهم ، لكنهم يعلمون بالتأكيد أن ليس هناك حياه سياسـية لأى رئيس دون وسائل الإعلام.

ولمساعدة الرئيس فى معرفة صورته المقدمة إلـى الأمـة يحرص طاقم الطائرة بتزويد جناحه بعـدد وافـر مـن الصحـف والمجلات . ومعروف عن الرؤساء فهمهم للاطلاع على كـل مـا يخصهم فى وسائل الإعلام ، حتى وأن كان بعـض مـا يكتـب لا يروق لهم.

مثلا جون كينيدى كان عندما يجد تقريرا صحفيا فيه تجنى ومخالف للواقع كان يستدعى بير سالنجر ، سكرتيره الصحفى ، كى يبلغ الصحفى المعنى ، إذا كان على متن طائرة الصحفيين المرافقة ، عدم رضائه عما يكتب أما ليندون جونسون فكان أكثر عصبيه كان يطبق الجريدة ويلقيها بعيدا عنه فى غضب صائحا فى مساعدة "ابعد عنى هذا الشىء الكريه" أما نيكسون أكثر الرؤساء تعرضا لهجوم الصحافة فكان أهدأ فى رد فعله ، فعن طريق سلسلة متدرجة من مساعديه كان يبعث برغباته إلى المسئول عن إعداد الصحف والمجلات فى صالونه الخاص بالطائرة ، مثلا "لا توضع لواشنطون بوست أو النيويورك تايمز ضمن ما أحب أن أقرأه ". وكان البرتازى قائد طائرته واعيا تماما لرغباته. فكان البرتازى بحكمته يحتفظ بنسخ الجريدتين فى مكان بعيد عن نيكسون ، لكن الرئيس كان يعلم أن بوسعه الإطلاع على أى منهما فى أى وقت.

فى جزء مؤخره طائرة الرئاسة ، مكان لبعض الصحفيين يرافق الرئيس إلى جانب الباقى بطائرة الصحفيين التى تتبعه البعض كان يحسد هؤلاء الصحفيون على هذه المكانة ، بينما فى الواقع الجزء المخصص لهم فى العادة مزدحم وضيق. وعندما ازداد الهجوم على نيكسون كان يسميه الركن "ذو الرائحة الكريهة"

فكان قدامى الصحفيين الكبار دوى التجربة يفضلون أن يستقلوا طائرة الصحافة مع زملائهم ، عن مرافقة الرئيس وصحبه في طائرته ، خاصة أنه كان من غير المسموح لهم بالتجول داخل الطائرة أو التوجه إلى مساعدى الرئيس لالتقاط أخبار أو أحاديث.

وفي الحقيقة صفه " طائرة الصحافة " ليست دقيقة ، فقد كانت هذه الطائرة تضم عددا من مساعدى ورجال الخدمة في البيت الأبيض إلى جانب موظفى البيت الأبيض المسئولين عن الإدارة العامة للصحافة به.

والمواصلة الطائرة هذه للصحفيين ليست مجانية لأن طائرة الصحافة تكون مؤجره عاده من إحدى شركات الطيران ، ولا يملكها البيت الأبيض وبالتالى كان على الصحفى أو المراسل أو ممثل محطة التليفزيون الذى يتم اختياره للسفر عليها بدفع ثمن تذكرة أعلى بنسبة ٢٥% من سعر تذكره الدرجة الأولى لنفس الرحلة ، وأحيانا تصل الزيادة إلى ٥٠% إذا كان العدد قليل من الصحفيين. فسفر الصحفى هو لفائدة جريدته أكثر منه لفائدة الرئيس.

وأحيانا ، كما حدث في رحلة ليندون جونسون الطويلة سنة ١٩٦٦ ، أحيانا ما يجد الصحفيين أنه لم يتم حجز أماكن كافية لهم في الفنادق ، وهى مسئولية قسم الصحافة بالبيت الأبيض ، ويتم

حشر أكثر من صحفى فى غرفة ضيقة فمسئول الصحافة فى البيت الأبيض من مهامهم تدبير وسائل مواصلات وأماكن بيت وإعاشة فى المدن المتجه إليها طائره الرئيس.

وقد تحسنت ظروف تقديم الطعام وإعداده فى طائراته الرئاسة منذ إتمام تجهيز طائرتى SAM 27000 و SAM 26000 فقد زودت الطائرات بأفران ميكروويف تضمها أحدث صيحة في المطابخ المصنعة خصيصا للطائرات ، فقل اعتماد مساعدى الرئيس على الوجبات الجاهزة التي كان يتم إعدادها فى السابق فى القواعد العسكرية التى كانت تنطلق منها رحلات الرؤساء زودت الطائرات أيضا بديب فريزر وثلاجات لحفظ كافة أنواع اللحوم والخضروات المجمدة ، والفواكه ضمها الجزء الخاص بالبضائع . وتم شراء أطقم فاخرة من الأطباق الصينى والأكواب الكريستال لاستكمال احتياجات المطبخ.

واختلفت قوائم الطعام "Menu" من رئيس لآخر أيام كينيدى كان الاختيار عموما مهمة كبير الطهاة وقائد الطائرة.

فى عهد نيكسون كان يحدث خلاف بين اختيارات كبير الطهاة ورجال البيت الأبيض لدرجة استدعت أحيانا تدخل البرتلزى كبير الطيارين.

وأيام كارتر لم يجد كبير الطهاة أيـــة صعوبـــة ، فكـــانت الموافقة على ما يختار من شراء لأنــواع اللحــوم والخضــروات وإعدادها بكاد يكون تاما كل مره كان كـــارتر وزوجتــه يتســمان بالبساطة فى السلوك واختيار أنواع الطعام.

وبالمثل كان ترومان يلتهم أى شئ يقدم له. إيزنهاور اعتـــاد أن يأكل بشراهة إلى حد ما إلى أن قام بإجراء عملية ســـنة ١٩٥٦ وبعدها كان يصطحب معه دائمـــا ميـــاه معدنيـــة وميـــاه الصـــودا لمساعدته على الهضم. كينيـــدى كـــان يفضـــل أنـــواع الأســـماك وجونسون يفضل شرائح اللحم المشوى ويبلعها مع دايت صودا أمـــا نيكسون وفورد فكانا يفضلان أنواع مـــن الجبـــن المصنـــوع فـــى الريف. لكن بقى أقلهم رغبة فى اختيار طعام معين هو كـــارتر إلا أن أفراد عائلات الرؤساء كانت لهم أحيانا طلبات خاصـــة لأنـــواع تفضله من الطعام. أبنه نيكسون تريشيا كانت تفضل الهوت دوجـــز (سجق) ويحرص دائما كبير الطهاة على إعداده لها ، بينما يتنـــاول الآخرون قطع الإستيك ولحم الخراف المشوى ، أو الدجاج المتبلى ، وطبعا " طباخ السم بيدوقه " فكان كبير الطهاة يحتجز لنفسه أحيـــان شريحة أو اثنان من الاستيك المشوى.

هذا بالنسبة للمأكولات التى كانت تقدم للجميع بنفس الكميـــة والشكل. فى المشروبات الأمر يختلف قليلا مثلا فى رحلة كـــارتر

مايو سنة ١٩٧٨ وهى رحلة سافارى لمـــدة أســبوع فـــى أمريكـــا اللاتينية ،ثم أفريقيا السوداء ، ضمت قائمـــة المشـــروبات وقائمـــة الإفطار أنواع مختلفة برغبة الجميع، وكان كارتر يصطحب وزيـــر خارجية سيروس فانس وعدد كبير من طاقم البيت الأبيض وعـــدد معين من الصحفيين.

- عصير برتقال
- شرائح شمام وبطيخ
- شراب فرنسي (داخله عسل نحل)
- بيض مضروب ومقلى (للإفطار)
- سجق بمختلف أنواع
- عيش فرنسى بالزبد
- عصائر متنوعة وجيلى وقطع زبد
- قائمة من المشروبات الإضافية للاختيار.

والغريبة أنه ، بعد راجعنا ما طلبه الرئيس من باب حب الاستطلاع وجدناه اكتفى بـــ : كوب عصير ثم فنجان قهوة .... فقط ...

كان يخدم SAM 26000 الطائرة البديلة لطائره الرئاســـة أربعة طهاة ، لكن طائرة نيكسون الأساسية SAM 27000 كـانت تضم ستة طهاة وخدمة معاونة ومع ذلك فحجم العمل لـــم يخـــف ، لأن عدد مرافقى نيكسون زاد وزادت طلباتـــهم ففـــى رحلـــة مـــن

واشنطون إلى نيويورك (ساعة طيران فقط) كانوا يطلبــون وجبــه غذاء كاملة بل ويتدخلون فى اختيار أنواع الوجبات وأنواع النبيــذ المقدم ويبدو أنه فى عهد نيكسون كان كل من على طائرته يعمــل فى مجال التغذية. مثلا فى رحلة عودة من كاليفورنيا يوليــو سـنة ١٩٧١ ، قام رجال البيت الأبيض المرافقين لنيكسون بتغير قائمــة الطعام فى آخر دقيقة مما أضاف عملا مرهقا على طاقم الضيافــة وقبل مغادرة كاليفورنيا لم يحلو لهولدمان كبــير موظفــى البيـت الأبيض إلا أن ينبه على كبير الطهاة شراء وجبات مكسيكية برغــم كل الطعام المكسيكى الحريف الذى التهم فى فــترد الإجــازة فــى مطاعم كاليفورنيا فاضطر. طاقم Air force لإرسال من يشــترى كمية وافيه من طعام التــاكو ، والخضــروات المتبلــة الحريفــة ، والسجق المكسيكى المتبل بالفلفل الأخضر .. إلى آخر القائمة وكــان طاقم الطائرة هذه المرة مسئول مع كبير الطهاة لأن أى طعام يتــم شراءه من الخارج (المطاعم العادية) يجب أن يفحص بدقة من قبـل طاقم الطائرة .

وأحيان ما كان نيكسون يتخابث فى طلباته إذا كــان يحــب أنواع معينة يقدمها مطعم فاخر فى واشنطون يسمى "Trader vic" يقدم وجبات معده خصيصا من الطعام الصينى والبولنــدى فكــان نيكسون يوحى لمساعد هولدمان كبير موظفى البيت الأبيض ، لكــى

يطلب باسم هولدمان وليس باسمه قائمة مشابهة لما يقدمه مطعم "Trader Vic" المشهور. وكان له فرع معروف في هليتون واشنطون امتاز بالرفاهية الزائدة.

بعض أنواع الطعام الفاخر الذى يتم شراؤه من الخارج يدفع جزء من ثمنه أفراد طاقم البيت الأبيض الذى طلبه على متن الطائرة وكان هولدمان بطبيعته مستغلا في هذه النقطة ، فقد اصطحب في إحدى الرحلات زوجته وأولاده ثم اشتكى بعد ذلك من الـ ٢٤ دولار التى اضطر أن يدفعها ثمنا لطلبات زائدة كانت ستكلفه أضعاف ما دفع لو تناولها في مطعم عادى ، لكنه كان لا يخجل ("فراغة عين" بلهجتنا المصرية .... المترجم) من نوادر الطعام أيضا أن الصحفيين المرافقين بطائرة الصحافة كانوا يتمتعون بأنواع ... الطعام أشهى وأحسن مذاقا مما كان يقدمه مطبخ الرئيس ، لأنهم كانوا يطلبون وجباتهم من الخارج ، وبالمثل نوعية المشروبات الكحولية من ويسكى ونبيذ وحدث أن أختار نيكسون أحد الصحفيين كمساعد لشئون الصحافة معه في رحلاته الرئاسية وكان اسمه جون إسكالى. بعد عده رحلات بدأ يشكو لكبير الطيارين البرتازى من ردائه الطعام المقدم فه فى طائره الرئاسة بالمقارنة بالطعام الشهى الذى كان يتناوله فى السابق بطائره الصحابة. ولما زادت الشكوى عن حدها أحب البرتازى أن يلقنه

درسا فى الأدب. فأرسل فى طلب إحدى الوجبات المعدة فى طائرة الصحافة قبل إقلاعها وأحتفظ بها فى مطعم طائرة الرئاسة . وكانت تتكون من دجاج مطبوخ مع خضروات بينما طاقم البيت الأبيض قائمة تضم أنواعا مميزة من ضلع اللحم المشوى والمغموس فى الصلصة والبهارات وأصر البرتازى أن جون اسكالى بالذات لا يقدم له إلا وجبه الدجاج المطبوخ مع الخضروات.

ولم يشتكى جون سكالى بعد ذلك من ردائه طعام مطبخ طائرة الرئيس .ومن طرائف رحلات نيكسون أن بعض رجال البيت الأبيض أحيانا ما كان يترائى لهم أن الطاقم الطائر بالذات يتمتع بأنواع أكثر فخامة " وأطقم " مما يقدم لباقى العاملين المسافرين فى معية الرئيس، وتصادف فى إحدى رحلات الرئيس إلى فلوريدا أن زوجة مدير المخابرات التى كانت ترافق زوجها قد أعدت لنفسها ولزوجها نوع معين من التورتة، ووجدت أنه من الواجب كمجاملة أن ترسل قطعة منها إلى كبير الطيارين "البرتازى"، وبالصدفة دخل إدوارد هيجبى أحد موظفى البيت الأبيض الكابينة لطلب ما. فلاحظ وجود قطعة التورتة أمام البرتازى الذى فوجئ فى آخر الرحلة بمذكرة مقدمة لكبير موظفى البيت الأبيض يشكو فيها هيجبى "التفرقة فى المعاملة" بين الموظفين الإداريين وبين "طاقم الطائرة" فى وجبات الغذاء!!

وقد لاحظ لي سيمونز وكان وصيفا يقوم بتقديم الوجبات لركاب طائرة الرئاسة، أن تصرفات وطباع المحيطين بكل رئيس تختلف بطبيعة الحال. مثلا طاقم العاملين مع فورد كان أقل تكلفا وأكثر بساطة من أولئك المرافقين لنيكسون، ففورد وزوجته لم تكن لهم طلبات خاصة أو مميزة تفوق ما يقدم عادة لبقية ركاب الطائرة وفورد نفسه كان أكثر استرخاء وسماحة من نيكسون إذ كان يترك باب جناحه الخاص فى الطائرة مفتوحا لأى شخص يريد أن يدخل أو يخرج، وربما كان يجد متعة فى رفقه الجميع دون تميز.

ومع ذلك فهناك أحد الفروق المميزة بين طائرة الصحافة المرافقة وطائرة الرئاسة الأساسية إذ أن طائرة الصحافة، وفى الغالب مؤجرة من شركة TWA أو PN AM يقوم بالخدمة وتقديم الوجبات مضيفات يتميزن بالرقة والجمال، بينما الخدمة فى طائرة الرئيس يقوم بها الجنس الخشن، وربما بنفس الطريقة التى يخدمون بها فى سلاح الطيران!

وفى الحقيقة رجال الصحافة مع ذلك الذين يتم اختيارهم على متن طائرة الرئيس لهم بعض الحق فى الشكوى، لأن طاقم الخدمة على طائرة الرئيس همهم الأول إرضاء عائلة الرئيس ورجاله بينما رجال الصحافة، ومكانهم فى مؤخرة الطائرة، هم آخر

من يقوم الطاقم بخدمتهم، وليس بنفس العناية والاهتمام الذى ينالـــه بالطبع الرئيس ورجاله.

إن "التدليل" الذى يعامل به الرئيس فى الواقع على طـائرات Air force one ليس فقط بصفته زعيما للأمة أو رئيســها ولكــن الأهم بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة جميعا. الاحترام الزائــد للرتب العالية. فما بالك بالقائد الأعلى الذى يرأس جميع الرتب الذى يعتبر كل قادة الجيش وكل الأسلحة النووية تحت إمرته.

والرئيس كمسئول مدني، ربما كان من مخصصاته ســيارة ليموزين فاخرة مشابهة لما يستقله الملوك، لكن بصفته قائدا أعلـــى للقوات المسلحة، له وحده الحق فى تخصيص طائرة ســلاح الجــو رقم (١) بكل مزاياها والتى تتحمل ميزانيتــها وزارة الدفــاع فــى الولايات المتحدة وليست ضمن الميزانية المدنية التي يناقشها مجلس الشيوخ ويحذف منها بعض البنود التي لا يراها ضرورية حتى مــن ميزانية البيت الأبيض نفسه.

وبالمثل شبكة الاتصالات المعقــدة والحديثــة علــى متــن الطائرة Air force one تمولها القوات المسلحة وكذلــك اللوحــة المنظمة لمكالمات البيت الأبيض يمولها سلاح الإشارة، ومحطــات الإرسال والاستقبال للرسائل الهامة والمشيدة بجبال ميريلاند، تمــول من قبل الجيش. ومن ميزانية سلاح البحرية تكاليف منتجع كــامب

ديفيد، وأية سفن أو قطع بحرية لازمة لتأمين رحلات الرئيس البحرية ومن ميزانية القوات المسلحة يتم إعداد أسطول طائرات الهليوكوبتر للسفر والحراسة المرافقة للرئيس والتى طلب الرئيس كارتر طائرات البوينج المخصصة للبيت الأبيض وما يصاحبها من طائرات جيث ستار بديلة أو للحراسة ممولة من سلاح الطيران جميعها.

لو أن تكاليف كل ذلك تم تجميعه فى بند واحد لوصلت الفاتورة إلى رق مذهل كان يستوجب توجه الرئيس إلى الكونجرس لاعتماده، لكن بنود هذه الفاتورة موزعة على أسلحة كثيرة داخل القوات المسلحة، وربما كان لهذا السبب أنه لا يوجد أحد من الرؤساء أو حتى قادة الكونجرس طلب مناقشة علنية لتكاليف مواصلات وتنقلات وحراسة رئيس الجمهورية ؛ لأن رجل الشارع العادى سيذهل إذا عرف كم المبالغ المطلوبة لهذا المجال وحده والتى تخص بها الولايات المتحدة رئيسها كنوع من مظاهر الرئاسة المطلوبة لزعيمة العالم الحر.

ولكي يخفف رجال البيت الأبيض من أية أوجه نقد. نقسم رحلات الرئيس إلى: "رحلة رسمية" ثم رحلة سياسية ولكل نوع ميزانية مستقلة. وتبقى الرحلات بين الأبيض والأسود، لأن هناك دائما تداخلا بين ما هو رسمي وسياسي وشخصي.

كمثال لهذا التداخل عندما تكون الرحلة الرئاسية لتدعيم موقف أحد رجال الحزب في تجمع انتخابي لحزب الرئيس هنا نجد أن برنامج هذه الرحلة يشمل "افتتاح الرئيس لمشروع قومي أو وضع حجر الأساس لبناية تخدم الولاية، بحيث تتوه رحلة الدعم الانتخابية للحزب (وهي ليست مهمة رسمية أو قومية) داخل إنجازات رسمية يشجعها الرئيس بالسفر لافتتاح مشاريع أو مستشفيات ... الخ.

ونتيجة لتنبه الحزب المعارض والصحافة اليقظة لهذه الممارسات يطلب بعض الرؤساء أن يكون جزء من تكاليف الرحلة خصما من ميزانيته هو بالبيت الأبيض حتى لا يتحملها دافع الضرائب. وكم هاجمت الصحافة مثلا عائلة كارتر لرحلاتها المتعددة في أغسطس ١٩٧٨م إلى الغرب الأمريكي للصيد أو نزهة بالقوارب أو اكتشاف والتمتع بالمناظر الطبيعية.

ومن رأى رجال مكافحة التهرب الضريبي إن هذا التداخل بين ما هو رسمي وما هو شخصي شائع حتى مع أصحاب الشركات الكبرى والمليارديرات، إيجاد وسيلة لاعتبار ما أنفق تحت بند "المعفى قانونا" من الضريبة لطبيعة نشاطه، فالنفس الإنسانية واحدة.

ونجد المراقب المالى للبيت الأبيض لديه دائما قائمة بالمبالغ التى يجب خصمها بسبب رحلات غير رسمية تشمل تكاليف الوقـود وأجر الصيانة واستهلاك (معدل استهلاك) للطائرة، ولا يحسب أجر طاقم الطائرة؛ لأن مرتباتهم تصرف لهم سواء فى رحلة رسـمية أو غير رسمية.

فى نهاية عهد جونسون كانت تلكفة الساعة الواحدة طـيران كما حسبها المدقق (مراجع الحسابات) هـى ١٩٩٥ دولار، وهبـط الرقم أيام نيكسون الحريص إلى ١١٩٥ دولار. فى عهد فورد عـاد الرقم إلى ٢٠٠٠ دولار، ثم ارتفع فى عهد كارتر على غير المتوقع (ربما لرحلات عائلية ترفيهية) إلى ٢٣٢٧ دولار فى الساعة فسواء الرحلة للترفيه والاستمتاع أو للعمل الرسمى تكلفة طيران الطـائرة Air force one ليست قليلة بالقطع على الإطلاق.

فمثلا رحلة بسيطة لنيكسون ليتناول طعام الغذاء مع ابنتـه وزوجها الذى كان يدرس فى كلية أمهيرست غادر فيـها نيكسـون قاعدة أندروز الساعة ٥,١٧ وعاد السـاعة ١٠,٢٨ . حتـى هـذه الرحلة البسيطة كانت وزارة الدفاع وكافة أجهزة الأمن القومى قـد أخطرت بها ، وتكلفت ٢٩٩٢ دولار. ولحسن حظ نيكسون أن ابنته كانت طباخة ماهرة وإلا لكانت هذه التكلفة قد أنفقت لوجبـة غـير شهية.

إلا أن ميزانية وزارة الخارجية بالذات تكون كريمة إلى حد ما في نفقات كبار رجال الدولة ، لأن رحلاتهم كلها سياسية لخدمة سياسة الدولة الدولة، فمسئول ميزانية وزارة الخارجية في الرحلات لدول أجنبية يراعى سعر الدولار عند تحويله ، ويراعى أية نفقات غير متوقعة يضطر المسئول الكبير (فوق درجة معينة) أن ينفقها حفاظا على مظهره.

وقد تنبه البرتازى كبير الطيارين إلى هذا الموضوع مبكرا فقد علم من الجنرال جيمس هيوز المساعد الحربي لنيكسون أن هناك شيك بمائة ألف دولار خصصت له لشراء "بعض المشروبات لطاقم الطائرة".

وفي مرات أخرى "ضبط" طبيب الرئاسة في دردشة مع مرافقيه أن "مصروف الجيب هنا ممتاز" ، وقد احتفظ البرتازى بهذه المعلومات لنفسه حتى لا يثير بقية موظفى البيت الأبيض.

ومع ذلك فمهما تكن التكلفة البسيطة التي كان يتحملها الطاقم الطائر لطلبات شراب أو طعام خاص ، فإن السفر بطائرتي SAM 27000 ، SAM 26000 البديلة كان متعة. إذ تم تجهيز كل منها بأفضل ما يمكن أن تحمله أية طائرة بوينج مماثلة. المطبخ مجهز بأفخر أنواع الصيني والكريستال مورد من قبل بان أميركان طفايات السجاير وردتها لوفتهانزا من أفخر أنواع البلاستيك

الجاكيت وكافة مفردات زى الطاقم الطائر من بيت أزيـــاء شـــهير بواشنطون "شركة هاميلتون" فى سينسينانى بولاية أوهايو، والـــزى مجانى شتاء وصيفا.

ومن طرائف الرحلات الرئاسية أن أى وصيــف ســيلاحظ اختفاء عدة أكواب أو طفايات عليها شعار رئيس الجمهوريـــة بعـــد أغلب الرحلات، لأن ضيوف الرئيس يحلو لهم فى الغالب بالاحتفاظ "بذكريات" أية رحلة.

فى إحدى المرات طلب أحد ضيوف نيكسون صراحة مـــن الرئيس الاحتفاظ بطفاية فخمة عليها شعار الرئاسة وتوقيع نيكسون. كان ثمنها ٦٠ دولارا. تردد نيكسون، لكن الضيف عضو بارز فـــى الكونجرس "وليام سكوت"، لكنه وجد من غير اللائق رفـــض مثـــل هذا الطلب، ولم تمض إلا ساعات بعد وصولــــه إلـــى مقـــره فـــى واشنطون إلا وست طلبات من ستة من رجال الكونجرس موجهـــة لكبير موظفى البيت الأبيض لطلب "طفايات" مماثلة.

البرتازى صرخ عندما سمع هذا الطلب "تكلفة ٦ طفايــــات ٣٦٠ دولار. من سيدفعها؟"، وأخيرا بعد نقاش طويل تـــم إرســـال طرد بالمطلوب إلى الكونجرس ، لكنه فوجئ أن من قـــام بشـــراء طفايات بديلة تحت بند "مفقودات" قد أضاف إلى ميزانيتـــه تكـــاليف الطائرة "١٠٧ دولار عن كل طفاية"!!

وهناك فى الواقع أشياء كثيرة يحب ضيوف الرئيس الاحتفاظ بها (اقتباسها) بعد الرحلة : علب سجائر ، محفظة جيب تضم أوراق بيضاء عليها شعار الرئيس. علب السجائر كانت هدايا من شركات التبغ ، وبقية المفردات الصغيرة كانت تحسب "نثريات".

وكان من عادة لينرون جونسون أ، يدعو ضبيوفا يعلم أن سيفاخرون أمام معارفهم بان لديهم "تذكارات من طائرة الرئيس. وقد لاحظ هذه الظاهرة سكرتيره الصحفى جورج كريستيان.

ولم يترك الصحفيون أبدا طائرات الرئاسة فى حالها فى إحدى إجازات جير الدفورد في مدينة فيل الصغيرة بمرتفعات كولورادو نجد أحد مراسلى الـ CBS يضيف "آلاف الجالونات" التى استهلكها طائره الرئيس التى تكلفتها الدولية لضيف في سخرية مريرة "إن فورد استهلكها لكى يجمع مستشاريه في هذا المنتجع الجبلى لدراسة "أوجه الإقلال من استهلاك الطاقة" !

وكان كارتر لذلك حريصا على مراجعة قائمة مرافقيه ليحسب التكلفة مع أبن عمه هيد كارتر الصغير الذى كان كل همه اختصار بنود تكلفة الرحلة. ويضيف لدرجة أننا كنا نستخدم عبارة الحد الأدنى من التكلفة سواء لتكلفة سيارات الرئاسة أو طائرات

الهليوكوبتر المصاحبة أو عدد المسئولين من البيت الأبيض ، بحيث لا يسافر إلى ما تستلزم الضرورة سفره.

وفى إحدى رحلات كارتر إلى لندن سنة ١٩٧٧ لاحظ أن السفارة الأمريكية قد حجزت له ولطاقمه عدد ٥٠ غرفه وجناح بفندق كلاريدج أضخم فنادق أوروبا في ذلك الوقت ... وأغلاها. فأمر باختصار العدد إلى النصف وكان على وزير الخارجية سيروس فانس ، ووزير الخزان ميشيل بلوفنال ، ومساعدى الرئيس البحث عن فندق "أرخص".

لكن هذا لم يمنع الرئيس من التمتع بعد ذلك بالإقامة في "هاتون مانشون" وهو قصر صغير فخم ، لكن كان قد قدم هديه من أحد المتبرعين فى القديم ... للولايات المتحدة الأمريكية.

برغم كل مجهودات كارتر لخفض عدد المرافقين وخفض عدد الهليوكبتر المصاحبة ، وضغط المصروفات إلى أدنى حد ممكن ، فهم لم يسلم من انتقادات وكالة اسوشيتد برس عندما حسبت تكلفة رحلة عائلته الترفيهية فى الغرب الأمريكى بمبلغ ١٠٠٠٠٠مائه ألف دولار ، هذا برغم أن الرئيس دفع الفرق بين استخدام طائره الدولة وما كان يمكن أن تدفع عائلته لو سافرت بطائرات تجارية تذاكر درجة أولى.

ولم يسلم جيرالد فورد أيضا من متابعة مكتب مكافحة التهرب الضريبى أن السفر "الشخصى" على طائرة Air force one يجب أن يدفع بعد حساب التكلفة العادية على طائره تجارية درجة أولى ، أو يضاف المبلغ إلى "مبالغ خاضعة للضريبة "تدخل خزانة الدولة ، لدرجة أن فورد وزوجته فكروا فيما بعد فى استخدام الدرجة الثانية برحلات تجارية ، كلن الاعتراض هذه المرة جاء من رجال الأمن القومى الذى كان من رأيهم أن هذا التصرف سيعقد مهام الحماية لعائلة الرئيس إلى أقص حد.

وربما كانت أكثر الأفكار عرض للمناقشة ما عرضه نيكسون أثناء أزمة ووتر جيت ، لكى يعطى مثل للشعب فى كيفيه ضغط الإنفاق أن طلب أن يسافر فى أجازه عيد الميلاد إلى منزله "بقطار خاص" ، لكن العجيب أن رجال الإعلام اعتبروا هذا الاقتراح ربما أكثر تكلفة من السفر جوا. وأخيرا ، ربما لضيقه الشديد بنقد الصحافة له فى سنوات حكمه الأخيرة. فاجأ نيسكون الجميع ، بان توجه هو وعائلته إلى بيته فى كاليفورنيا بعد أن حجز للجميع تذاكر فى شركة "يونايتد إيرلاينز" بطائره من طراز Dc10 يضيف البرتازى "طالما قرر السفر جوا فقد كنا جمعيا على يقين أنه سيستخدم طائره الرئاسة".

"وكنا مستعدين تماما للرحلة " لكن فوجئ بالجنرال هيـــوز المساعد الحربى للرئيس يتصل به قائلا "الرئيس قرر السفر علـــى نفقته بطائرة تجارية" ولم يكن أمـــام البرتـــازى إلا أن يلغـــى كـل استعدادات لإقلاع ويغادر قاعدة اندروز.

ومع ذلك يبقى الواقع : هل وفر نيكسون وعائلتـــه بالســفر بطائرة تجارية ؟ إن سفر الرئيس معنـــاه مســفر موظفـــى البيــت الأبيض ورجال الأمن ، حيث أنها "أجازه" عمل إلى مقره الغربـــى فى سانت كليمنت بكاليفورنيا ولحسن الحظ كـــانت هنـــاك طـــائرة أخرى أقل حجما من طراز جيت ستار فر رحلة صيانة وموجـــودة بالفعل فى لوس انجليوس ، وبالتالى اقترح البرتازى أن يعود بـــها إلى واشنطون بعد نهاية أجازه عيد الميلاد. ولم يرفـــض نيكســـون لكن كان على الجميع أن "يحشروا" أنفسهم فى هذه النفاثة الصغـــيرة فى رحلة العودة لدرجة أن الوصيف الوحيد الذى كان يخدم الرئيـس لم يجدوا مكانا له ..... إلا فى دورة المياه وكما وصـــف الموقـــف رئيس تحرير "الواشنطون بوست" عندما علق على هذا التصـــرف بأن "ترك البوينج الفخمة بكل مواصفاتها وإجراءات الأمن داخلـــها واللجوء إلى طائرة مثل الجيت ستار الصغيرة كـــانت بمثابـــة مـــن يوفر فى القروش ثم ينفق آلاف الجنيهات فى بذخ غير معقول!

الفصل الثالث

لديكم قنبلة فى داخل الطائرة !!

إن تأمين طائرتى الرئاسة سام ٢٧٠٠٠ وسام ٢٦٠٠٠ هى عملية مستمرة طوال الأربع والعشرين ساعة . وهى عملية تبدأ منذ إجراءات تصميم و بناء الطائرتين.

فمنذ لحظة توقيع العقد ، يتم تخصيص مفتشين لمراقبة عملية التصنيع ، ومع إتمام هيكل الطائرة يتم نقلها إلى مكان منعزل دائما تحت حراسة مشددة ومستديمة . الشركة المنتجة تعلم أن سمعتها تتوقف على اكتمال ودقة صنع الطائرة ، فيتم بالتالى اختيار أمهر الفنيين ، وأفضل المواد والأجهزة المتوافرة فى سوق الإنتاج على الإطلاق. لا يبخل الصانع بأى تكلفة لإنتاج أكمل وأسلم طائرة من الممكن أن يستقلها الإنسان لأن الشركة المنتجة تعلم بالتالى مدى المكانة والشرف الذى ستناله لاختيارها دون كافة الشركات لصناعة طائرة الرئيس، ونادرا ما كانت التكلفة الفعلية لإنتاج أى من الطائرتين لتغطى العائد من إنتاجها . العائد هو السمعة والدعاية الغير عادية للصانع.

حدث هذا بالنسبة لطائرة فرانكلين روز فيلت " البقرة المقدسة " سنة ١٩٤٣ ، من قبل شركة ماكدونالد دوجلاس وكذلك شركة بوينج التى صنعت الطائرة الحالية سنة ١٩٧٢ .

أجنحة الطائرة يجب أن تتسم بالمرونة ، تتحمل جهد الضغط الجوى المتباين الدرجة في ظروف الطيران بمختلف مناطق العالم وفى الظروف الجوية المعاكسة أحيانا ، وفى سرعات فائقة فى الغالب . فالبوينج الحالية يمكن تتحنى بمقدار ثلاثة أقدام خلال الاضطرابات الجوية ، مثل إيرفورس وان Air force one " تستطيع أطراف الجناح الانثناء بمقدار يصل إلى ثلاثة أقدام خلال حركة الطيران .

وهذا ليس نتيجة لضعف بالبناء أو ضغط على المعدن ولكنه عامل أمان تم إدخاله بالأجنحة من خلال مزج لمعدن ذات قدرات للانثناء ، فجمود الأجنحة يشكل عبء وليس ميزة، وبنفس الطريقة يجب على قابلية الانحناء بالطائرة أن تتحمل التمددات الكبيرة والانكماشات التى تنتج من تغير درجات الحرارة بالجو والضغط الجوى ، فعلى مستوى البحر ، يميل جسم الطائرة للإنكماش نظرا لكبر الضغط الجوى . ولكن فى مستوى تحليق ٣١ ألف قدم أو أكثر يميل جسم الطائرة للتمدد نظر لكثافة الهواء البارد.

وتسبب مشكلة ضرورة الاحتفاظ بمستوى البحر للضغط الجوى حتى يمكن للطاقم والركاب أن يحلقوا بدون الحاجة لأقنعة أكسوجين أو ملابس التدفئة مشكلة أخرى ، فعلى ارتفاعات مختلفة. يمكن لجسم الطائرة "إيرفورس وان " أن يتمدد حتى ستة بوصات أو ينكمش حتى ثلاثة بوصات ، مما يحتاج إلى تدارك فجوة التسعة بوصات والتعويض عنها خلال البناء.

وتغير الضغط والحرارة يؤثر أيضا فى الأجزاء العاملة بالماكينات والنظام الكهربائى ، كذلك وحدات تحكم الطائرة والأبواب والنوافذ والكراس والمكاتب وحجرات الخدمة الطبية وأنظمة الدفع وكل ما هو مرتبط بالغلاف الجوى .

ويقول البرتازى "برغم أن كل هذه المشاكل قد درست نظريا فى المصنع قبل التسليم فإنه لا يمكن التأكد حتى تتاح الفرصة للاختبار بالطيران تحت الظروف الفعلية للاستخدام ، ولهذا فإن طيارى Air force one " إيرفورس وان" وأطقمها يأخذون بالطيران بالطائرة الجديدة لما يصل لمائة ساعة من الاهتزازات والبرد المستمر بارتفاعات عالية ودرجات حرارة منخفضة للغاية وبدلا من الركاب ، يتم اصطحاب مجموعة من ميكانيكى "إيرفورس" الذين يستطيعون العمل على إلغاء المشاكل التكنيكية والأبواب المعطلة وبذلك نحاول أنه عندما يركب رئيس الولايات

المتحدة على متن طائرته فكل شئ سيكون على أهبـــة الاســتعداد بأعلى كفاءة يمكن تقديمها .

في حظيرة الطائرات التي تضم الطائرتان الرئاسيتان فـــي قاعدة " أندروز أيرفورس" لا يسمح لأحد بالركوب حتى الطيـــارين إلا بالتأكيد مع القطاع الأمني ل "إيرفورس" وأحيانا من المخـــابرات الفيدرالية قبل اختيارهم.

ويختار الطيار "ماكليلاند " ورئيس مهندس الطــيران "جــو شامل ورئيس مشغلي الراديو "إيرل فان فالكنبرح " طاقم الجو مـــن أحسن المهارات في القـــوات الجويـــة، والمرشـــح يخضـــع لكـــل الفحوصات الأمنية قبل التعيين الفحـــص يســـتخدم أيضـــا للثلاثـــة وثلاثون عامل صيانة أعطال الذين يعملـــون طـــوال الوقـــت فـــي الطائرات البوينج الكبيرة ، ومن احتياطات الأمن اســـتخدام نظـــام الرفقاء ، فلا يسمح لعامل الاقتراب بمفرده قرب الطـــائرات وكـــل واحدة من الطائرات الرئاسية تخضع لفحص عملي في شـــركة "إي سيستمز " وهي فرع خاص للدفاع ويقول ماكليللاند " كل عام يركـــز الفحص على واحد من أنظمة الطائرة ، وكل خمس ســـنوات كـــل طائرة تخضع لفحص شامل فمن الداخل يتم تعريتـــه حتـــى تطبـــق الاختبارات على الضغط وقوة احتمال المعادن وتتم معظم التعديلات في ذلك الوقت ولكن بالطبع لو احتـــاج أي شـــئ الإصـــلاح يتـــم

إصلاحه فوراً. فى "أندروز" توجد حجرة خاصة لقطع الغيار للطائرات الرئاسية وهى أحد أجزاء حظيرة الطائرات وتوجد أيضا أطقم غيار لماكينات الدفع رهن الاستخدام.

وبعد عدة مرات تكرر فيها ظهور شقوق فى الإطارات بقطع الغيار بالمركز الرئيس قرر "ماكليللاند " تخزين إطارات "ايرفورس وان" فى حجرة منفصلة مؤمنة فى حظيرة الطائرات ، ولكن جودة النظام الأمنى تقاس بقابليتها وقدرتها علي منع التسلل من المخربين المحتمل ظهورهم والمختطفين أو القتلة ، ولكن حدث تسللان خلال سنوات حكم "نيكسون" وواحدة منهم سببت للجميع أزمة "لديكم قنبلة على متن طائرة الرئيس".

هذه الرسالة المفزعة جاءت ل "كوك جاى والاس " قائد الجناح التاسع والثمانون من "ايرفورس " بقاعدة أندروز الجوية ، وهى من عميل من مكتب المراقب العام . وقد قال أن القنبلة تم زرعها فى الطائرة من اليوم السابق خلال الرحلة للتأكد من كفاءة الأجهزة "مستحيل" قالها البرتازى لوالاس واستدار لمهندس رحلات ايرفورس وان (جو شابل) الذى ارتجف وجهه فجأة وقال بابتسامة" هذا يعنى علبة السجائر " وكانت تلك مزحة رسمية منظمة من اثنان من محققى أمن ايرفورس الذين كانوا قد استغلوا كرم ضيافة "البرتازى" خلال فحصهم للجناح التاسع والثمانون الذى يمثل

التنظيم الأساس "لإيرفورس وان " ، طلب عضوان من المفتشين من البرتازى الإذن لمصاحبة الطاقم فى واحدة من رحلات اختبار الكفاءة المعتادة فى منطقة واشنطن ، ويقول "البرتازى " أننا نحب أن يرى زملاؤنا الضباط خطوط تدريبنا فلذلك وافقنا ، خلال الرحلة ، دس واحد من العملاء المفتشين علبة سجائر فى الحافظة خلف مقعد "شابل". فى اليوم التالى أشار المفتش أنه كان يمكن أن يكون عميل معادى أو متخفى يريد تخريب طائرة الرئيس فيقول أن علبة السجائر يمكن أن تكون قنبلة ، ما لم يكن يعرفه هو أن "شابل" لم يكن يخص أحدا من طاقم الطيران لذلك أعطيتهم لواحد من رجال الصيانة الأرضية. فأنا أحب الطائرة النظيفة، وفى مناسبة أخرى ، جاء برجل يلبس بدلة عسكرية كطاقم ايرفورس وقدم نفسه (روبرت سمارت) المدير المنفذ لايرفورس المتحدة ، وقدم نفسه فى مقر قيادة الجناح التاسع والثمانون وقال أنه فى الخدمة أسبوعان عمليا كمراجع وطلب السماح له بالتجوال فى الطائرة الرئاسية خلال انتظاره لرحلة خارج اندروز ، وكالعادة اتصل "كول جيمس كيل " نائب رئيس الجناح بالبرتازى لطلب موافقته ويقول ألبرتازى " لقد تخيلت أن الزائر صديق (لكيل) ولذلك أعطيت إذن التصرف الشخصى للزائرين المحتملين وهو أفضل طرقنا للتأكد من الشخصية التى يدعيها الزائر.

وبمصاحبة "كول جيل" تم إدخال سمارت فى الكتاب الأمنى لإيرفورس وتم إعطاءه تصريح بزيارة للطائرة ، وفى اليوم التالى، اكتشف مكتب أمن ابرفورس ومخابراته بتفاخر تسلل للحاجز الأمنى حول الطائرة الرئاسية فالجنرال سمارت " اتضح أنه عميل من ال " أو – أس – إى " يستخدم ألقاب مدوية ليصل إلى ثقه "كيل" ويقول ألبرتازى "وبرغم أن الدخيل لم يفارق نظر "جول كيلى" ولو يخف شيئا على متن الطائرة فقد أحتاج الأمر لعشوات الأوراق لرفض زعم ال "او – أس – إى " بالتسلل ، وبعد هاتان المحاولتلن لإفقاد الثقة فى نظامنا الأمنى اتخذنا قاعدة جديدة : لن نعطى فى المستقبل أى جولات أو نزهات لأعضاء من أل "أو – أس – إى " أم من العاملين بمكتب المراقب العام . فى الحقيقة لم يحدث أى تسلل بالنظام الأمنى "لإيرفورس وان" الخاص بالطائرتين وأفراد طاقم الأسطول الرئاسى.

إن الاتصالات من طائرة الرئيس هى الأكثر تقدما عن أى اتصالات بالعالم ولكنها ليست مثالية . إن للرئيس نظام مؤمن لإرسال واستقبال رسائل سرية ونظام لاسلكى يشفر أوتوماتيكيا أو بنفس الشفرة الموصلة بين "إير فورس وان" وحجرة عمليات البيت الأبيض أو مركز القيادة العامة الحربية بالبنتاجون.

خلال رئاسة "ليندون جونسون" تقدم الخبراء بمخطط قالوا إنه يوفر أمان متعادل للاتصال الصوتى بالهاتف والراديو من "أير فورس وان" فيتمكن الرئيس المسافر بالطائرة أن يحادث بحرية سكرتارية البيت الأبيض أو سكرتارية الدفاع من أى نقط على وجه الأرض ، وسيتم تشويش صوته أتوماتيكيا بقدر الإمكان بالنسبة للخط الأرضى للاتصالات الصوتية لمنع التصنت . ولكن عند الطرف المتلقى ، سيكون صوت الرئيس واضح للمتلقى المقصود والعكس صحيح . وقد سمى النظام الجديد المتطور بالنظام ذو التردد العالى "إسكوب أمان" وتكلف ٢٥ مليون دولار وتم تركيبه على متن "أير فورس وان" وكان ليندون جونسون بولعه بالهاتف يتحرق شوقا لاستخدامه ولكن كان هناك مشكلة واحدة بسيطة : النظام لا يعمل !

خلال سنوات حكم نيكسون ، عمل البرتازى على دفع قواد "إير فورس وان" لجعل نظام التردد العالى "أسكوب أمان" نظام يعتمد عليه ويقول " لم نكن نحصل من خلاله إلا على دقيقتان من الحديث المفهوم" . وكان البرتازى مصرا على جعل نظام "أسكوب أمان" نظاما عاملا أو يتخلص منه فقد كان يزن ١٧٠٠ أوقية ويحتل مساحة هامة فى قلب Air Force 1.

لذلك حلقت طائرة الرئيس يوما فوق أوربا مع كوكبة من أعلى المراكز من الفنيين وخبراء الاتصالات مع جنرالات وطابور من كولينيلات "أير فورس وان".

يقول البرتازى " لقد وضعنا إسكوب أمان فى اختبار كلى فطرنا فوق مدريد ثم لأثينا ثم رجوعا لمدريد وأخير عودة للوطن واشنطون مرورا بجنوب الأطلنطى . كان الهدف هو التحقق من النظام المدعم الأرضى بأسبانيا ، أثيوبيا ، المانيا ، والكاريبى ، لقد أردنا التحقق منهم كلهم حتى لا يقول أحد بالبنتاجون أنه كان الخطأ من المحطة الأرضية بأسبانيا أو ألمانيا أو أى مكان آخر ، كنا فى الهواء نحلق لسبعة عشر ساعة وأربعون دقيقة وخلال كل هذا الوقت استطعنا إبقاء إسكوب أمان فى نظام أمن لأكثر من ثلاث دقائق وعند عودتنا للوطن قمنا باقتلاع الجهاز الملعون من الطائرة.

إن السلامة البدنية للرئيس تبدأ من التصميم الداخلى لجوانب جناحه الخاص على متن الطائرة ففى أوقات "البقرة المقدسة" التى تخص فرانكلين روزفلت أصرت القوات البرية على جلوس الرئيس فى الجانب البعيد عن أبواب الطائرة ، هذا ... يجعل نوافذه بعيدة عن مرأى الجموع التى فى المطار ولتساعد على منع أى شخص قد يكون تسلل قريبا فى انتظار فرصة لاقتناص هدفه.

إن مقاييس الأمان للنطاق الجوى متنوعة فـــى كـــل وقـــت يكون فيه الرئيس على متن "إير فورس وان" فى المطارات الحربيـة والمدنية ، يتم وضع حراس مسلحين فى نقاط اســـتراتيجية بطـــول ممر الهبوط ، وحراس مسلحين يجوبون المنـــاطق البعيــدة عـــن الأنظار بكلاب كى-٩ المدربة فى اللحظات التى تسبق الإقـــلاع أو الهبوط.

تسير سيارة للقوات البرية ببطء بطول ممر الهبوط للتـــأكد من عدم وجود بقايا أو أجسام غريبة قد تعطل طائرة الرئيس ، يتـــم وضع سيارات إطفاء وإسعاف وطائرة هليكوبتر للإنقـــاذ عنـــد أى طارئ ، وكالمعتاد يقوم رجال المراقبة بالطيران المدنـــي بالمطـــار بإيقاف وقتى لكل التحركات الجوية عند وصول أو مغادرة الرئيس.

قد تكون "إير فورس وان" خارج نطاق رؤية واشنطون عند طيران الرئيس ولكن ليست خارج نطاقها الإلكترونى الفعلى ، فيتـــم متابعة خطة الطيران وأماكنه باستمرار من خلال أجهزة وكـــالات الدعم الأمنى الموزعة حول أرجاء العالم كله.

إن مركز القيادة الدولى الحربى الذى يتحكم مـــن الطـــائرة البوينج ٧٤٧ "دومسزداى" لخدمة الرئيس فى حالـــة طـــارئ ذرى تكون على اتصال دائم مع "كول ليستر مـــاكليلاند" الطيـــار الأول "بإيرافورس وان" للرئيس كارتر ! سواء محلقة أو على الأرض فـــى

بلده أو فى الخارج ، فإن ماكليلاند يظل على اتصال دائم مع فريـق الأحوال الجوية فى قاعدة "أندروز أير فورس" والتى تقـدم أخـر أنباء الطقس ومدى تأثيرها على الطيران وهى مسئولية قـائد "إيـر فورس وان" Air Force one.

يقول "ماكليلاند" عندما نكون فى الهواء ، يكون دائما فـى الخدمة فى أندروز طاقم موازيا لنفس ساعات عمل طاقم الطـيران ، بغض النظر عن أية دولة نحن بها أو توقيت طيراننا ، فيمكن القول بأن هذا الطاقم هو فرد غائب من الطاقم العامل ، فقد لا نراه ولكننـا على اتصال بالراديو معه طوال الوقت".

واحد من متطلبات "إير فورس وان" هو الاستعداد للتحليـق بالرئيس عائدا لواشنطن عند أى تنبيه يقول "ماكليلاند" أول ما نفعلـه بعد الهبوط ، هو الاستعداد للإقلاع المباشر للاحتياط.

عند وصول كاتر "بون" بألمانيا الغربية فى يونيـو ١٩٧٨ م لحضور المؤتمر الاقتصادى للدول الصناعية الكبرى كـان علـى "ماكليلاند" أن يتصل فقط بقاعدة أندروز إيرفوس للحصـول علـى خطة للرجوع المباشر لواشنطون وتسمى خطة تحليق بدون سـابق إنذار وهى يتم تخزينها بالدقيقة فـى الحاسـبات الآليـة "بـاندروز للاستعمال اللحظى" من واشنطن. تقوم الـ "N C A" أى وكالـة الأمن العام السرية بشبكتها الكونية العالميـة بأقمارهـا الصناعيـة

وإلكترونياتها المتقدمة تقوم بمراقبة السماوات التى يجتازها القائد الأعلى للقوات المسلحة، وفى سنة ١٩٧٢م وعند إقلاع طائرة نيكسون من وارسو لرحلتها الطويلة لواشنطن أصدرت "إن – سى – إيه" فجأة إنذار بطائرة مجهولة الهوية تحمل مواصفات المقاتلة وآتية من شرق ألمانيا كانت تحوم ناحية "إير فورس وان".

كانت هذه بمثابة احتمالات تصادمية وكانت تقترب بسرعة. ألهبت "إن – سى – إيه" البرتازى بعد تنازلى عصبى : خمسون ميلا ... أربعون ميلا .. خمسة وثلاثون ميلا والآن هى تبتعد عنكم رحلة آمنة / البرتازى الذى كان يستعد لعملية إفلات تنفس الصعداء.

والسرعة التى كانت الطائرة المجهولة تقترب بها كانت ستتقابل مع "إير فورس وان" خلال ثلاث دقائق.

فى رحلات ما وراء البحار ، يتم حماية "إير فورس وان" باستمرار بأسطول من الملائكة الحراس برغم إعطاء "إير فورس وان" لهم لقب شائق "طرف البطة" هذه الطائرات الخاصة بالنجدة الجوية هى محولة خصيصا إلى طائرات بضائع تحمل أطواق نجاة مطاطية وفريق طبى مجهز بالباراشوتات لمساعدة المصاحبين لطائرة الرئيس لو اضطرت للهبوط فى البحر.

وإن النظام الهوائى للإنقاذ قد حل محل البحرية الأمريكيــة وسفن أمن السواحل مؤخرا والتى تجوب المحيط بفوارق مائة ميــل طوال مسار طائرة الرئيس.

فى عام ١٩٥٠م عندما حلق الرئيـس "ترومــان" بطــائرة الــ "أندباندانسا" إلى جزيرة وايل" وذلك لمقابلته التاريخية مع "جيـن" صاحبه "دوجلاس ماك أرثر" وهو خبير بالهواء والبحر كما صاحبه "إير فورس" ب-٢٩ ، إس وب -١٧ إس فى جزء من الطريــق . أيضا كان معه أربعة مدمرات بحرية : "يو أس أس كارمير" ، "يــو إس إس بيركينز" ، "يو إس إس روجزر" ، "يو إس إس كـــابيزون" وثلاثة من قوافل حراســة الســواحل "الأيروكــوا" ، "وأســكانيا" ، "ماسوسوتس" الذين أبحروا على مسافات ممتدة بطول المسافة مــن سان فرانسيسكو إلى "هاواى" و"واين".

السفن خدمة الإنقاذ عند أى متاعب تواجه الـــ "إندبندانـــس" على وجه المحيط ، كما احتفظوا أيضا بالطيار "فرنش وليمز" علــى علم بآخر الأنباء الجوية.

ويقول البرتازى "يستغرق الأمر من ثلاث إلى أربع دقــائق لطرف البطة" لترافق "إير فورس وان" بعرض المحيــط ، فحالمــا تخلى الطائرة الجانب الشرقى من الممر على سبيل المثال ، تقـــوم "طرف البطة" (ألفا) Alfa بالتقاطها على الردار وتطــير بجانبــها

حتى تبدأ طائرة الرئيس تتخطاها ثم يسلم "إيرفورس وان" إلى طرف البطة (برافو) والتى بدورها تسلمها (لطرف البطة) "كوكو" وهكذا حتى تصل "إير فورس وان" إلى أوربا.

خلال الرحلات فوق البحار يظل عامل راديو الطائرة على اتصال دائم بكل من طائرات الإنقاذ الجوية التى تراقب موقع الرئيس، وفى الرحلات الطويلة فوق المحيط الهادى أو القطب المتجمد أو فى المناطق التى بها شغب فى العالم ، قد يتم زيارة أسطول الإنقاذ الجوى بسفن بحرية إن استلزم الأمر ، فإن "إير فورس وان" تستطيع طلب طائرة مقاتلة مصاحبة فوراً . ولكن عادة على أى حال ، فإن الرؤساء فى أوقات السلام يبتعدون عن التركيز على التأمين الجوى مفضلين لرحلاتهم أن تعامل كرحلات مدنية كالمعتاد من قبل القواعد الجوية الدولية ، فى حين أن وزارة الدفاع والقوات الجوية مصرين على عدم أخذ أية مخاطر بخصوص سلامة القائد الأعلى حتى بدون رغبته فإنهم يجاهدون لتأمينه بأقل المظاهر.

ولكن توجد هناك استثناءات بالطبع ، فبعض الإجراءات الأمنية المشددة أخذت لحماية رحلة الرئيس فى فبراير ١٩٦٤م بعد أقل من ثلاثة أشهر من اغتيال "جون كيندى" وذلك عندما قرر الرئيس "ليندون جونسون" الطيران لفلوريدا ، كانت المناسبة عشاء

كبير ديمقراطى لجمع الأموال فى فندق "فونتين بلو" علـــى شـــاطئ ميامى فى ٢٧ فبراير وفى الطريق محطة توقف فى بلـــدة بالاتكـــا (بفلوريدا) وهناك كان على ليندون جونسون أن يتوقف فـــى هـــذا البلدة (بالاتكا فى فلوريدا). ولم يعرف العالم إلا فى اليـــوم التـــالى وعند رجوع الرئيس بسلامة إلى البيت الأبيض أن الحكومة كـــانت قد لفت ليندون فى عباءة من التأمين لم يرى مثلها منـــذ الرحـــلات البرية وقت الحرب لفرانكلين روزفلت وهارى ترومان .لمـــاذا؟ إن شبكة المخابرات الفيدرالية كانت قد التقطت تقرير عن أن واحد مـــن طيارى "فيدل كاسترو" الذى يحلق خارج كوبا قد يحاول اصطيـــــاد "إير فورس وان" أو إطلاق الرصاص عليها عند فلوريدا.

بعد مرور ثلاثة عشر أسبوعا فقط من حادثة "دالاس" فـــى ذاكرة الجميع ، لم تكن قوات الدفاع تأخذ أى مخاطرة ، كان همـــهم الأول بالطبع حماية "ليندون" من أى إيذاء ، ولكن لـــو أى محاولـــة لاغتياله تمت حتي ولو فاشلة ، كان ضباط التأمين يريدون الإمساك بالمهاجم حيا أو ميتا فلو كان طيارا يطير بطائرة كوبية قد يضيـــف ذلك حقائق مهمة فى واقعة مقتل "كيندى" والتى كانت يحقـــق بـــها لجنة "وارن". إن اتصال كوبا بموسكو والاتصالات المحـــيرة "لـــى هارفى أوزوالد" بالجانبين الرأسمالى والشيوعى كان يســـبب قلقـــا كبيرا وترقب لجماعة المخابرات . ولذلك فى حين أن كل الجـــهود

كانت تبذل للقبض على أى مهاجم محتمل ، كانت هناك احتياطـــات متنوعة توضع للتأكد من فشل مهمته.

وفى القاعدة الجوية "أندروز" حيث تبـــدأ الرحلـــة لاحـــظ المراسلون الصحفيون ، أن الرئيس لم يكن يستعد للركوب عل متـــن (إيرا فورس وان / سام ٢٦٠٠٠) بل على متن الاحتياطى المماثل من طراز بوينج (سام٩٧٠) مع ملاحظة أن أرقام الذيل تم طلائها ، وعند تساؤل المراسلين قيل لهم أن الطائرة المعتاد اســـتخدامها قـــد استخدمت أكثر من اللازم ولم يقدم أى تفسير عـــن أرقـــام الذيـــل المختفية.

لاحظ المراسلون الذين على متن (ســـام٩٧٠) الذيـــن مـــع الرئيس وعائلته عدم حدوث شيئا كان من المعتاد حدوثه فى روتيـــن الرحلات الداخلية ألا وهـــو وجـــود "جيمـــى ج راولـــى" ضمـــن المسافرين وهو رئيس الخدمات البرية ، وفى الطريق من واشـــنطن لم ترتفع الطائرة إلى الارتفاعات العالية كالمعتاد بل ظلـــت علـــى ارتفاع منخفض فى وسط ستار من السحب المكثفة ، وكان الاتجـــاه الأصلى هو "جاكسون فيل" وهى محطة جوية بحرية ، حيث انتقـــل ليندون جونسون إلى طائرة هليوكوبتر تنتظره للطيران السريع إلـــى بلاتكا واحتفال عبور قناة هناك ، عندما عادت أفـــواج المراســـلين لاستقبال طائرة الرئيس ثانية فى "جاكســـون فيـــل" اكتشـــفوا بـــأن

المحطة التالية لن تكون ميامى. فقد فضل الرئيس جونسون التوقف أولا غرب شاطئ "بالم بيتش" لزيارة غير منتظرة (لجوزيف ب . كيندى) والد الرئيس الراحل الذى كان أصيب بجلطة أدت به إلى الشلل وكان فى طور النقاهة فى منزله المطل على المحيط.

وفى مطار غرب شاطئ "بالم" فوجئ الصحفيون بإقلاع الطائرة الرئاسية بدون "ليندون جونسون" وطارت الطائرة إلى قاعدة "هوم ستيد" إير فورس خارج ميامى للتظليل.

وبدلا من تلك الطائرة ركب المراسلون مع "ليندون جونسون" فى أسطول من الهليوكبترات الحربية لمسافة ٦٧ ميلا بالطيران السريع إلى المهابط المتميزة لنادى باث وود الريفى بميامى ، ومن هناك تم نقل جونسون لسيارة ليموزين مغلقة لمسافة قصيرة إلى "فنيبتن بلو" بمصاحبة طائرة حربية تطير بارتفاع أقل من مائة قدم فوقهم . وفى اليوم التالى بعد الغسق بقليل تم اقتياد "إل – بى جونسون" إلى قاعدة "هوم ستيد" الجوية حيث ركب (سام ٩٧٠) فى رحلة غير معلنة للعودة إلى واشنطن.

لاحقا ، تم اكتشاف عدم صحة نبأ الهجوم المحتمل على طائرة جونسون ولكن الخدمات البرية كانت ترفض المجازفة . وفى هذا الوقت تم إعطاء ملخص ردا على تساؤلات المراسلين بخصوص الإجراءات الأمنية ، ففى الرحلة من واشنطن إلى ميامى

تم طلاء أرقام الذيل لطائرات بوينـــج ٧٠٧ أس مماثلتـــان تمامـــا (لسام ٩٧٠) وقد طاروا بجانب طائرة الرئيس لتضليل أى مـــهاجم محتمل وقد حلقت الطائرتان الـ Air Force 1 عاليـــا للتغطيـــة ، كما جابت سفنا حربية مسلحة السواحل المائية لميامي ، ولو كـــانت العائلة الأولى قد شعرت بأى قلق فقد تم إخفاؤه تماما مثل الرحلـــة نفسها ، فالسيدة الأولى لقيـــت زوجـــها بـــالممثل القديـــر للحـــزب الديمقراطى . وكان جونسون الذى يبحث عن الخصوصية للالتقـــاء مع أعضاء مجلس الشيوخ المرافقين قد حزن لعدم وجـــود مكـــان محتمل لابنته المدللة "لوسى".

وكبديل ، اجتمع بهم فى جناحه وأملى بعـــض المذكـــرات لسكرتيرية "جوانيتاروبرتس" كما قام بعدة اتصالات عـــن طريـــق الهاتف الراديو لواشنطن ، والتهم غذاءا من حســـاؤ الخضـــروات وساندوتش التونا وقهوة السانكا ، ثم ألقى بجذائه فى الطرقة وقفـــز إلى جزء منعزل لغفـــوة قصـــيرة ، ويصـــف "كـــول جيمـــز ب . سونيرال" على أنه يوم عمل عادى ، وكما عرف لاحقا أنه قال أنـــه يوم "يكاد يكون روتينى".

إن التقارير والإشاعات على الـــهجمات المحتملـــة علـــى الرئيس الذى على متن طائرة ، ليست بخارجة عن العادة .. تكـــون عادة فى شكل طائرة خفية غير مسلحة تظهر خلال الطـــيران فـــى

السماوات العليا .. أو طيار مجنون ولحسن الحظ أنها الشـائعات لا تتخطى كونها شائعات ، العقول الواسعة الخيال تنطلق لهم بسـرعة ولكن عندما تكون المخاطرة لشيء بهذه الأهمية فحتى أكثر الأعداء تعصبا كانت عنده الحكمة الكافية لتجنب ذكر الهزيمة فحتـى فـى عالم بلا رحمة ، فإن الحماية الذاتية هى لاتزال أهم مـن تحطيم عدو محتمل.

فقبل رحلة الرئيس نيكسون إلى بكين فى فـبراير ١٩٧٢م أدلى عملاء "ماونسي تونج" بباريس بمعلومـات إلـى السلطات الأمريكية بأن النظام الصينى الدولى الغاضب بتايوان سوف يحـاول إطلاق الرصاص على "إير فورس وان" عند اقترابـها مـن دولـة الصين الشعبية ، لم تكن بكين لتؤكد صحة التقرير ولكنـها أحبت توصيله للرئيس ، وبالطبع ظهر لاحقا خطأ المعلومة ، يحتمـل أن "ماو" كان فقط يختبر طبع نيكسون.

وهى طريقة خبيثة من الصينيين لمعرفـة مـدى صلابـة الخصم!

إن حراسة الطائرة الرئاسية والحظيرة الخاصة وأقفال قطـع الغيار والمعدات هى مسئولية وحدة البوليس الجـوى التـى تعين بالمهمة طوال الوقت.

يخضع الأعضاء الأعلى من قوة الحراسة المعينة في ١٩٧٨م من القائد السيرجنت "جوزيه لوبيز ... لتدريب من المخابرات الفيدرالية والقوات البرية ولايسمح لشخص أو لشيء بالدخول إلى متن الطائرة الرئاسية إلا بعد فحص أمني . يعتبر "لوبيز" وثلاثة من أعضاء الحراسة الأمنية أعضاء في الطاقم الطائر الخاص (باير فورس وان) ويصاحبوا الرئيس في رحلاته المحلية مع القوات البرية في تشكيل حائط أمني محيط بالطائرة وتكون الجهة الأقرب للطائرة من مسئولية السيرجنت "لوبيز" ورجاله فهم أيضا يجيدون التصويب.

إن إبعاد الأشخاص غير المسموح لهم بالاقتراب من "إير فورس وان" هو أسهل من تجنب الخطر المحدق بالتخريب . ولذلك فإن الحراس وأفراد الطاقم يطلعون باستمرار على المطلوب مراقبته للإخصائيين في التخريب . ويقول البرتازي : "إن بعض طرق وأدوات المخربين قد تكون غير عادية للغاية ، فعلى سبيل المثال قد تم عرض قلم شكله برىء من الخارج وهو نوع شائع ولكنه على الأخص يحتوى على حمض فتاك لا يلاحظ بالرؤية أو الرائحة وهو يسبب ضعف بالمعادن خلال ساعات قليلة بعد وضعه عليها ، تخيل ما يمكن أن يحدث لو تمت إضافته لجزء داخلي من

الطائرة مثل المحرك تحت الجناح أو جهاز التحكم الآلى بالطيران قبل صعود الرئيس على الطائرة لرحلة طويلة.

فى كل مرة يجلس فيها الرئيس يقوم الوصيف بالتحقق من آخر المجلات والصحف والمعتاد تداولها داخل كبينة الرئيس ، وحين يتوقف فى مدينة أمريكية يتم إضافة الصحف المحلية إلى مكتبته ، ولكن تلك المواد ممكن أن تتحول إلى أسلحة قاتلة .

يقول البرتازى : "قامت فرقة مكافحة التخريب بعرض يوضح لنا كيفية إضافة جرعة قاتلة من غاز الأعصاب يمكن إضافته لجريدة وعند فتحها ينبعث الدخان ليغطى القارئ فى لحظتها ، كما أن هناك سائل قاتل يمكن أن يضاف للأقمشة النظيفة وأغطية الوسادات وبعد أن يجف يصعب اكتشاف وجوده ولكن الحرارة المنبعثة من جسم المستخدم لهم سوف تكفى لبعث غاز ما يكون قاتل ، تخيل ما يمكن أن يحدث لو فكر الرئيس فى غفوة؟!

ونتيجة لذلك ، فإن "كل وصيف خاص برحلات الـ "إير فورس وان" يأخذ إجراءات غير عادية للتأكد من أن جميع المستلزمات الشخصية التى تحمل على متن الطائرة من مواد القراءة إلى الكتاب والطعام ومناديل دورات المياه خالية من التلوث. حتى بالنسبة للسجائر والسيجار والحلويات والمفكرات والأقلام تخضع لاهتمام خاص لتجنب ما يسميه الفريق بـ

"التخريب السرى". واحدة من أفيد الطرق لإبطال التخريب هى من خلال سياسة الاستخدام العشوائى المقصود . فالمواد الغذائية التى تحصل عليها "إير فورس وان" لا ترد من مصدر واحد أبدا . أحيانا تسحب المواد الغذائية من مطابخ "إير فورس وان " أحيانا من البيت الأبيض وكثيرا من محلات السوبر ماركت المحلية والمتاجر الخاصة ، ويختار طاقم الخدمة الطائرين الأغذية بأنفسهم ويسلمونها للطائرة ويقول الكولونيل "ماكليلاند" : فى خلال التسوق ، نحن نجعل من شبه المستحيل التلاعب بمواردنا الغذائية والمواد الأخرى، والكولونيل هو طيار الرئيس "فورد" ، "كارتر" ، ويكمل : "فى أى وقت تصل ملابسنا من المغسلة يقوم رجال الخدمة والملاحين بفتح واختبار وإعادة طى كل قطعة ممكن أن نختبرها لو لزم الأمر ، وبالطبع عندما نتأكد من أن كل شيء على مايرام يتم التحفظ عليهم وفرض مراقبة ٢٤ ساعة مثلما يحدث للطائرة نفسها.

إن النظام الأمنى نظام نافذ وفعال ، فهناك مطبخ خاص لتجهيز طعام الأسرة الأولى فى مجمع "إير فورس وان" فى قاعدة أندروز "إير فورس وان" ويتم إغلاق المطبخ حتى خلال وقت استخدامه ، وأيضا هناك وحدات لخزانات فردية وثلاجات وحدات تجميد مغلقة أيضا . ويقول رئيس الماطبخ "ستيوارت بالمر" : "إن

تحضير الوجبات يأخذ وقت أطول قليلا ولكنــــه يضمــن الأمــان" واستيوارت هو حافظ المفاتيح والطاهي الرئاسي.

حتى حين كتابة هذا ، لم تحدث أية محاولة لاقتناص طـائرة الرئيس أرضا أو جوا ولم ترد أى أنباء عن مثل هذه الخطط.

ولكن الحرص يستمر، ويعلق "مــــاكليلاند" : مــن خــلال معرفتي سيكون غير صحيا بالمرة لأى شخص يحاول".

كانت هناك لحظات مرعبة فى السموات على أيــة حــال ، فعند اجتياز "إير فورس وان" لسحب كثيفة عند اقترابها من مطـــار مانيلا فى يوليو ١٩٦٩م فوجئ "البرتازى" "بإير فورس وان" تحــاط بالمقاتلات النفاثة الفلبينية ويقول : "يا إلــــهى ، كــانوا معنــا فــى السحاب ، ولم نعلم أبدا بأنهم بهذا القرب ، كــان مــن الممكــن أن نتصادم" اتصل مساعد الطيار "جون تشوسر" فورا لاسلكيا بـــبرج مراقبة مانيلا وطلب تراجع المقاتلات . وعلى الأرض ، اعــترض البرتازى للقائد العام للقوة الجوية الفلبينية علــى أن طائراتــه قــد انتهكت القواعد الجوية الدولية ويقول "لقد أرعب ذلــك المســافرين وأفزعنى من أن مجموعة من الطائرات تطير بــهذا القــرب مــن طائرة رئيس الولايات المتحدة بدون إذن سبق أو ترتيب.

إن للبيت الأبيض والبنتاجون فعليــا اتفاقــا دوليــا يمنــع مصاحبة المقاتلات للرحلات الرئاسية فى المناطق المسالمة ، هنــاك

دائما مشكلة التنسيق الجوى ، واختيار الوقت والمكان لكل تحـــرك وإمكانية التغلب على حاجز اللغة ، كما أن هناك خطر التصـــادم ، حتى فى المناطق التى بها حروب مثل فيتنام فطائرات مصاحبة قـد تلفت انتباها غير ضروريا لوجود "إير فـــورس وان" ولذلـك تـم الاتفاق على أفضلية المرور الغير معلن وبقليل من الحظـــر غـير ملاحظ . وبخلاف كل هذه الأسباب المنطقية فطائرة مقاتلة مصاحبة مرفوضة لأنها تعطى مناخا حربيا للزيارة الرئاسـية فكـل رئيـس للولايات المتحدة يرغب أن تكون صورته الخارجية كرجل ســلام ونوايا حسنة لا قائدا أعلى لقوى حربية خارقة. . .

خلال جولة نيكسون المكونة من تسعة أيـام فـى الشـرق الأوسط فى يونيو ١٩٧٤م وصل للبرتازى نبأ من وفـد الاسـتقبال "لإيرفورس وان" بدمشق بأن السوريين يريدون توفـير مـهاجمين لنيكسون من طائرات مقاتلة صنع روسيا كانت آلية سوريا الدعائيـة قد كفت لتوها عن الإعراب عن كراهيتها لأمريكا بطلة إسـرائيل . كانت سوريا الجهة الأصعب للحدود الإسرائيلية مع الدول العربيـة ، فهى كانت الأكثر مقاومة للمحاولات الدبلوماسية لكيسنجر للسـلام . كان هناك قلقا من أن هناك احتمال وحدة مضادة للطائرات أو طيـار متعصب ملتهب الحس الإسلامى كحركة جهاد (الحرب المقدسـة)

سوف يحاول قتل نيكسون وبذلك انتشال سوريا من أى اتفاق سلام مع إسرائيل.

في هذا النهار عند استعداد نيكسون للطيران إلى دمشق ظهرت فجأة منشورات من خلال أفقر أحياء المدينة تقول "هل كانت كل الحرب ، كل الدم الذى سفك تحت القنابل الأمريكية والتضحيات التى قاسيناها لكى يزور نيكسون ومعه رسول الإمبريالية كيسنجر دمشق ويعطي لها مائة مليون دولار.

قد أعطى البرتازى الأوامر وأوصلها لوفد الاستقبال بدمشق بأن يتم رفض عرض الرئيس الأسد "مرافقين" بحزم مع الشكر ، فتدخل "إيرفورس وان" وحدها بدون مرافقين تتبع الطائرات الصحفية "الشارتر" التى ستهبط قبلها وسيكون الوصول محكوما كالمعتاد بالإجراءات الدولية للمنظمات الملاحية المدنية كالرحلات المدنية.

وعلى بعد عشرون دقيقة من دمشق وطائرته قد نزلت بالفعل لارتفاع ١٥ ألف قدم تلقى البرتازى صدمة حياته ، فأربع نفاثات مستخفية كانت تقترب بسرعة . لقد كانوا طائرات ميج السوفيتية الصنع ويقول البرتازى "يا إلهى" ويعث بأوامره لمساعد الطيار "ال – تى كول فرانك هيوجس" اتصل بدمشق وإسأل ماذا يحدث ؟

فى طاقم المتابعة فوق الجناح رأى الميجور "جورج جولوان" نائب هيج الطائرات فى نفس اللحظة وقال : "انظروا لدينا مقاتلات على الجهة اليسرى!" ، ولاحظ عامل آخر زوج آخر من النفاثات تقترب من جهة اليمين واتجه "وليم هنكل" منظم الرحلة إلى شباك الطائرة للتحرى فهو يعلم أنه لم يكن من المفروض تواجد مقاتلات مرافقة ، وبينما "هينكل " يدلف للجناح دفع البرتازى (باير فورس وان) فجأة للغوص وهى ترتج بشدة ، واندفع هينكل بعوض الجناح ووقع على كرسى بجانب ال سارجنت "برينت سكوكروفت" مساعد كيسنجر لأمور التأمين الدولية . وكان سكوكروفت يحتضن قدماه ويتشبث بذراعى كرسيه قائلا بلطف "ألا تكون هذه النهاية التمجيدية؟".

لما يقرب من ثمان دقائق ، وضع البرتازى البوينج ٧٠٧ فى مسار متعرج .. تراجع وحركات هروبية فى حين كان هوجز يطلب تفسيرا من برج دمشق ، وسارع كيسنجر بصعوبة ليصل إلى كابينة الطيران قائلا : "البرتازى ، ماذا يحدث ؟ " فى النهاية اطمئن الجميع بأن المقاتلات السورية ليست عدوانية بالرغم من كونها غير مجدولة ! فرفع البرتازى مستوى تحليق الطائرة واستكمل اقترابه للهبوط تجاه دمشق .

وعلى الأرض اعتذر ضباط القوى الجوية السورية عن الحادث بقولهم بأن المقاتلين لم يكونوا سوى طلبة ، وقال "كيسنجر" للقائد الجوى السورى "لقد جعلت الامر أسوأ !" أما نيكسون الذى ظل آمنا فى جناحه خلال تلك ا لمرحلة فلم يذكر شيئا عن هذا "للبرتازى " أو للسوريين.

إن الطيران بالرئيس في وقت السلم يعتبر سهلا بالمقارنة لمهمات الطيران التى طرأت دوريا خلال حرب فيتنام بالنسبة "لماكليلاند" فإن أكثر الرحلات التى لن تنسى كانت أول رحلة أمريكية لشمال فيتنام فى فبراير ١٩٧٣م كانت "هانوى" هى نقطة الوصول ، وكان هنرى كيسنجر هو المسافر الوحيد عندما أقلع "ماكليلاند" بالبوينج الكبيرة المزينة بعبارة "الولايات المتحدة الامريكية" من ممرات قاعدة أندروز أبر فورس.

كانت شمال فيتنام والولايات المتحدة قد وقعا على اتفاق باريس لإنهاء حرب فيتنام ، وكان الآن على كيسنجر أن يحول التركيز من العدوانية للوضع المستتب . كما كان الاتفاق فى "باريس" كانت الولايات المتحدة مستعدة للمشاركة في إصلاح التلفيات التى وقعت بواسطة بى ٥٢ القاذفة المقاتلة ، والمشاركة فى إعادة البناء ، ولكن كيسنجر "كان أيضا يريد تذكير فام فان دوينج بأن الكونجرس والرئيس لن يستطيعوا عمل شيء ما لم تكف

هانوى عن انتهاك اتفاقية وقف إطلاق النار فى الجنوب ويســـتخدم نفوذه لإنهاء الصراع فى كمبوديا و لاوس.

إن التحليق بطائرة غير مسلحة فى إقليم العدو "هيوتو" لـــم يكن روتينيا وكما اكتشف "ماكليلاند" لم يكن ســكان شــمال فيتنــام متعاونون ويقول متذكرا "كان لنا اسم الموقع الذى يخــدم كمطــار "لهانوى" ولكن جاء لنا أنباء منهم أنه لم يكن هناك مثل هذا المطـار وأخيرا ، بعد تحريات كثيرة اكتشفنا وجود هذا الموقع ولكن الاســم كان قد تغير ، ولكنهم لم يكونوا ليقولوا لنا ذلك".

هبط ماكليلاند بالبوينج ٧٠٧ على مهبط علاماته متقطعــة تدل على أنه ضرب من قبل "بى –٥٢" قاذفة القنابل.

جاء ضباط شمال فيتنــام لمصافحــة واســتقبال كيســنجر واصطحابه وبعد وضع حارس من "إيرفــورس" حــول الطــائرة ، اصطحب "ماكليلاند" وطاقمه لفندق بوسط مدينة هانوى.

ويقول "ماكليلاند" كانت ال "ب–٥٢" أس قـــد أدت مهمــة مذهلة بدقتها لقذف القنابل حتى حدود المدينة ، ولكــن الفيتنــاميون اكتشفوا وسيلة للتغلب على ذلك ، فقد احتفظوا بحــراس شــاحناتهم داخل حدود المدينة ليلا عندما كانت القنابل فوقهم وكــانوا ينتقلــون للجنوب خلال ساعات النهار.

كانت التعليمات "لماكليلاند" وطاقمه ألا يبارحوا فندقهم إلا مع مرافق عسكرى ، قد يكون ذلك لعدم سلامة تجولهم بالشوارع اعتبروها كمنطق مسلم به.

وهناك أيضا الليلة التى صحا فيها بغرفته بالفندق ليجد ضيف دخيل (فيل) بجانب سريره ويحكى : "لقد جلست وأزحت الناموسية ولحظتها هرب الغريب صامتا خارج الغرفة".

"ماكليلاند" لاعب الكرة السابق تحرك بخفة للباب وفتحه على مصرعيه ولكن كان المدخل خالى وفى حجرة من الناحية الأخرى من المدخل كان هناك بعض أفراد طاقمه لايزالوا مستيقظين يلعبون الورق ولكنهم لم يكونوا قد سمعوا أو رأوا أحدا بالطرقة ويستطرد "أخيرا عدت لفراشى ونمت ثانية متسائلا لو كان ذلك من وحى خيالى ولكن فى اليوم التالى تأكدت من أن ذلك حدث فعلا ، فبدون مقدمات اعتذر المترجم عن تطفل الليلة السابقة قائلا أن أحدا دخل غرفتى خطأ".

ويشك "ماكليلاند" فى هذا التفسير ، ويتذكر إحساسه بعدم الراحة والحماس خلال إقامته القصيرة "بهانوى" كما لو كنت مخدرا ولكن لا يقدر هو أو القوات الجوية على تفسير ذلك ، على أية حال زال هذا الإحساس سريعا فقد سافر ماكليلاند مع كيسنجر فى باقى جولته الأسيوية ، أولا للجزء المحكوم من بريطانيا في هونج كونج.

فى الرحلات الرئاسية تنظيم المهمات والمعدات وتحديد من يقوم بكل شيء ومتى وأين يتجول لـــهو إجـــراء صعـــب يتحـــدى الوصف. فكل تفصيل يحدد مقدما فى كتاب الرحلة المقـــدس حتــــى بالنسبة للنشاط الروتينى ... فتكوين الكتاب المقـــدس هـــو مهمـــة عظيمة فحتى لرحلة بتوقف مرة واحدة إلى كولومبيا (ميســـــورى) قام بها كارتر على سبيل المثال ، كان ذلك فى ثلاث صفحات وقيـــد بكلام متشابك ونصائح بين الأقواس للرئيس والعمال والمراسلين.

أما لرحلة كبيرة تغطى أياما عديدة وأحداثا ببلاد متعددة فقـــد يتضخم الكتاب المقدس بحجم أرشيف ولسهولة تداولـــــه فـــى هـــذه الظروف عادة ما يوضح فى مذكـــرة ذات أوراق مســـتقلة تتشـــابه كثيرا تلك التى يأخذ المراهقون إلى المدارس .... المئـــات من الأشخاص المصاحبين للرئيس وللعمال الرفيعى المستوى المختارين فهم ينالون نسخة بحجم الجيب بطباعة رفيقة المستوى .

إنه من المهم للمحيطين بالرئيس أن يعرفوا ما هم يريـــدون عمله بعد وصولهم لعاصمة أجنبية وأيضا أن يربطوا بين متطلبـــات الرئيس وما هو متوقع من مضيفة . إن إنجيل الرحلة لا يعكس فقـــط تعاليم البيت الأبيض ولكن الدستور الدبلوماسى للدولة المضيفة لهم.

هذه المتطلبات معقدة عند زيارة الرئيس لدولة غربية مثـــل بريطانيا ، فرنسا ، غرب المانيا   استراليا وتتحول إلى أعقد مـــن

ذلك فى الرحلات للدولة الغربية كلية مثل الاتحاد السوفيتى بطول أسبوع بالصيف. إن إنجيل رحلة نيكسون يعتبر من أكثر الذين صدروا إحكاماً .. فهو يتلخص فى ١١٤ صفحة مع اثنى عشر جزء فرعى وجزء لتجولات حرم الرئيس نيكسون وشكل بيانى لتحويل الزمن فى بكين إلى التاريخ والزمن المقابل فى واشنطن وهونولولو وجوام.

ولكن سواء كان سميكا أو رفيعا فكتاب الرحلة هو ناتج عن ساعات من العمل المقدم من عدد لا يقدر من الإفراد فى وكالات فيدرالية عدة .

إن نقل الرئيس يمثل إنجاز فى الوقت والتنظيم والتخطيط المفصل والتحضير الدقيق ، إن الإجراء يدهش حتى من اعتادوا عمله .

قبل بضعه أسابيع من رحلة رئاسية عظمى ، تطير طائرة الرئيس فى رحلة مقدما لإعطاء الطاقم وعمال البيت الأبيض والوكالات المساعدة فرصة لفحص التسهيلات التى سيستخدمها الرئيس ولوضع خطط نهائية مع الدول المضيفة لزيارته الفعلية.

بعض ممن على متن الطائرة يكون رجال الخدمات البرية وضباط قسم البروتوكول وأخصائيون من وكالة اتصالات البيت

الأبيض يتم إنزالهم فى نقاط مختلفة لأداء مهامهم ولانتظار وصـــول الرئيس .

إن كل رحلة تبدأ بالطبع بالرئيس نفسه فمنذ قبولـــه لدعـــوة يقوم فريق الجدولة بالبيت الأبيض بالبدء فى تصميم سيناريو بدائـــى بدور حول التواريخ المستهدفة للسفر والعودة مـــع التخطيـــط مـــن مستشاريه السياسيين والصحافيين ، مع ضابط قسم الولايات المتحدة للبروتوكول للرحلات الأجنبية ويكون أساس المساعدة متمثـــل فـــى الخدمات البرية ووزارة الدفاع ومجلـــس الأمـــن العـــام ووكالـــة اتصالات البيت الأبيض والمكتب الحربى للبيت الأبيض أيضا.

ويقول " ما كليللاند " إن لدينا قاعدة ثابتة تطبق منذ ســنوات فيمكن أن تقلع " بايرفورس " وان فى خلال ساعة من إخطارنا ولــو أردنا تناول وجبة يكون الإخطار قبلها بساعتين ، ولكننا فى الحقيقــة نادرا ما نتلقى إخطار قبلها بيوم ، فى الرحلات لعبور البحار يعطى لنا إشارة قبلها على الأقل بأربع أو خمس أسابيع مقدمـــا أو أحيانـــا قبل ذلك ، وقبل الإعلان العام بالطبع ،

إن الإخطار الكافى يكون حرج خصوصا لأطقـــم ملاحـــى الرؤساء الذين يكونون فى متنقل مستمر مثل " ليندون جونســون " و " ريتسارد نيكسون " بعض الرحلات الرئاسية تقترب مـــن كونـــها

متلاحقة مع أقل من يوم واحد كفرصة لإعادة تهيئة الطائرة للرحلـــة التالية .

خلال أول خمس سنوات ونصف من رئاسة " نيكسون " لـــم يتم إخطار الطيار الرئاسى البرتازى فى أقل من سبعة عشر ســـاعة قبل الرحلة الرئاسية ولكن هذا يعتبر وقت غير كاف للتجهيز الوافــو لرحلة مطولة ، وبالتالى كان البرتازى يضغط على البيت الأبيـــض للإخطار المبكر عن ذلك ويقول " فى البدايـــة تلقينـــا كـــل الوقـــت المطلوب الذى كنا نريده ولكن مع مرور الوقت تحـــول العـــاملين المحيطين بالرئيس للسرية حول رحلات الرئيس الجوية ، ولم يكـــن التعاون كما ينبغى ووصل الأمر ، أننا كأعضاء الطاقم صرنا فـــى خوف قاتل أن يوما ما سوف تصل الهليوكبتر من البيـــت الأبيـــض لتجد ال "إيرفورس وان " غير مجـــهزة ، إن تجـــهيز الطائرتـــان الرئاسيتان سام ٢٧٠٠٠ وسام ٢٦٠٠٠ تكون ذات أولية أقل مـــن البونج ٧٤٧ إس التى تعمل جويا دوليا فى محطة التحكـــم وهـــى مهمة " Dooms Day " أو يوم القيامة فى حالة أى طارئ نـــووى إن هناك طائرة تحت الأمر جاهزة أساسا على مدار الساعة حينمـــا يحتاجها الرئيس ولكن طيارى وأطقم سام ٢٧٠٠٠ وســـام ٢٦٠٠٠ هو دائما رهن الاستدعاء حتى لو كانوا خارج الخدمة من قـــاعدة " أندروز أيرفورس " ومعظمهم مقيم فى القاعدة أو بجانبـــها وتكـــون

منازلهم متصلة بلوحة مفاتيح البيت الأبيض ومكتب طيارى الرئيس وأحيانا بكلاهما فمن غير المستغرب أن يستدعى على عجل أى منهم على جهاز الاستدعاء الذى يكون فى أحذيتهم فى أية مناسبة اجتماعية مثل مشاهدة مسرحية أو حتى فى محل تجارى.

وتظل الطائرات الأولية جاهزة للإقلاع فى خطيرة الطائرات الضخمة فى أندروز ويقول " ماكليلاند " غادة ما نحتفظ بما يقرب من ٥٦ ألف باوند من الوقود معظم الوقت وهو كاف للتحليق لمدة تصل ثلاث ساعات. وتظل سام ٢٧٠٠٠ فى الهنجر مع أدوات سحب جاهزة ومركبة حتى يتم سحبها إلى موقع الإقلاع عند اللزوم . ويتم الاحتفاظ بطعام كاف لرحلة واحدة على الأقل فى ثلاجات مطابخ (إيرفورس وأن) وهى جزء من الأعداد المركبة إن الرحلات الداخلية الرونينية ، مثل رحلة كارتر إلى "ميسورى" وقفزات نيكسون المتكررة " لكى بيسكاين " وهرولة جونسون " لمزرعته يحتاجون إلى إخطار لتحضير بسيط ويتم الاحتفاظ بسرية بعض الرحلات حتى يقرر البيت الأبيض إعلانها جماهيريا.

أقلع الطيار البرتازى ومساعد الطيار " ماكليلاند " إلى مطار لاجارديا فى نيويورك فى مرة لإلتقاط الليدى " جاكلين كيندى أوناسيس " وطفلاها لعشاء خاص مع نيكسون فى البيت الأبيض ،

ولم تعلن الزيارة حتى عادت الأسرة الأولى (السابقة) إلى نيويورك متأخرا في ليلتها .

وبالنسبة للطيار الرئاسي وطاقمه تكون الرحلة المقدمة فرصة للتعرف على الترتيبات التي تكون في كل مجال جوي ، وللتأكد من أن كل احتياجات (إيرفورس وان) سوف تلبى بقدر كاف خلال كونها على الأرض وذلك مضمنا حاجتها للإقلاع الفوري عند ظهور أي طارئ في الولايات المتحدة أو في أي دولة أخرى .

ويكاد لا يكون هناك أي عاصمة بالعالم لم يزورها طياري الرئيس على الأقل مرة واحدة .... ولكن تتطلب التغيرات التي يمكن أن تكون قد طرأت في التسهيلات المحلية منذ الرحلة السابقة ضرورة مراجعة جميع البنود في لحظتها ، بالطبع لا يهم لو كانت (إيرفورس وان) قد هبطت في مطار باريس أو لندن من قبل فكل زيارة تختلف عن السابقة لها وذلك متضمنا أحوال الطقس ، ويحدث كثيرا أن تكون زيارة الرئيس لأول مرة ، ففي الحملة الدعائية الرئاسية في سنة ١٩٧٦ على سبيل المثال حلق "ماكليلاند " بسام ٢٧٠٠٠ في رحلة إلى بلدة بنبوها مبشير لاختيار تسهيلات المطار، ويقول كان كل شئ على ما يرام في الرحلة المقدمة. ولكن الطقس كان حاراً وسيئا للغاية في ليلة من شهر فبراير، وهي ليلة

رحلة الرئيس فورد إلى هناك وبالتالي لم نصادف أى متاعب مع (أيرفورس وان) لأننا كنا قد عودنا أنفسنا على المكان .... ولكن الطائرة الصحافية تأخرت في الهبوط ... واضطرت إلى الدوران لمحاولة هبوط ثانية.

يقول " ماكليلاند " إن لدينا الطائرة الاحتياطية فى الخدمة وجاهزة للإقلاع فى أى وقت يسافر فيه الرئيس فلو ظهرت مشكلة ميكانيكية فى آخر دقيقة على إيرفورس وان فإن الطائرة الاحتياطية هى سياستنا التأمينية .

ويرغم التكلفة المرتفعة واستهلاك الوقت لتخضير البونج الاحتياطية متأهبة للإقلاع فإن هذا النظام يمنع الإحراج الدولى للرئيس الأمريكى كما حدث فى اللقاء الإستدعائى الذى كان للرئيس السوفيتى ليونيد برجنيف فى موسكو سنة ١٩٧٢ فقد كان نيكسون وبرجنيف على متن النفاثة السوفيتية الضخمة التى كانت ستنقلهم إلى كييف عندما عاد الطيار ذو الوجه الأحمر قائلا إن طائرته لا تعمل فتتطوع نيكسون لاستعمال طائرته الاحتياطية والتى كانت جاهزة للاستعمال ولكن برجنيف رفض متفاخر " نحن أيضا لدينا طائرة احتياطية وكانت المشكلة أن الطائرة الروسية الاحتياطية لم تكن جاهزة للاستعمال ، فقد كان يلزم ملئها بالوقود وإزاحة الغطاء عن الماكينات وعن الكابينة الداخلية التى سيستخدمها برجنيف

ونيكسون ويقول البرنازى " لقد قضوا ما يقرب من ساعة فى إعـداد الطائرة الاحتياطية ولم نكن نصدق ما يحدث".

إن الطائرة الاحتياطية لا تطير خاوية أبـــدا ، فـــهى تقــل الأعضاء الزائرون من العاملين فى خدمة الرئيس والخدمات البريــة وضباط إدارة الذين لا مكان لهم علـــى طـــائرة الرئيـــس ، وفـــى الرحلات الخارجية لا يتم بذل أى جهد لإخفــــاء وجــود الطـــائرة الاحتياطية ، ولكن حساسية البيت الأبيض تجاه النقد تؤدى أحيانــــا لذل جهود غير عادية لإخفاء الطائرة الاحتياطيـــة فـــى الرحـــلات الداخلية.

وهناك تخطيط شائع وهو ترتيب وجود الطائرة الاحتياطيـــة على الأرض فى جهة الوصول قبل وصول الرئيس بوقـــت كـــاف حتى يتم ركنها فى الهنجر فى ركن بعيد فى الموقع لإبعادهـــا عـــن نظر الصحافيين وأحيانا يتعطل وصول الاحتياطية لحيـــن مغـــادرة الرئيس للمطار.

ويقول البرتازى فى سنوات نيكسون لو تخوف العاملين مـن وجود مضايقات من جراء استخدام طائرتان بالرغم من أن واحـــدة تكفى لأداء المهمة ، كنا نستخدم طريقـــة بديلـــة حتـــى لا تلاحـــظ الطائرة الاحتياطية ، فكنا نجعل الاحتياطية تدور فوق الموقع حتـــى مغادرة ال (ايرفورس وان) وطائرات الصحافـــة ثـم كنـــا نـــترك

الاحتياطية لتنقل العاملين أو عملاء الخدمات البرية الذين كانوا يحتاجون للنقل لمحطة التوقف أو رجوعا إلى واشنطن .

ويتم التعديل الداخلى بين أطقم طيارى الطائرتان الرئاسيتان الأساسية والاحتياطية وعادة يتغيروا ذهابا وإيابا كلما دعت الحاجة لذلك باستثناء الطيار الرئاسي الذى يقود طائرة الرئيس أينما تذهب ويصرا القائد الطيار للطائرة الاحتياطية كمساعد طيار فى الرحلة المقدمة التي تسبق الرحلة الرئاسية وبذلك يكتسب فرصة التعود على طريق الرحلة وإجراءات الهبوط بمطار كل نقطة توقف.

وبالإضافة للطائرتان الرئاسيتان ، تستعمل طائرة نفاثة بها خزان محولة لاستعمال الـ "V. I. P" أو الرجال المهمين وهى تشابه البونج ٧٠٧ بدون نوافذ وهى تستعمل لنقل موظفى البيت الأبيض ورجال البرونوكول اللازمين لعمل الترتيبات النهائية لوصول الرئيس بكل مدينة في جدوله.

كما تطير طائرتان اخريتان عاده فى وقت ما أيضا : واحدة منهم تسمى الطائرة "السيارة " وهى نقل الليموزين المضادة للرصاص الخاصة بالرئيس والسيارة التابعة الخاصة بالخدمات السرية والطائرة الأخرى هى "واء – إتش – س – إيه " بيرد التى تنقل معدات الاتصال المتطورة المطلوبة لدوام اتصال الرئيس التنفيذى مع البيت الأبيض وكل مكان على الكرة الأرضية أحيانا

يتم طلب بعض الطائرات الأخرى أيضا على سبيل المثال لو احتاج الرئيس لهليكوبتر فى أى جهة خارجية فيتم نقل الهليوكوبترات على متن طائرة البضائع "س – ١٤١ " والتى تسبق وصوله ويتم نقل الطائرات غربا خارج الولايات المتحدة عندما لا يكون هناك متسع من الوقت ليقوموا بالرحلة بطاقتهم الخاصة .

وهكذا مع الأخذ فى الاعتبار طائرة صحافية أو اثنان فأسطول رحلة رئاسية كبيرة يضم من خمس إلى ثمان نفاثات كبيرة وهذا المجموع لا يضم بالطبع طائرات الإنقاذ الجوى بحرى التى تتابع (إيرفورس وان) خلال تحليقها فوق المحيط بسرعة ٥٦٠ ميلا فى الساعة .

وعلى متن إيرفورس وان لا يهتم الطاقم بتعليمات ما قبل الإقلاع من أحزمة أمان أو أقنعة أكسوجين أو إجراءات الطوارئ المطلوبة فى الرحلات الجوية المجدولة . وذلك لسبب هو أن التصميم الداخلى لا يسمح للركاب برؤية أى ملقن لهذه الإجراءات وسبب أخر أن معظم من على متن الطائرة هم ذوى خبرة فى السفر الجوى فهم يعلمون المهمة عن ظهر قلب ولكن ذلك لا يمنع أن الملامة خلال الرحلة تظل أهم ما يشغل طاقمها .

إن كل فرد من الطاقم من أصغر عامل خدمة حتى الطيار له مهمة محدده عند حدوث أى طارئ وقت التحليق فإجراءات

الخروج والإخلاء يتم التدرب علـــيها باســتمرار خـــلال رحـــلات التدريب للتمرين .

ويجد كل ما فى على الطائرة نبذه بمقعده تذكره بما يحـــب علية فعلة فى الحالة المستبعدة لتعطل ميكانيكى إن الهبوط المضـــاد لهو فكرة بشعة حتى أن ركاب (إيروفورس وان) يميلـــون لتخطـــى تلك الفقرة في الكتب، ولكن الفقرات التى تتكلم عن الإخلاء بـــالممر يتم قرائتها بتفاؤل كما ورد فى حديث البرتازى أن الطائرة "متوفـــر لها أحدث وأكثر المعدات عملية لسلامتكم وراحتكم". بَعْـــد الأمـــر بالتجهيز للإخلاء يتم نصح ركاب (إيرفورس وان) بالهدوء وإرخـــاء ربطة العنق والياقات أو بالتخلص من القلادات والنظارات والقبعات والأحذية وإبعاد الأشياء الحادة التى يمكن أن تكون مهمة وبعـــد أن يساعدكم الطاقم المسئول فى الخروج من باب الطوارئ إلى الميـــاه يمكنكم البدء فى ضم سترات الإنقاذ وبعد إتمام الإخلاء ســـتصعدون على متن قوارب حديثة مزوده بمستلزمات للطوارئ لتوفير أعلـــى حماية وراحة فى مثل ذلك الظروف.

لم يتم ذكر أى شئ عن الرئيس وأعضاء الغرفـــة الأوليـــن ولكن الرئيس سوف ينال اهتمام خاص عند الطوارئ كمـــا تنتظـــر الأمة . فبينما يخر ج الطيار أخر فرد يتأكد من مغـــادرة الجميـــع

للطائرة و لا تتأخر طائرة الإنقاذ الجو / بحر أكثر من بضعة دقـــائق حاملة أدوية كثيرة وعوامات وأدوات إنقاذ .

إن إير فورس مصحوبة تماما بطـــائرات أخـــرى وســـفن بالممر البحرى حتى أنه يمكن التصديق بان الإخلاء الرئاسى فـــى الممر سوف يكون فرصة لإنقاذ مسرحى أكثر من كونه تراجيديا أو كارثة دولية .

ويتفاخر أطقم الجو الرئاســيين بضبطـــهم للمواعيــد فـــهم يعرفون كيف يسرعون بالطائرة بالوقت المحدد فقد يتأخر الرئيـــس فى الركوب على متن (إيد فورس وان) أو قد يتسبب الطقس فـــى تأخير ما ولكن التأخير فى الإقلاع أو الوصول ليس نتيجـــة لعـدم كفاءة الطاقم.

إن سلطات المطار متعاونة أيضا ففـــى المواقــع الحربيــة والمدنية ، عاده ما يعطــــى المختــص فــى الرحـــلات الأولويــة "لإيروفورس وأن" فى الموقع فعاده لا تضطـــــر طـــائرة الرئيـــس لانتظار دورها للإقلاع ولا عند اقترابها من مطار لا توضـــع فـــى خريطة انتظار أو يحتفظ بها بالجو كما يحدث عادة فى الرحـــــلات التجارية ، وعكس الاعتقاد الشائع ، لا يطلب طيارى الرئاسة أيـــة معاملة خاصة ولكن السلطات الأرضية توفرها لــــهم منطقيــا ممــا يسهل سلامة وأمان إجراءات رئيس الولايات المتحدة، وبالطبع هــذه

سياسة جيدة فلا يوجد كثير من ضباط المطـــار أو عمالـــة الذيـــن يريدون أن يقال عنهم أنهم من سببوا متاعب للرئيس.

إن الإقلاع والهبوط الكفء لا يأتى مصادفة فطاقم البرتازى يتم التدريب والتأكد من وسائلة فى كـــل مناســبة بيـــن الرحـــلات الرئاسية حتى وصل الأمر أن البرتازى صار قادرا علـــى ضبـــط الإقلاع أو الهبوط حتى الجزء من الثانية وتم التدرب خاصة علـــى الهبوط. بما أن الرؤساء يودون الوصول بـــالضبط ولكـــن معظـــم مرات الوصول الرئاسية تكون إجراءاتها معقـــدة فلـــو أن البيـــت الأبيض وفريق إيرفورس المتقدم أدوا مهمتهم جيدا سيكون هنـــاك أمامهم مهمة أو اثنان بالإضافة إلى الاستقبال من الضباط الموقريـــن محليا والصحافيون وأطقم التلفاز وسرب السيارات لتشكيل الموكـــب الرئاسي وبالطبع لأطقم المرافقة وحماية القوات السرية ولذلك يكون من المهم أن تؤدى (إيرفورس وان) دورها فى المناسبات وتصـــل لوقعها المحدد فى المطار وتغلق الماكينات ويفتح الباب فى الوقـــت المحدد سلفا بالجدول ولا يحاول الرؤساء أن يتأخروا برغـــم أنـــهم يمكنهم إعطاء أسباب وجيهة لتأخرهم ولكن وصولهم مبكرا حتـــى ولو عدة دقائق يكون محرجا للجميع.

ونتيجة للتمرين يعمل طاقم (إيرفورس وان) علـــى تكويـــن نظام لتوصيل الرئيس للموقع المحدد بالضبط لكل مناسبة فقبـــل أن

تلمس عجلات النفاثة الكبيرة الأرض يركز طاقم القيادة على تنفيـــذ الوقت المحدد سلفا . وبعد الهبوط ، تكون بمنتهى البساطة هذه هــى اللحظة التى يجب بها وضع العجلة الأمامية لطائرة الرئيـــس فــى مكان وقوفها المحدد مسبقا فى كل موقع سواء بالوطن أو بالخـــارج هو مكان يوضع به عاده علامة إكس " X " على المكان المحدد إن وضع هذه القطعة الصغيرة العزيزة في وقت محـــدد بالثانيـــة بعـــد آلاف الأميال من الطيران قد يبدو كعمل باهر ولكن طيارى الرئاسة ينفذونه بعلم محدد . فيبدأ العد التنازلى الوقتى قبلها عن بعد بمـــائتى ميل عندما يعلن ملاحى (إيرفور وان) وضـــع وســرعة الطـــائرة وبفضل الرحلة المقدمة ، يكون الطاقم على علم دقيق بالموقع التـــى يفترض أن تكون به الطائرة عند هذه النقطة وعلى بعد مائة ميل ثـم ثمانون ميلا ثم عشرة أميال وحتى لحظة الهبوط .

ويقول ماكليلاند ، رئيس ملاحـــى كــارتر :" إننـــا نعلـــم بالضبط طريق التوقف الذى يجب أن نسلكه والوقت الذى سيحتاجه كما أننا قد تدربنا علية وطالما تهبط الطائرة يبدأ الملاح فـــى العـــد التنازلى الأخير حتى البقعة التى عليها العلامة " X " أربع دقـــائق ثلاث دقائق اثنان ... واحدة .... ثلاثون ثانية .... عشرون ثانيـــة .. عشرة ..... تسعة ...... ثمانية ...... ســبعة ... ســتة ..... خمسة .....أربعة ... ثلاثة .... اثنان ..... الآن.

خلال آخر عشرون قدما من اقتراب إيرفورس وان إلـــى " X " ، يعلق الطيار عيناه على الرجل المتقـدم لإيرفـورس الـذى يراقب العجلة الأمامية التى تتحرك ببطء تجاه العلامة .

ويقول البرتازى " طوال هذا الوقت ، يحرك يديه بحـرص ويقربهم ويقرب حتى يجتمع يداه وعندها يعلم الطيار بأن الطـائرة عند العلامة، وتقف الطائرة . وبسرعة يضـع ميكـانيكى الأرض طوبا تحت العجلات ويكون الوقت بالضبط ما كان محـدد بجـدول الرئيس.

إن مهارة وصول البرتازى فى أجزاء من الثانيـة بغـض النظر عن طول الرحلة تبهر عمال نيكسـون المـهتمون بـالوقت وظلوا منتظرين منه أن يخطئ، وفى منتصف ١٩٦٩ ، فى الرحلـة الطويلة عن هونولولو إلى جزيرة ميدواى خلال رحلـة نيكسـون حول العالم ، راهن السكرتير الصحفى رونـالد زيجلـير" بخمسـة دولارات مع "جميس هوجز" مساعد إلــ فورس بأن البرتازى لـن يفتح الباب فى تمام الساعة السابعة وسبعة عشر دقيقة مساء وهـو الوقت المحدد لمغادرة نيكسون للطائرة فى ميدواى.

وأصر زيلجلر ويده الأخرى على سـاعته أن تكـون يـده عالية، وأخذ زيلجر الرهان . بعد ذلك عرف بإن البرتازى لا يتحكم بالطائرة فقط ولكن بمواعيدها أيضا.

كان زيجلر بالطبع يداعب البرتازى ولكن البعـض الآخـر من عمال نيكسون كانوا جميعا غير سعداء بهذا الانضباط المستمر. واحد منهم كان " إتس – إر – بوب – هالدمان القائد العنيد لموظفى نيكسون في يوم من الأيام جعل الإقلاع إلى واشنطن لرحلة رئاسـية تتأخر قليلا، تلقى البرتازى اتصال تليفونى من كولونيل هوجز الـذى قال له :"هالدمان يريدك أن تتأخر عشر دقائق عند الوصول الليلـة. احتار البرتازى متسائلا عن السبب ويرد هوجز : "إنه لا يريـدك أن تصل فى ميعادك كل مرة فقد قال لى أنه يريدك أن تمثل فى " إيـ ـتى – أية " أى فى الوقت المحدد للوصول من فترة لأخرى .

واعترض البرتازى قائلا "ولكن هذا غير منطقى لابـد أن هناك سبب لذلك ؟ " ويرد هوجز . " أعتقد أن هالدمان لا يريـد أن يكون هنالك أحدا غيره منضبط طوال الوقت " ورد البرتـازى "إذن قل لسيد هالدمان إذا كان يريد الطيران بهذه الطريقة فيحسـن لـه إحضار طيار أخر للرئيس " ولم يسمع البرتازى كلمة أخـرى فـى هذا الموضوع بعد ذلك .

إن طاقم إيرفورس قد ابتدع لعبة شعبية من خلال الجـدول الزمنى وتسمى " دواره العجلة الأماميـة فالدخـان المنبعـث مـن الصمام للعجلة الأمامية اليسرى يستخدم كعلامة قبل الهبوط ، يقـوم كل لاعب باختيار رقم واحد إلى أثنى عشر كما فى الساعة ثم يضع

دولارا . ويستخدم الطيار كقاضي ويأخذ النقود اللاعب الذى اختار النقطة الدقيقة التى تكن عليها بالأرض علامة الصفر التى على العجلة التى فوق العلامة " X " لو كانت النتيجة ما بين مثل (سبعة ٣٠ر٧ بدلا من سبعة أو ثمانية يقوم حاملي الرقمان باقتسام المبلغ .

أحيانا ، يشارك فى المرح أعضاء من البيت الأبيض أو القوات السرية . ويعلق البرتازى قائلا " هي لعبة لا يمكن تثبتها فالعجلة الأنفية (الأمامية) تدور بسرعة ١٢٠ ميلا بالساعة عندما تلمس الأرض . وبدأت تظهر بعض الأخطاء بالتوقيت فى جدول "إيرفورس وان" عندما كان موظفي نيكسون بالبيت الأبيض الذين يدعون بعزيمة وكبرياء القيام بالسيطرة على معظم التخطيط التشغيلي لرحلات الرئاسة ، وبعض من هؤلاء الخاويون كانوا غير معقولين .

ففى رحلة نيكسون حول العالم فى ١٩٦٩ ، وفى طريقة من مانيلا إلى جاكرتا ، اكتشف البرتازى أن مكتب "دويت مثابين " كان قد حسب فروق التوقيت خطا . وكانت النتيجة أنه كان على "إيرفورس وان" أضاعه ساعتان من خلال السير في مسار متعرج بعرض سماء المحيط الهادى لتجنب وصول الرئيس مبكراً لأنه قد تم حساب الوقت قبل موعده بساعتان.

وبعد ذلك ، صار البرتازى وأل تى كول دون مـــاككيون " الملاح يفحصان الوقت للمراجعة بهدوء لكل رحلة متتابعـــة وذلـــك لنفسهم كلما طالت أيديهم الجدول المعد لوصول الرئيس.

ويقول البرتازى كثيرا ما كنا نجد أخطاء خمس إلى ســـتين دقيقة فى حسابات موظفى البيت الأبيض ، لحسن الحـــظ الأخطـــاء أكثر تكلفة بالنسبة لدافعى الضرائب.

إن أفضل الخطط الموضوعة تسوء إذا تأخر الرئيس نفســـه فى الصعود على متن الطائرة أو كما يحدث كثيرا يقف أطول مــــن اللازم على أسفل سلم الطائرة فى حديث مع الشـــخصيات المحليـــة المهمة أو يقرر فى لحظة سريعة أن يؤثر على الجمـــاهير الذيـــن بطول السور قبل إقلاعه.

إن كل رئيس سواء بالداخل أو خارج البـــلاد يبـــدو كمـــن يحتاج لثبات الجمهور قبل صعوده على متن (إيرفورس وان) وهـــذا الطبع صعب التغلب علية حتى مع علمه بأنهم قد يتـــأخروا يواجـــه صعوبات فى الوصول المحدد فى لحظة التوقف التالية . على أيـــة حال ، فالمصافحة تبد وكواجب مقدس أو على الأقل هذا مـــا يبـــدو على الرؤساء مهما كانت شدة ملل أو إحباط طاقمهم مـــع الدقـــائق المحددة .

لقد كان نيكسون عادة رجل يضبط مواعيده وحتى حين كان يضغط على أيدى المتفرجين الذين يسببوا ضوضاء فقد كان أحيانا يلقى نظره للطائرة ليرى إذا كان البرتازى قد استعد للإقلاع وبالتالى ، يعاود البرتازى أورون زيجلر أو عميل قائد الخدمات البرية بالنقر على ساعته بإصبعه ويقول البرتازى " كانت هذه الطريقة تنجح عاده ، فبعد بضعة مصافحات قليلة كان الرئيس يبدأ فى التحرك تجاه سلالم الطائرة.

وكان اليمور روبرت باريت رئيس المساعدة الحربية لفورد أحيانا ما ينادى من أعلى باب الطائرة عندما يتلكأ الرئيس لمدة طويلة على الأرض. كان باريت ينادى . "امسك طوق النجاة " لا لأحد إلا بصوت مقصود بان يصل لإذنى الرئيس " أمسك الطوق وكان فورد وهو يتهكم دائما يلتقط الرسالة ويسأله مداعبا " ماذا تقصد بأمسك طوق النجاة ... أى طوق ؟ ويقول ذلك وهو صاعد متن الطائرة.

إن للممرات الجوية الخاصة تتم لترتيب أسرع الطرق بين واشنطن والوجهات التى يقصدها الرئيس الأقصر فى المسافة وفى نفس الوقت ، فهى تسمح لإيرفورس وان بتفادى الزحام الجوى فى الخطوط التجارية التى تخدم المطارات القريبة ، كذلك فهى تسمح للطائرة بالصعود والهبوط لارتفاعات أعلى من الموضوعة فى

قوانين الـ أف – أية – أية للرحلات التجارية عبر البحار ، يصاحب الوفد الرئاسى دائما ضابط من خدمات جمارك الولايات المتحدة للمساعدة فى إنهاء الإجراءات وتتمثل مهمته الأولية فى رحلة العودة إلى الولايات المتحدة لمنع كون الرئيس والمرافقيه من أن يضطروا للخضوع لفحص جمركى للأمتعة والمستلزمات الشخصية بعد الهبوط على الأرض الأمريكية وهذه المجاملة الوطنية بدأت خلال إدارة إيزنهاور وهى فائدة كبيرة وإضافية للسفر مع الرئيس . يوقع كل شخص فى الرحلة على إعلان جمركى لتغطية مشترياتهم الخارجية وإن كان فى حدود المسموح بها فقد تأتى فاتورة لهم بعد ذلك عن إدارة الجمرك ولكن ذلك يحدث نادرا فقط عندما يكون هناك ارتياب باستغلال لهذه الميزة.

في معظم الأوقات لا يشمل الإستغلال كنوزا قيمة ولكن سلع أجنبية ذات ألوان مبهرة يرغب المسافرون فى أخذها لمنازلهم ومن الأشياء المألوفة التماثيل العاجية والمشغولات الخشبية الكبيرة على رحلات العودة الجوية إلى الولايات المتحدة خصوصا من بلاد جنوب شرق آسيا ويتذكر أحد موظفى الخدمة لرحلات أحد الرجال المهمين المرحين المسافرين للشرق الأقصى وكانت الرحلة فى هونج كونج لجولة تسويقية وهى معتادة فى يوم الرحيل ، جاء أدميرال إلى الطائرة بلعبة على هيئة عربة يابانية من التى تسير

يدويا بالحجم الطبيعي. ويقول الستيوارد : لقد نصحته أن لا يمكن أن يمر بعربته ولكن لم يستمع لنصيحتي، لذلك ظلت العربة اللعينة ولم يتمكن من أخذها معه".

ولكن موظف الخدمة برتبة أدميرال على أية حال ارتاح من مهمته بعد ذلك، فقد تم نقله إلي واشنطن على متن طائرة تجارية وعرض علية عمل آخر . إن الجدال مع (المسئولون الكبار) ليست وسيلة للحصول على سبل (الترقى) في الخدمات الحربية.

الفصل الرابع

فى البداية...

وقصة فرانكلين روزفلت

هوارد كون كان في منها تن يوم ٧ ينـــاير ١٩٤٣ عندمـــا تلقى رسالة من مكتب الاتصالات عبر المحيط مـــن قبـل ضـــابط العمليات (لابورت) بخطوط بان أمريكان. كان (كون) يتوقع هـــذه الرسالة منذ أسبوع تقريبا ونصها: غـــادر خليـــج بـــاورى واتجـــه بواسطة الـــ Dixie clipper إلى ميامي هذا المســـاء. اسـتعد لمهمة غير معلن عنها حتى الآن.

اتصل كون بزوجته في المنزل وطلب منها أن تقابلـــه فـــى مقر ضابط البحرية الاحتياطى ومعها زيـــه الرســمى واحتياجـــات السفر . عندما وصل إلى الطائرة Dixie لاحظ وصول صديـــق قديم. الطيار ريتشارد فينال بشركة بـــان أمريكـــان يقــوم بنفـــس الاستعدادات النهائية للطائرة Clipper وهى المثيـــل المشـــابه لطائرة الرياسة. كانت التعليمات أن تطير الطائرة إلى ميامي. شـــعر الطياران أن هناك شئ ما فى الجو لكن ما يعلماه كان قليلاً ، تلقـــى (جون لينزل) مدير عمليات عبر المحيط لشركة بان أمريكان إشـــارة أكثر إيضاحا من تلك التى تلقاها الطياران ، إلا أن حب الاســتطلاع

لديه لم يكن مثلهما . التعليمات التى تلقاهـــا مـــن واشـــنطن بعـــد احتفالات رأس السنة كانت عادية فى الواقع فسلاح البحريـــة كـــان يطلب طائرتى بونج ٣١٤ ، ثم وفق العقد المـــبرم لفـــترة الحـــرب التواجد فى ميامى يوم ١١ يناير والطائرتان مجهزتان لمهمة خاصة بالنسبة ليزلى كانت مثل هذه الرسائل موضوعا قديما فلمـــدة تزيـــد عن سنة كانت هذه الطائرات التى اعتبرت ســـفن طـــائرة ، تقطـــع مسافات طويلة عبر المحيط وتحمل مسئولين حكوميين علـــى قـــدر من الأهمية ، فقد تم استخدام طائرات بان أمريكـــان أل Clipper لنقل ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وملكة هولندة فيلـــهلمينا وجورج ملك اليونان ، وأدميرال البحرية تســـتر نميتـــس وقـــائد القوات المسلحة الأمريكية الجنرال جورج مارشال ، بالنسبة لـــهذه الرحلة التى نتحدث عنها ، كان الشئ الغير عادى ، تزويدها باثنـــان من السجاد فى المناسبات الهامة ، فى الواقع كانت الأوامر الصادرة إلى ليزلى والمرسلة إلى حظيرة الطائرات الخاصة بالبان أميركـــان فى قاعدة لاجواريا أقل فى التفاصيل من سابقاتها .

أن تصدر الأوامر لإثنان مـــن flying Boats لـــهذه المهمة تبعه أن كلفت شركة بان أمريكان اثنان من أعلى الطيـــارين كفاءة فى العالم واللذين كان من المقرر أن يقـــودا الرحلـــة التاليـــة

بقيادة هذه الرحلة ، وهما الطياران كون وفينـــال ، وكـــل طـــائرة كانت ستزود بطاقم من ١٠ من رجال الأطقم الطائرة .

بنهاية يوم ٧ يناير تم تسليح طائرتان شبيهتان كنـــوع مـــن التموية وانطلقنا فى الجو عبر الأطلس متجهتان إلى ميامى على بعد ١٠٠٠ ميل وفى الساعة ٣٠ر٧ سعه قابلتهما عاصفة ثلجية شـــديدة فوق كيب هات مما عرض الطاقم إلى قلق شديد ، إلا انهما هبطـــا بسلام يوم ٨ يناير فى وقت مبكر بقاعدة بان أمريكان البحرية فـــى ميامى ، اليوم التالى تلقى الطياران تعليمات رحلتهما التالية .

توجه عبر البحر الكاريبى إلى بلـــدة بـــورث أوفـــا ســـبين بجمهورية ترينداد ، لتنقلا الركاب الذين سيصلونكم فجر يـــوم ١١ يناير .

استعد كون وطاقمـــه مســـتقلا أل Dixie Clipper بساعة قبل الفجر ، كان كل ما تلقاه أشعار بقـــول أنـــك ســـتنقل ٩ ركاب دون ذكر أسماء وهو ما اعتبره كون شيئا غير مـــألوف . إلا أننا فى وقت حرب والسرية تزداد داخل سلاح البحرية يومـــا بعـــد يوم.

قبل موعد الإقلاع التقريبى بعشرون دقيقة وصلت قائمـــة ركاب جديدة ، على رأسها شخص يسمى مسز جونز تتبعه أســـماء

مثل هارى هويكز ووليام ليهى وأدمرال روس ماكن ثاير وخمسة آخرون التفت كون بدهشة إلى ضابط التراحيل " غير معقول "

كل ما فعله ضابط التراحيل أن أومأ برأسه وما لبث الراكب رقم (١) أن وصل ، حياه الطيار (كون) ، تحية عسكرية قائلا "سيادة الرئيس ، يسعدنى تشريفكم للطائرة".

وكانت هذه هى أول رحلة طيران لرئيس أمريكا ، لأن فرانكلين ديلانو روزلفت كان يحب السفر ، ولكن ليس الطيران ولطبيعة الشخصية الشعبية كان يحب الاختلاط بالجماهير والسفر بالقطار أو المركب ، أضف إلى ذلك أن عجزة الجسمانى كان يجعل من عملية صعوده وهبوطه من الطائرة أمرا شاقا فحتى الأربعينات لم يكن تصميم الطائرات يراعى الأشخاص الذين يستخدمون المقاعد المتحركة الطبية ، ثم أن سرعة الطيران لم تكن تعجب روزفلت " كلما وصلت إلى مقصدى بسرعة كلما وجدت أناسا لديهم طلبات كثيرة منى .

وبالتالى فإن الرئيس روز فلت الذى قضى بالبيت الأبيض سنوات أكثر من أى رئيس آخر ، لم يسافر بالطائرة إلا ثلاث مرات فقط .

ومع ذلك فقد كان إنجازه تاريخيا ، لأنه أقل الرؤساء استخداما لطائرة الرئاسة ومع ذلك فإن روز فلت هو أول رئيس

أمريكى يسافر خارج أمريكا ، وباستثناء ابراهام لنكولسن فهو أول رئيس أمريكى يسافر إلى مسرح العمليات الحربية ، وأخيرا فهو أول رئيس أمريكى يسافر إلى أفريقيا .

وقد أنجز هذا الإنجاز فى يناير سنة ١٩٤٣ عندما طار بواسطة أل Dixie Clipper من ميامى إلى الدار البيضاء فى شمال أفريقيا ليجتمع مع رئيس وزراء بريطانيا وقادة الحلفاء لكى يخططوا جميعا لغزو جنوب أوربا ، هذه الرحلة حققت شيئا آخر على قدر من الأهمية سواء بالنسبة لرئاسة أمريكا أو بالنسبة لمستقبل الطيران بشكل عام فمن هذه الرحلة ولدت فكرة أنه يجب أن تكون هناك دائما طائرة واحدة على الأقل ، لعبور المحيط ومخصصة لرئيس الجمهورية .

إذا عدنا إلى عام ١٩٤٢ وبداية ١٩٤٣ فإن مفهوم "البيت الأبيض الطائر" كان مفهوما معرضا للجدال والنقاش . لأنه فى الواقع كانت مسألة سفر رئيس أمريكا إلى الدار البيضاء تحوطها تحفظات كثيرة خاصة من وجهة نظر المستشارين. كانت هناك خطورة لإتمام هذه الرحلة فى وقت الحرب ، وخاصة وأن روزفلت اعتبر قائدا للعالم الحر كله ، فإلى جانب ما ستسببه الرحلة من معاناة نظرا لظروفه الصحية فإن احتمال مهاجمة الطائرة من قبل طائرات معادية احتمال قائم فطائرات هتلر السريعة كانت ستجد

متعة في إسقاط طائرة أقل سرعة تحمل رئيس أمريكا لكن مع ذلك كان من الضرورى القيام بهذه الرحلة بالذات ، رأى روزفلت كان يجب القيام بهذه المخاطرة ، أما المخابرات فكانت قد استبعدت السفر بحرا لأنه من رأيها أن الغواصات الألمانية كانت تشكل خطورة أكبر .

عندما تم إعلان بدء هذه الرحلة التاريخية انقسم الرأى العام الأمريكى إلى مؤيد ومعارض. البعض اعتقد أن السفر بالطيران فكرة حمقاء والبعض الآخر كان معجبا بجسارة روزفلت وفي كل الأحوال كانت هذه الرحلة بمثابة إزدهار لفكرة تعاون الحلفاء ، فقد أثبتت للعدو قبل الصديق أن قوة الدفع أثناء فترة الحرب تجمع قوات الحلفاء فى اتجاه واحد ، ضد قوات المحور فى أوربا وفى منطقة البحر الأبيض المتوسط .

إلا أنه لسوء الحظ. المبالغة فى الرقابة على وسائل الإعلام والصحافة أثناء الحرب ، قد أخفت كثير من التفاصيل والأعمال العظيمة التى صاحبت هذه الرحلة الأولى للرئيس الأمريكى عبر المحيط ومع ذلك فقد توفرت معلومات كافية عن أهمية السفر جوا لرئيس أمريكا منذ ٣٥ عاما (وقت صدور الكتاب ... المترجم).

نعود إلى الرحلة المقصودة ، فقد تحرك هيوارد كوكس بالطائرة Dixie Clipper فى القاعدة التى اكتنفها الظلام

الدامس عدا أنوار الممر وارتفع بعابرة المحيط الجوية إلى ارتفاع ٧٠٠٠ قدم وعندما وصل إلى نقطة باهاما الكبرى التفت إلى مساعدة فرانك كراوفورد " لنعتبر هذه الرحلة مجرد رحلة عادية وذلك حتى يطمئن نفسه ، أجاب مساعده "لك الحق أنها رحلة عادية " ومع ذلك "فإنها حدث سنحكيه مستقبلا لأحفادنا"

بعد ساعة طيران وقد بدأت الشمس تلمع داخل كابينة القيادة تولى المساعد مسئولية الطيران بينما اتجه كابتن كون للاطمئنان على راحة الراكب رقم (١) فوجد روز فلت مرتديا سويطر متسع وياقته مفكوكة يتأمل فى سعادة الخرائط الملاحية ونظر من نافذة الطائرة ليتتبع منطقة كان يصطاد السمك فيها على أعماق بعيدة بعد ذلك بفترة وعند الطيران فوق هايتى سأل الرئيس إذا كان مسار الرحلة سيمر فوق قطعة قديمة بناها هنرى كرستوف أحد زعماء طائفة الماسونين. أخذ كون يوضح لروز فلت الاتجاهات التى تتبعها الطائرة وروز فلت سعيد بالملامح الأرضية التى يراها تحته "بالضبط مثل الاتجاهات أن تطلب سائق التاكسى أن يسير فيها وتبعث طائرة الرئيس طائرة أخرى على مسافة قريبة Atlantic Clipper يقودها الطيار فينال على متنها قادة عسكريون وكبار مسئولى وزارة الخارجية ومساعدى روز فلت

وعملاء مخابرات سيحتاجهم الموقف عند عقد مؤتمر الدار البيضاء.

بعد طيران ١٠ ساعات وبعد مسافة ١٦٣٣ ميل هبطت الطائرتان في بورث أوف اسبين "ترينداد" وانصرف الجميع ليقضوا الليلة في أجنحة كانت القوات البحرية قد أعدتها بينما أنشغل كون وطاقم أل Clipper في إعداد مفاجأة سارة لروز فلت ، وفي صبيحة اليوم التالي كانت الطائرة مزدانة بأعلام صغيرة من الكابينة وحتى الذيل وقد كتب عليها فليحيا الزعيم، والرئيس بصفته رجل بحرية قديم سر كثيرا بهذه اللفتة وكانت نزلة برد قد أصابت أد ميرال ليهي في الليلة السابقة ونصحه طبيب الطائرة بالخلود إلى الراحة فم يتمكن من حضور هذا الحفل البسيط، من ترينداد انطلقت الطائرتان في اتجاه الجنوب الشرقي في رحلة أخرى ستستغرق ١٢٢٧ ميل مضى روزفلت الثمان ساعات طيران في القراءة والأكل وبعض الألعاب مثل السوليتير التي يجيدها الرئيس . النظام الحراري في الطائرة وفر طاقة لا عداد الطعام إلا أنه لم يكن يعمل خلال هذه الرحلة فتناول روز فلت طعاما باردا ، وقد تم إعادة تشغيل هذا النظام فيما بعد ، نزلت الطائرة النقطة التالية وهي مدينة بلم بالبرازيل ، حيث تم تزويد الطائرة بكمية كافية من الطعام

بواسطة تون مان الذى استعان بحرس الشواطئ الأمريكى الموجود بالمدينة واستطاع أن يعد وجبات تليق برئيس أمريكا .

بعد الإقلاع مرة أخرى ، اتجهت الطائرتان شرقا فى اتجاه غرب أفريقيا خاصة وأن ميناء يات هرتس البريطانى لم يكن بعيدا عن داكار فطوال هذا المساء والليل بطوله ثم جزء من اليوم التالى طارت الطائرتان بثبات فى آخر أجزاء الرحلة لمسافة ٢٥٠٠ ميل وهو أطول أجزاء الرحلة على الإطلاق وحتى يتخلص الطاقم من رتابة الرحلة اقترح هارى هويكنز والكابتن كون على روز فلت عمل ما يشبه النادى الصغير داخل الطائرة وبدأو بلعبة استبدال أوراق النقد الموقع عليها من الشخصيات الهامة وخاصة الرئيس ببونات تصلح لشراء أنواع فاخرة من الويسكى

وافق روز فلت على هذه اللعبة لتسجية الوقت وعرض ورقة دولار موقعه منه للحصول على ما يقابلها من الويسكى أما كون فقد حرص على أن يحصل من روز فلت على ورقة نقدية موقعة يحتفظ بها كتذكار من روزفلت وهو ٦ ورقات من فئة الدولار قام بتوزيعها على الموجودين فامتنع بالتالى على أن يطلب منها واحدة لنفسه. هبطت الطائرتان Clipper فى منتصف بعد ظهر اليوم ، فى مدينة باتهرست البريطانية حيث انتهت مهمة الطاقم فى هذه الرحلة الرئاسية التى ستمضى بعد ذلك إلى الدار

البيضاء . من هذه المدينة استقل روز فلت وصحبه من مخططــــى الحرب طائرتان برمائيتان تابعتان لشركة TWA مؤجرة للقــوات المسلحة الأمريكية خلال فترة الحرب .

وقد تم إعداد وسائل نقل الكرسى المتحرك للرئيس للدخــول داخل الطائرة . أصبح الآن الرئيس فوق أرض قارة أفريقيا متجــها إلى الدار البيضاء .

بينما انتظرت إلى Dixie Clipper باتهرست لحيــن عودته. طار روز فلت ومجموعة من قادة القوات المســلحة ، تــم توزيعهم على طائرات من ذوات الأربع محركات فى رحلـــة مــن باتهرست إلى الدار البيضاء في رحلة مسافتها ١٥٠٠ ميل، بالنسـبة للطيار براين الذى صاحب روز فلت كان هذا الجزء الأخير رحلـة لا يمكن نسيانها وظل يتذكر بساطة روز فلــت وروحـه المرحــة وطيبته برغم إجهاد سفر ٣ أيام منذ مغـــادرة الولايــات المتحــدة الأمريكية .

إنه راكب ممتاز ومثالى واهتم كثيرا بالأرض التى يطـــير فوقها ويطرح أسئلة كثيرة ومع ذلك لم يطلــب لنفســه أى معاملــة خاصة. فى الحقيقة لقد أزحنا عدة مقاعد لنفسح مكانا لســرير ينــام عليه فوجدناه يصر على البقاء على كرســيه وظــل مســتيقظا لأن الآخرين لم تتح لهم سبل النوم .

وعندما كان يشعر الرئيس بالتعب كان يحاول جاهدا إخفاء أى مظهر ينم عنه فبعد وصوله للدار البيضاء ١٤ يناير استمر هو وتشرشل وقادة الحلفاء الجلسات الأول للمؤتمر الذى استمر حتى الثالثة فجر اليوم التالى .

استمرت الاجتماعات لمدة ١٠ أيام ليطير روز فلت بعد ذلك بطائرة من طراز من س ٥٤ إلى ليبيريا أقدم دولة صديقة لأمريكا فى أفريقيا لجولة محادثات مع رئيسها أروان جيمس باركلى . اليوم التالى عاد مرة أخرى باتهرست لينتقل إلى Dixie Clipper متجه غربا إلى ناتال فى البرازيل حيث قابل صديقا قديما الرئيس فارجاس رئيس البرازيل واستعرض معه القوات الأمريكية فى القاعدة الجوية في ناتال ومن ناتال استقل روز فلت مرة أخرى طائرة من طراز س ٥٤ ليطير إلى يورث أوف أسبين فى ترينداد حيث استعرض القاعدة البحرية هنالك وقابل أومر ليهى الذى اعتبر بمثابة مساعده العسكرى وقد أحسن ليهى البقاء دون أن يواصل الرحلة معهم سابقا فقد عاودته نزلة البرد التى تطورت إلى انفلوانزا حادة .

ويمض الرئيس إلى آخر مراحل الرحلة فى العودة قاصدا ميامي وكان روز فلت قد بلغ عامة الواحد والستين حيث وجدها الكابتن كون وطاقمه فرصة للاحتفال بهذه المناسبة فأعد بالتالى

توين مان والوصيف جارسيا مأدبة كبيرة للاحتفال بعيد ميلاد الرئيس الذى بدء أنه مندهشا لهذه المأدبة أو على الأقل تظاهر بذلك.

اقترف كون خطأً لا يغتفر إذ أنه تأخر بعد موعد وصول الرئيس وحيث كانت الطائرة تعبر هاييتى وجمهورية الدومينكان مخترقة عاصفة رعدية وفى ظروف جوية مضطربة للغاية اعتذر كون قائلا "كنت منهمكا بالارتفاع إلى مستوى طيران لم أكن أرغب فى الطيران عليه " وبرغم الاستعداد بأجهزة الأوكسوجين للطوارئ حاول كون قدر استطاعته تفادى ضرورة استخدامها " أشعر أنه لم يكن من المستحسن ترك الكابينة بينما نحن نواجه مشكلة العواصف الرعدية والجبال المرتفعة والارتفاع الذى نطير عليه. أخير تخلصت الـ Dixie Clipper عن طيرانها فوق بورت أوبرانس من الجو السيئ وعاد كون بالتالى ليسلم القيادة لمساعدة كروفورد وانضم إلى مجموعة الحفل التى تحتفل بروز فلت فى جناحه الخاص " لم أود أن أخوص كثيرا فى سبب تأخيرى حتى لا أسبب أى مشاعر قلق للجميع " وبعد التهام الكافيار وشرائح الديك الرومى والبازلاء والبطاطس واختتام الوجبة بالقهوة تم تقديم تورتة عيد ميلاد كبيرة تم إعدادها عندما كانت الطائرة فى ترينداد ووسط أغان مرحة بعيد سعيد أيها الرئيس العزيز قام روز فلت بنفسه

بقطع التورتة وتوزيع أجزاء كبيرة منها على الحاضرين بما فيهم أعضاء الطاقم الطائر أرسلها إليهم وجاء دور احتساء الشامبانيا فى صحة رئيس الدولة ، شارك فيها الجميع عدا كابتن كون والطيارين للأسف إذ تمنع التعليمات على الكابتن احتساء الخمور وفاجأ الجميع روزفلت بهدايا غير متوقعة ، حقيبة من الجلد النادر عليها نقوش من ترينداد وصناديق زينة خشبية للسجائر ، سلم كون الرئيس خطابان واحد من كل طاقم قيادة مهداة للرئيس تحمل جمل تهنئة بعيد ميلاده أيضا إسهاما بسيطا لصندوق جمع التبرعات لمرض شلل الأطفال وهو ما كان يعانى منه الرئيس.

وقد عبر روزفلت على أن أسعد لحظات حياته هى هذه ، ووعد بذكر ما لاقاه من خدمات وتبرعات في المؤتمر الصحفي القادم فى ميامى ، اليوم التالى.

وكانت هناك تساؤلات كثيرة عن اجتماع الدار البيضاء مع تشيرشل والمرحلة التالية فى الحرب من ناحية أخرى ، بعد أسابيع قليلة ، تلقى طاقم الطائرة خطاب شكر لمساهمتهم بالتبرعات لمؤسسة شلل الأطفال.

لا يمكن إغفال أهمية الرحلة التاريخية للدار البيضاء، والتى غطت أهميتها بالطبع وشهرتها على رحل طويلة سابقة من مدينة ألبانى إلى مدينة شيكاغو ١٩٣٢م لحضور مؤتمر الحزب الذى

رشح روزفلت لفترة رئاسة جديدة، وكانت هذه الرحلة التي استقل فيها إحدى طائرات الـ TWA هي رحلة بصفته مرشح للرئاسة أما رحلة الدار البيضاء فقد تمت وهو رئيس بالفعل والرحلة الأولى له بهذه الصفحة في فترة الحرب فوق أجواء تعج بطائرات معادية تابعة للمحور وفوق مياه مزدحمة بغواصات ألمانية، وبالتالي فقد اتسمت رحلة الدار البيضاء بطبيعة سرية للغاية.

ولم يقدر لمراسلي الصحف ورجال الإعلام أن يطلعوا على تفاصيل هذا المؤتمر إلا بعد نهايته، وقد استمر لمدة ١٠ أيام شمل روزفلت ونستون تشرشيل وكبار قادة الجيش في كلا البلدين...

أن الاختلاف بين السفر الجو من ٣٥ سنة مضت والآن حتى بالنسبة لطائرة الرئيس اختلاف كبير.

إن مساحة الخط المستقيم من واشنطن إلى كازا بلانكا يبلغ مساحته ٣٨٧٥ميل ، ويمكن لطائرة نقل نفاثة حديثة أن تقطع المسافة بصورة مريحة وبدون توقف في ٧ ساعات ولكن في سنة ١٩٤٣ فإن المدى المحدود ، والسرعات البطيئة ، والنقص في المساعدات الملاحية المعقدة في البوينج ٣١٤ ودوجلاس C-54 كان يتطلب اتخاذ مسار من أربعة أضلاع للطيران ، ثلاث توقف وتغيير للطائرات وأكثر من ثلاثة أيام سفر للرئيس – في كل اتجاه.

كان الطريق الغير مباشر يتطلب من الرئيس أن يتوقف فـى ثلاث قارات ، يعبر خط الاستواء أربعة مرات ويقض على وجـه التقريب تسعون ساعة فى الجو.

وعندما يشتمل السفر بالقطار بين واشنطن وميامى يكـون روز فلت قد قطع أكثر من ١٧٠٠٠ ميل قبل رجوعه مرة أخـرى إلى وطنه فى البيت الأبيض. إن نجاح رحلة طيران الرئيـس روز فلت إلى كازا بلانكا لها تأثير فعال على إدارة الدبلوماسية الأمريكية على السياسة الرئاسية وعلى الطيران عامة.

ولم يعد ضروريا أن يسافر الرئيس عـن طريـق السـكة الحديد أو السفن حتى يصل إلى مسافة بعيدة أو عاصمة أجنبية.

إن الذى تحقق حدث بهيج لهيئات القوات الجوية كما يطلـق عليها أسرع الفروع نموا من كل الخدمات المسلحة.

إن القيادة العليا تقوم بالإعداد لهذا اليوم عندما تسـتطيع أن تقنع الرئيس والكونجرس ..... وتسمح للخدمة الطائرة أن تكـون مستقلة " شعبة القوات الجوية " مساوية فى الحالة والمكانة للقـوات المسلحة والبحرية.

والآن أصبح لدى الشعبة الجوية الفرصة لتبرهن انه لاغنـى عنها للرئيس والأمة فاقتنصتها على الفور فبعد أسـابيع قليلـة مـن رحلة روز فلت توصلت الشعبة الجوية إلى قرار يجعل مـن غـير

الضرورى على الرئيس إذا أراد أن يطير .... فـإن الشـعبة الجوية سوف توفر الطائرة وفقا للمواصفات والاحتياجات بمجموعـة خاصة لنقل رئيس الولايات المتحدة .

What the brass could not foresee.

على أية حال هكذا كانت الطائرة التى تم تخصيصها بصفـة خاصة لتكون "طائرة الرئيس والتى لم يستخدمها إطلاقا" تم تصميـم أول نوع للطائرة قوات جوية (١) Air force one ومبدئيـا سميت Guess where تطوير من القاذفـة المعروفـة B24 Liberal Bomber

ولقد برهنت على كونها طائرة رائعة ، كـانت تسـتخدمها مسز إلينور روز فلت وكوادر الحكومة العليا فى رحلات فى كـل أنحاء العالم وسجلت العديد من السرعات والأرقـام القياسـية دون توقف عام ١٩٤٣،١٩٤٤ من خلال خدمتها مـع البيـت الأبيـض والجميع دائما على انتظار لهذا اليوم عندما يبـدأ الرئيـس بنفسـه الركوب على متن طائرته الخاصة الشئ الذى أفسـد مكانـة هـذه الطائرة فى التاريخ الرئاسى حدث عندما حان الوقت لـروز فلـت للطيران فيها ثم جاءته الموافقة بالرفض للشك فى عيب فنى.

كانت تطير إلى أى مكان يذهب إليـه ، ومخصـص لـها طياره خاص إلى أن يتم التأكد من سلامتها الفنية لـهذه الأسـباب

تستحق Guess Where صفه الرمز العاطفى فى جدول خدمة "الطائرة الرئاسى" Guess Where طائرة عملية من أربعة محركات طراز C-87A صنعت من هيئة الطيران المدمجة ، وبينما هى نسخة من القاذفة B-24 تستخدم نفس الهيكل الجوى إلا أن لها ميزات تتواءم مع الميول الخاصة لطاقم روز فلت ، فأرضية الكابينة منخفضة تسمح بدخول سهل للكرسي المتحرك ومقدرة مداها الطويل كانت تعنى أن انتهاء حد الوقود فيها يمكن أن يصل إلى الحد الأدنى ، الذى يكفى الطيران مسافة طويلة وهى ميزة هامة بصفة خاصة للطيران الطويل عبر المحيط.

إن باكورة الطائرة C-87مع النقل الجوى قد وفرت من قبل السمعة الطيبة للصيانة السهلة والأداء المحترم والسرعة.

فى ٤مايو سنة ١٩٤٣ ومن طلبية كبيرة لطائرات الشحن C-87 فى المصنع فى فورت نورث ، تكساس ، تم اختيار ثلاث هياكل جوية ونقلت إلى ركن نائي من المصنع ووضعت تحت حراسة أمينة كثيفة ، حتى تم تحويل كل الثلاث طائرات إلى طائرات ركاب طراز C-87A وتم تخصيص مطار واشنطن القومى لبقاء هذه الطرانات Brass Hat Squadron والإنعام عليها كوحدة طيران لشخصية هامة جدا.

وبالرغم من أنه كان واضحا لمهندس وعمال الطـــائرة أن هناك شئ غير عادى جاريا مجراه ، فيم يدرك أحد أن الطائرة رقم ١٥٩ كان مقررا لها أن تصبح "طائرة الرئيس" وعندما وصلت إلـى واشنطن فى ٦يونية بدأت الطائرة المأمولة (Air force one القوات الجوية واحد) تماما مثل أى من إخواتها ذات اللون العاجى الذى يميل إلى السمرة برقم مسلسل ١٢٤١٥٩/124159مطبوع بشكل معيارى كرقم عددى أصغر على ذيلها المزدوج وهو فقط يميزها ويميز هويتها عن عدد قليل من سرب الطائرات. وبعض المساعدين كانوا يعلمون أن هذه المهمة الأولية الأولى كانت لطيران الرئيس.

على أية حال صممت الطائرة بصفة خاصة من داخلها لتوفر أحدث ما تم تصنيعه لراحة الراكب.

وعلى طول الجانب الأيمن لجسم الطائرة كان يوجد عدد أربع مقصورات كبيرة "بولمان" كل منها بمقاعد مواجهة مزدوجة ومنضدة يمكن تحريكها ويمكن تحويلها إلى مضجع علوى وسفلى.

كما يوجد عبر الطرقة وفى مواجهة مركز المقصورة كنبة طويلة تتسع لثلاث أشخاص ويحتوى قسم الذيل الواسع مطبخ طائر بموقد وفرن كهربى ، بالإضافة إلى خزانة حائط Toppan

كبيرة ومساحة لمخزن بياضات ، وتهيئ الطائرة لجلوس عشرون راكب أو نوم تسعة ركاب.

وبينما هم يجهزون بصفة خاصة طائرة للرئيس كان الجنرالات مشغولين بعمل تاريخى (اختيار طيار ممتاز طيار رئاسى) وهو ما قام به لفتنانت جنرال هار ولد جورج من قيادة القوات الجوية ، والاختيار من قبل هذا الجنرال يتم وفق شروط قاسية. أخيرا عين الطيار الخاص به للرئيس "ماج هنرى تفت ميرز" فى المنصب الجديد.

"وميرز" مواطن من تيفتون – جورجيا وهى مدينة أسسها جده ، عيونه سوداء ولها وميض ، يطير مثل الشياطين محطما قلوب النسوة عبر الكرة الأرضية.

حاز على تقدير شعبة سلاح القوات الجوية سنة ١٩٣١ فى "كيلى فيلد " فى تكساس ، ومكث فى الخدمة لسنوات قليلة وبعدها اتجه للعمل فى الخطوط الجوية الأمريكية ، وسجل أكثر من ١٠٠٠٠٠ مائة آلاف ساعة طيران ، وتم استدعائه فى شعبة القوات الجوية فى مايو سنة ١٩٤٢ ليصبح ضابط معاون طيار شخصى لجنرال "جورج" وكان من ضمنه خبرته فى الطيران على طراز Dc3 داكوتا ، ثم أرسل إلى فورت وورث القاعدة الجوية

المعروفة للتدريب على طراز الـ B-24وهى قاذفة تمهيدا لنقلـــه إلى القسم الخاص بقيادة طرزة رئيس الجمهورية.

طائرة الرئيس بعد تجهيزها تم نقلها إلى مطار

National Air force المطار القومي بواشنطون ، لكـن دون احتفال لم يزد لأمر عن تكليف حراسة مســتديمة عليــها بالمطــار ودون ضجة إعلامية. لم يكن حتى تعبير "طائرة الرئيس" قـــد تــم تداوله بعد ، وبالتالى لم يكن الطيار المختار يشعر بمـــدى الفخــر الذى سيشعر به عند وجوده وقيادته لطائرة القائدة الأعلى للقـــوات المسلحة الأمريكية. بعد اختيار ميبارز كقائد لطائرة الرئيس ، وجــد نفسه يقع فى غرام هذه الطائرة الممتازة من طـــراز C-87A ودام إعجابه وتعلقه بهذه الطائرة حتى بعد إحالتها إلى المعاش بعــد سنوات خدمة طويلة.

وفى خلال ستة أسابيع ، قامت هذه الطائرة برحلـــة تقــص حقائق حول العالم تقريبا ، وعلى متنها خمسة من رجـــال مجلــس الشيوخ (Senators) وقائدة أفرع القــوات المســلحة الأميركيــة جميعا. واحد منهم سيناتور البيرت شاندلر ممثل ولاية كينتاكى لديــه حساسية شديدة عندما تقابل الطـــائرة ظـــروف جويـــة مضطربـــة كالعواصف الرعدية وما شابهها ، وليتفادى ما يشعر به من خوف ، كان صوته المرتفع ينطلق بأناشيد وآيات من الإنجيل.

في هذه الرحلة سجلت الطائرة رقمـــا قياســيا إذ طـــارت مباشرة دون توقف من جزيرة سيلان إلى قـــارة أســتراليا مســافة ٣٢٠٠ ميل وفق مناطق تسيطر عليها البحرية اليابانية بأســـاطيلها المعادية. طارت بأقصى حمولة ممكنة ودون تسليح للدفـــاع عــن نفسها ودون مقاتلات مرافقة لحمايتها.

أطلق على الطائرة كاسم رمزى أو التدليل

Guess Where

ومعناها : خمن إلى أين أنا متجه. وأخيرا استغلها رئيس الولايــات المتحدة بعدما أجرى عليها من تجارب . ففى نوفمبر ســنة ١٩٤٣ قرر روز فلت أن يستغل الطائرة لحضـــور مؤتمــر ســرى مــع جوزيف ستالين زعيم روسيا وونســتون تشيرشــل رئيــس وزراء بريطانيا فى مديذتى طهران ثم القاهرة.

وبرغم تفضيل روز فلت للســفر بحــرا ، إلا أن الجــزء الأخير من الرحلة إلى مقصده فى طهران كانت تستلزم السفر جــوا فى منطقة البحر الأبيض المتوسط.

فى بداية الأمر ترددت أخبار كما ســمعها مبيــا بــرز أن روزفلت سيطير بإحدى طائرات شركة TWA من طراز C-54 كما فعل من قبل فى يناير من نفــس العــام. إلا أن قــادة القــوات المسلحة رأوه أن سفر الرئيس الأعلى لــهذه القــوات ، أى رئيــس

الجمهورية ، وفي وقت الحرب بالذات هي مسئولتهم هم ، واعتقدوا أن شركة TWA ربما تحاول الحصول على كسب أدبي بوسائل ملتوية باتصالات رؤسائها برجال البيت الأبيض.

إلا أن عاملا جديدا وغير متوقع دخل إلى الموضوع وكان له تأثير في تقدير الموقف فقد أفاد تقرير للعملاء السرين بوكالة المخابرات أن طائرة من نفس طراز طائرة الرئيس التابعة للقوات الجوية قد صادفت صعوبة أثناء طيرانها من فلوريدا مما دفع بطياريها إلى استخدام الباراشوت والقفز من الطائرة التى تحطمت بعد ذلك في المكسيك.

وتم على الفور إجراء تحقيق فني موسع لان هذه الأنباء المزعجة كان لها أبلغ الأثر بالطبع على الشركة المصنعة للطراز وهى "مؤسسة الطيران المتحدة" وعلى قيادة القوات الجوية وعلى مسئولي الأمن القومي.

اتضح من التحقيق إلى وجود عيب في الموصلات الكهربائية المعقدة والمؤدية إلى أجهزة كابينة الطائرة نفسها وهو ما انعكس على أجهزة الدفع العكس والجنيحات وبالطبع على المحركات نفسها في النهاية ومدى قدرة الطائرة على فقد السرعة ثم التوقف. كانت مفاتيح هذه التوصيلات الكهربائية متقاربة وتكاد تلاصق بعضها البعض. وكانت من حيث الشكل متشابهة. وبالتالى

أى خطأ فى تشغيل أى من هذه المفاتيح من قبل الطيار سيؤدى إلـى مصاعب خطيرة أثناء الطيران وهو ما حدث.

نجم عن ذلك وبعد إصلاح هذا العيوب أن تكـون طـائرة الرئيس ليست هى الأساسي فى الرحلة ، ولكن طائرة احتيـاطى ، ولما كان الرئيس روز فلت ملتزما بجدول أعماله ومواعيده المسبقة مـع سـتالين وتشرشـيل فـى طـهران ثـم القـاهرة أصبحـت Guess Where من حيث كونها طائرة الرئيس مجرد احتمـال بعيد ، وتم الاعتماد أساسا على شركة TWA بطائرتها C-54.

ومن ثم انتقلت الأضواء إلى قائد هذا الطراز فـى شـركة TWA وهو الطيار برايان الذى يحكى عن تجربة مريرة صادفها أثناء توجهه إلى تركيا ، خلال الرحلة الرئاسية ، لكن ينقل رئيـس تركيا من أنقره إلى القاهرة لمقابلة روزفلت كان من الطبيعى تواجـد مقاتلات معادية فى المنطقة فترائى لبرايان أن يقوم برحلته السـرية للرئيس التركى حتى تبدو طائرته كما لو كانت فى رحلة روتينيـة لخطوط الـ TWA وتعمد الطيران دون حراسـة جويـة مـن مقاتلات الحلفاء حتى لا يلفت الانتباه. لكـن المخـابرات الألمانيـة اليقظة فطنت إلى هذه اللعبة. فما أن حطت طـائرة برايـان علـى أرض مطار أنقره ، إلا وكانت إذاعة برلين الموجهة إلـى الشـرق الأوسط تذيع نبأ وصوله إلى العاصمة التركية.

ومن ذكريات برايان التى لا ينساها منظر ونستون تشيرشل الزعيم البريطانى وهو يندفع بمعطفه الذى تتلاعب به الرياح لكى يرحب بوصول روز فلت إذ أن الوقت كان فى الصباح الباكر ، ولم يعنى تشيرشل بأن يرتدى ملابسه كاملة فاكتفى بالبيجاما وفوقها معطف. وقد سر كثيرا روز فلت بمنظره لدرجة أن طلب من أحد المصورين التقاط صورة لهما لكن تشيرشل لم يسر لمسألة التصوير هذه.

وفى هذه الأثناء ، إذا عدنا لطيار الرئيس هانك ما يررز وطائرته Guess Where سنجد أنه قد شارك أيضا فى أحداث مؤتمر القاهرة لزعماء العالم. فيما يشبه الخيانة أذاع الروس أخبار عن المؤتمر أثناء انعقاده ، وهو ما أغضب الأمريكان جدا لحد الثورة على انتشار أخبار مؤتمر من المفترض أن يكون سريا وكان من رأى المخابرات ورجال الأمن أن هذا المصعد الخاص بالمقعد المتحرك لروزفلت مطلوب أيضا لأغراض أمنية. ففى خلال رحلتيه التاريخية لدار البيضاء عام ١٩٤٣ والثانية إلى طهران لمقابلة جوزيفى ستالين ، كان من المفضل وجود هذا المصعد الخفى ليسهل عملية صعود وهبوط الرئيس إلى طائرته. لأن استخدام آية آلات رافعة أخرى ستكون ضخمة وواضحة على الترماك ولا يمكن إخفائها ، وهى إعلان بالتالى أن الرئيس قادم

ومؤشر لأى شخص لديه نوايا عدوانية. وبالتالى كان وجـود هـذا المصعد أساسيا للاستغناء عن أية آلات رفع واضحة.

وكان من طلبات رجال روز فلت من مصممـى الطـائرة الجديدة أن الرئيس لا يطيق أن يبقى مقيدا وغير طليق الحركة فـى مكان معلق لمدة طويلة ، سواء كان داخل طـائرة أو فـوق ظـهر سفينة ، فخلال رحلتيه لأولتان حاول بصعوبـة أن يتجـول داخـل الطائرة ليلقى نظره على عمل الطيارين ومساعديهم وكـان يلقـى بأسئلة تنم على حب استطلاع طفولى عن طبيعة عمل كـل جـهاز وكيفية إدارة أجهزة الطائرة.

وبالتالى فقد كان الطلب من مهندس الطـائرة الجديـدة أن يسمح بنوع من البراح أو المساحة الخالية ما أمكن حتـى يسـتطيع الرئيس أن يتحرك فيها.

ماسون المهندس المختص استطاع أن يفعل ذلك فعلا فقـد صمم المصعد الداخلى الذى يحمل الكرسى المتحرك الذى يسـتخدمه الرئيس بحيث يمكن إنزاله بسهولة إلى الممر الرئيسى فى الطـائرة من الداخل ، حيث يمكن لصاحبه التوجه إلى أى جزء من الطـائرة بسهولة ويسر. ومن ثم صمم ماسون أنواع من القضبـان الصلـب التى يمكن تحريكها لكى ينتقل روز فلت بكرسيه داخل الطائرة دون صعوبة أو معونة من أحد ، بل فى إمكانه أن يتخذ له مكانا داخـل

كابينة القيادة نفسها ، إذ راعى التصميم أحكام حركة الكرسى المتنقل داخل هذه الجزء الهام من الطائرة وبحيث لا يشكل خطورة على عمل قائد الطائرة ومساعدة وقد سر روز فلت كثيرا بهذا التصميم الفريد والذكى.

وقد زودت الطائرة أيضا ، إرضاء لرغبة روزفلت فى حب الاستطلاع ومعرفة ما يدور داخل هذا العالم الغريب عليه – الطيران – زودت الطائرة بأربعة خرائط كبيره يمكن فردها وطيها لكى يعرف أين هو ، وأيضا جهاز ضغط جوى ، وبوصلة ، وساعة ، داخل جناح الرئيس الذى زود بمروحة كهربائية لضمان الهواء المجدد للجالس داخله ، الذى ضم أيضا أربكه يمكن تحويلها إلى سرير ، وأربعة مقاعد يمكن طيها عند عدم الحاجة لاستخدامها.

وللجناح نافذة زودت بزجاج سميك مضاد للرصاص ، يمكن من خلالها أن يشاهد الرئيس المواقع التى يمر عليها ، والواضحة أمامه على الخرائط ، وبصفة عامة للناظر إلى الطائرة من الخارج لن يختلف مظهر الطائرة عن أية طائره مدنية أخرى من طراز DC3 .

لكنها كانت تختلف فى الإمكانيات جنيحات صنعت خصيصا تفوق أية جنيحات أخرى مثيلة ، عجلات خاصة تساعد

الطيار على الهبوط الأمن ، أبواب محكمة الإغلاق لنفس الغـــرض مع تشكيله حديثه للغاية من المساعدات الملاحية وأجهزة الاتصـــال اللاسلكية ، وهو بند رئيس فى أية طائرة نقل القائد الأعلى للقـــوات المسلحة.

تم صنع هذه الطائرة فى مصانع دوجـــلاس يونيـــو ســـنة ١٩٤٤ وسلمت إلى كبير الطيارين ميجور مايرز يـــوم ١٢ نفـــس الشهر. وأول رحلة كانت من ســـانتا مونيكـــا (كاليفورنيـــا) إلـــى واشنطون.

وكان أول من أستغلها من كبار رجال الدولـــة ســـتة مـــن وزارة الخارجية برئاسة الوزير هنرى سيتمون فـــى رحلـــة مـــن نيويورك إلى نابلى (إيطاليا) عبر الـــدار البيضـــاء ،لإدارة حملـــة الحلفاء ضد قواف هتلر العسكرية جنوب أوروبا وفى رحلة العـــودة سجلت الطائرة التى أصبحت تسمى Sacred Cow البقـــرة المقدسة ، سجلت رقما قياسيا فى أحد مراحل الرحلـــة ، إذ قطعـــت مسافة ٣٨٠٠ ميل من لندن إلى واشنطون دون توقف ، ولمـــدة ١٧ ساعة طيران.

تغاضت التقارير الرسمية عن حادثه تعرضت لـــها طـــائرة الرئيس فى توجهها من مالطة إلى قاعدة ساكى الجوية فى روسيا إذ فجأة ظهرت طائرة روسية لتعترض مسار "البقرة المقدسة" وبـــدت

فى طريقها للاصطدام بها. وعلى الفور استعدت إحـــدى مقــاتلات الحراسة المجاورة لطائرة الرئيس للانقضاض على الهدف المعادى وفى نفس الوقت أدرك ما يزر بخبرته أن هناك خطا مــــا ، فـــهبط بسرعة إلى ارتفاع أقل بـــ ١٠٠٠ قدم بينما واصل الطيار الروســى "الغشيم" نفس مساره دون أن يدرك أنه كان سيغير مسار التاريخ.

وكان من طرائف هذه الرحلة أن الطيارين قد تم إعداد مقر إقامـــة لهم بالقرب من قاعدة SAKI في روسيا والتى أعـــدت لخدمـــة مؤتمر يالتا، وكان هذا المقر منتجعا للعمـــال الروســى المميزين لقضاء أجازاتهم كمكافأة. اكتشف ما يزر ورفاقه من الطيـــارين أن هناك ميكروفونات مخبأه بعناية داخل مقـــر إقامتـــهم ، فوجدوهـــا فرصة لمداعبة رجال البوليس السياسى الروسى الـــذى زرع هـــذه الميكروفونات بان قضوا الليل بطوله فى "التريقة " على الزعمـــاء الروسي ، وعلى روسيا وعلى البوليس السرى الروسى أيضا.

الفصل الخامس

إن روزفلت فى الواقع بسفرياته بالطائرة قد خدم بصــــورة غير مباشرة ، صناعة الطيران المدنى لكافـــة شــركات الطــيران الكبرى ، فحتى عام ١٩٤٥ كان الكثيرون يعتقدون أن السفر جــواً نوع من المخاطرة ، لكن ها هم أولاده يشاهدون الرئيـــس بنفســه يسافر جوا ومراراً ولمسافات طويلة ، وعـــبر المحيــط ، ويعــود سالماً.

شجع هذا على ازدياد عـــدد مســافرى الطــيران بشــكل ملحوظ.وخلف روزفلت الرئيس ترومان الذى قام بأول رحلة جويــة فى ٥ مايو سنة ١٩٤٥ بعد ثلاثة أسابيع فقط من توليه الرئاســـة ، بعد وفاه فرانكلين روزفلت. وكانت أول رحلة رئاسية داخلية إذ لــم يخرج مسار الرحلة عن واشنطون – كانساس ولاية ميســـورى – والعودة.

لكن ترومان أدمن السفر جواً بعد ذلك ، ففى ٢٦ مايو أقلــع إلى سان فرانسيسكو ليجتمع مع زعماء معسكر الحلفاء المنتصـــر فى الحرب ليضعوا جميعاً أسس إقرار ميثاق الأمم المتحدة. ثم ليقلع فى الشهر التالى إلى بوتسدام ليحضر المؤتمر المعروف فـــى هــذه

المدينة الألمانية مع ونستون تشيرشل وجوزيف ستالين حيث تم تقسم ألمانيا ورسم حدود الدول الأوروبية بعد نهاية الحرب.

إلا أن مؤتمر بوتسدام كان البداية الأولى للانشقاق بين المغرب وزعيم روسيا جوزيف ستالين ، الذى شعر ترومان أنه يخطط للسيطرة على العالم أجمع وأدرك ترومان بما لا يحمل مجالا للشك أن "القوة" هى اللغة الوحيدة التى يفهما الروسى.

فى هذا الجو الغير مريح ، فكر مستشارى ترومان أن من الأفضل العودة إلى الولايات المتحدة بحراً ، بينما اقترح ما يرز قائد طائرته أنه بالإمكان الإقلاع من برلين فى الخامسة بعد الظهر والوصول إلى واشنطون فى التاسعة صباح اليوم التالى. ترومان كان يفضل السفر جواً ، إلا أن كبار رجال البيت الأبيض كان مازال رأيهم أن السفر بحراً ، أكثر أماناً ، ثم أن سيتيح للرئيس فرصة الراحة والاسترخاء بعد مفاوضات مرهقة مع زعيم مرهق. إلا أن مكالمة من زوجته بيس ترومان Bass Truman حسمت الوقف لصالح العودة بحراً.

وربما كانت أكثر رحلات ترومان إثارة للمعارضة والمناقشات رحلة من واشنطون إلى مدينة إنديندانس بولاته مسورى فى عطلة عيد الميلاد كانت الصحافة قد بدأت تلوك أخبار سفرياته جواً ، وأنه يعرض حياته للخطر ، دون تقدير للمسئولية.

ومن المثير للاهتمام أن الرئيس وطاقم طائرته لم يشـــعروا بالفعل باى إحساس بالخطر بالسفر جواً ، حتى توالـــت بعـــد ذلـــك تقارير رسمية ، لم تذع إلا بعد سنين عديدة إحداها يوضـــح أهميـــة تزويد أى طائرة لرحلة طويلة بـــرادار لاكتشـــاف الاضطرابـــات الجوية الخطرة ، كالعواصف الرعدية والثلجية.

مثلا فى الخامسة صباح يوم عيد الميلاد ، اتجه مايرز كبير طيارى الرئاسة لاستطلاع حالة الجو فى طريق السفر ترك الطـائرة فى خطيرتها الدافئة. كانت تقارير الجو ترد للأرصاد من بالونـــات تسمى ROAB مزوده بأجهزة رصد وإرســـال لا ســلكى تعمـــل أوتوماتيكيا. تقارير الأرصاد وفق أجهزته تلك أظهرت مساراً عـــبر طريقين : سانت لويس أو ناشفيل ، وبالتالى أقلع مايرز بطائرته فـــى رحلة بذت روتينية ، لكن الطائرة المقلة للصحفيين والتى كان مـــن المفترض أن تقلع بعده بدقائق من نفس الممر لم تســـتطع لتكـــاثف الثلج والبرد على أجنحتها مما أجبر قائدها على العودة إلى الخطيرة حتى ذوبان هذا الثلج. وبعد إقلاع طائره الصحفيين صادفت مســـارا مرهقا وخطراً للغاية لوجود حبيبات ثلج فوق جناحيها ممـــــا أثـــار شكوكا عن طبيعة رحلة طـــائرة الرئيـــس ، خاصـــة وأن طـــائرة الصحفيين استطاعت الهبوط بصعوبة فى مطار كانساس بعد ثـــلاث محاولات للهبوط.

إلا أن مايزر طيار الرئيس يقول "كانت أول مكالمة للاستفسار عن رحلته بعد هبوط طائرة الرئيس فى كانساس من جنرال هاب أرفولد من البيت الأبيض يسأل عن "ماذا بحق الحميم يحدث عندكم ، ما هى حالة الجو بالضبط".

أجابه مايرز بعدم اهتمام أن "كله تمام" مما أثار غضب أرفولد لأقص حد ، لأن التقارير الصحفية كانت تشير إلى أن الرئيس قد غامر بالسفر في رحلة اعترضت طائرته فيها رياح ثلجية ومضادة لاتجاه الطائرة إلى كانساس ، وأن الغباب والثلج المتساقط قد منع بالفعل أية رحلة للطيران التجارى لآى شركة بان تفكر بالذهاب إلى كانساس.

ويضيف مايرز ، بعدما قرأ كل هذه الصحف لدى وصوله إلى كانساس أن شعوره كان مشابها لشعور جنرال إيزنهاور بعد نهاية يوم D – Day يوم غزو الحلفاء لأوروبا وقهرهم للقوات الألمانية "هل شعرت بالخوف يومها " أجاب إيزنهاور " أثناء معارك الإنزال والإبرار والغزو ... لم أشعر بآى خوف "لكن" ارتعبت بعد ذلك بعدة أسابيع ويوم قرأت تفاصيل ما حدث في الصحف ويقول مايرز أنه أثناء الرحلة "لم يشعر بالخطر شعر به بعد قراءة الجرائد.

وبدأت موجات النقد تتوالى ضد سلوك ترومان وعدم حرصه على حياته ، واستهتاره فجريده التايم عنوانها "خد بالك" والنيويورك تايمز تشير إلى رحلة عيد الميلاد إلى كانساس "كأكثر الرحلات إثارة للعواطف والمخاوف "وأضاف الهيرالد تريبيون " بينما نشعر بالإعجاب لشجاعة الرؤساء الذين يشعرون أن حياتهم ليست لها كل هذه الأهمية نشعر في الوقت نفسه أن وجودهم كزعماء شئ نادر ولا يتكرر كثيرا ، مما يوجب الحفاظ عليه" ويعلن ترومان "ما كل هذا النقد .... أنا أشعر وأنا في الجو أنني أكثر أمانا من السير فى تلك الشوارع الخطرة فى كانساس".

وكان محقا ، ففى توجهه بالسيارة إلى مطار كانساس انزلقت عجلات سيارته فوق الثلج وكادت تصطدم بلورى ضخم فى المطار.

إلا أن ترومان لم يكن محقا على طول الخط ، ففى إحدى زياراته لمدينة بادوكاه بولاية كينتوكى مقر السيناتور ألبين باركلى الذى أصبح فيما بعد نائبه شعر سكان المدينة أن إقلاع طائرة الرئيس من مدينتهم حدث يستحق المشاهدة ، فتجمهروا فى أعداد غفيرة على جانب الممر أثناء الإقلاع. فوجئ مايرز والطائرة تكتسب سرعتها أثناء جريانها على الممر بامرأة وخمسة أطفال يعبرون الممر. ذهلت المرأة لرؤية الطائرة التى كانت تقترب منها

كالوحش الهادر. فتجمدت وصرخ الصغار. استطاع مايرز بجهد جهيد ، وبكثير من التوفيق أن ينحرف وبصعوبة بالغة إلى ممر فرعي لتفادى الاصطدام بالمرأة. كما علق فيما بعد "كان الأمر مثل الانحراف بسيارة سرعتها ١٨٠ كيلو إلى شارع جانبي ضيق مع تخفيض السرعة إلى ٤٠ كيلو فقط ... بعد أن استخدم فرامل الطائرة التى لم تتقلب لحسن حظه.

فيما بعد عندما ذكر الحادث للسيناتور باركلى عن "سذاجة تصرفات سكان مدينته" علق غاضباً "أبداً .... كل ما هناك أنهم لا يهابون الموت !!"

وفى الواقع كان الرئيس ترومان ،ممن يحبون السلوك الغير متوقع. أحياناً كان يدعو للسفر معه أعدادا لا تحتملها الطائرة ويجد لذة فى مشاهدة الإعداد الزائرة تقفل راجعة من المطار. أحيانا كان لا يدعو إلا عدد محدود للغاية ليستمتع بالهدوء أثناء الرحلة. وأحيانا أخرى كان يجد لذة فى الدخول إلى كابينة القيادة ليدردش مع طاقم الطائرة طوال فترة السفر. وطبعا لم يكن أحد من أفراد الطاقم الطائر قادراً أن يمنعه!

إلا أن الأمر أحيانا زاد عن حده. فى إحدى سفرياته نظر ترومان من كابينة القيادة والطائرة تقترب من واشنطون ، وقال بإعجاب لمايرز كبير الطيارين هل ترى كل هذه الطائرات الحزبية

التى تحيط بنا أجاب مايرز بالإيجاب. وفوجئ بترومان يطلب منه بلهجة طفولية ، كما كان يريد أن يلعب ... وكانت الطائرة تقترب من دائرة طيران البيت الأبيض فى طريقها إلى قاعدة أندروز : لماذا لا تهاجم هذه الطائرات : نفقد ارتفاع فجأة ونتجه إليهم كهدف نريد ملاحقته ... لطالما رغبت فى ذلك!

أومأ مايرز بالإيجاب لكنه قال "سيادة الرئيس أن هذا خطر والطيران فوق البيت الأبيض محظور تماماً والاندفاع فى مسار طائرات حربية مهلك" طلب من ترومان وقد أعجبته اللعبة أن يحاول وأنه كرئيس متحمل لكل المسئولية.

اضطر مايزران يهبط فجأة إلى ارتفاع ٣ آلاف قدم ويتجه إلى مبنى البيت الأبيض .... ثم إلى ارتفاع ٢٠٠٠ ، والمحركات الأربعة تئن وبصوت بشبه الزمجرة لهذا الهبوط المفاجئ ، وشاهد مايرز أعداد من الناس فوق سطح مبنى البيت الأبيض ينظرون تجاه الطائرة بمسارها الغير متوقع وقد جمدوا فى أماكنهم. ثم واصل الهبوط إلى ١٥٠٠ قدم وارتفع صوت المحركات إلى الحد الغير محتمل فى قوته. وواصل الهبوط ، والرئيس يشعر بسعادة بالغة إلى ٥٠٠قدم ثم عدل من وضع مقدمته طائرة للطيران المستقيم فوق البيت الأبيض وكما توقع وجد رجال الأمن فى البيت الأبيض وقد تجمدت أجسادهم من الدهشة والخوف. إذ كان من

المعروف كمعلومات بدائية وأولية أن الطيران فوق البيت الأبيض ممنوع تماماً ، لكن مثار الدهشة أنه من الواضح أن الطائرة أمريكية وحروف النداء على ذيلها توضح أنها برقم 2107541 وطرازها أمريكي.

وكان ترومان بالداخل يلوح لكل الناس وهو يضحك في مرح وسعادة بالغة!

ثم جاء الوقت الذى كان يجب فيه التفكير فى صناعة طائرة جديدة لرئيس الجمهورية ، ليس لأن Sacred Cow قد أصبحت مثار شك في قدرتها أو فى الاعتماد عليها ، بل لأن منطق التاريخ وتقدم صناعة الطيران فى الولايات المتحدة ، وقد وصلنا إلى عام سنة ١٩٤٧ كان يستدعى إيجاد وسيلة نقل حديثة للرئيس تساير العصر.

إن التطور فى تصميم المحركات وفى نوعية المعدن ، وكفاءة المساعدات الملاحية والتقدم المماثل فى تصميم الهيكل والشكل الخارجي للطائرة استدعى أن يطلب مسئول الطيران في البيت الأبيض من شركة دوجلاس صناعة الطراز الأحدث Dc 6 من نوعية الطائرات طويلة المدى وتزويدها بكل ما هو أكثر تطورا وأكفاء وأفضل فى صناعة الطيران.

وبالطبع جندت الشركة أروع مهندسيها لتصميم وصناعة ثانى طائرة لاستخدامها رئاسة الجمهورية وكانت برقم 505-46 وكانت مشابهة – على الأقل فى الخارج – من أحدث منتجات الشركة من هذا الطراز ستستخدمها American Air lines إلا أن التصميم الداخلى اختلف ، فقد تم توصيف جناح كامل فى مؤخرة الطائرة خصص للرئيس وحده : صالون من خشب الماهوجنى البنى الداكن الفاخر ، ومزين بالنسر الشهير شعار الولايات المتحدة. فى منتصف الصالون كرس هزاز ودوار فى نفس الوقت خاص بالرئيس ، أمام المقعد الرئاسى منضدة ومكتب يمكن تحويلها إلى قاعة اجتماعات ، وعند إعداد الطعام يمكن تحويلها إلى سفرة تكفى لإطعام ٨ أفراد، وإلى جانب النافذة اليمنى لجناح الرئيس أريكه تحول عند الحاجة إلى سرير ، بجانبه دولاب ملابس ودولاب آخر لحفظ الأوراق مع جهاز استقبال خفى عن الأنظار ، مع تليفون انتركوم ومبرقة كهربائية. وعلى جانبى هذا الجزء عدادات توضح سرعة الطائرة واتجاها وارتفاعها ومثبت فى سقف الجناح خرائط منوعة لكافة قارات العالم يمكن طيها عند عدم الاحتياج لقراءة تفاصيلها ، وقد فاق هذا الجناح فى فخامته ورفاهيته الجناح الأول فى الـ Sacred Cow .

ثم جاء دور تسمية الطائرة الجديدة ، فقد كان اسم "البقــــرة المقدسة" "Sacred Cow" مثار نقد فى السابق . وبعد جدال طويــل وآراء مختلفة ومتباينة اتفق الجميع ، ثم وافق الرئيس وهو المــهم ، أن يكون اسم الــ DC6 الجديدة : (الاستقلال) ، الذى وجـــد فيــه الجميــع تجســيداً لمعـــانى وقيــم كثــيرة تدعــو لـــها أمريكـــا. Independence إلى جانب أنها كانت اسم بلدة هى مســـقط رأس ترومان نفسه، بلدة فى ولاية ميسورى تسمى Independence.

فى الحجم كانت أكبر من البقرة المقدسة ، مما أمكـــن مـــن دعوة ضيوف وعدد من العاملين أكثر. اتسعت إلى ٢٤ فـــرد فـــى مقاعد مجهزة لتحول إلى ما يشبه الأسرة فى الرحلات الطويلة.

والأهم من وجهة نظر المحترفين فى عالم الطيران كـــانت الأجهزة الملاحية والمعدات الفنية على متنها تعتبر ثـــورة علميـــة تكنولوجية فى ذلك الوقت ١٩٤٧م مقارنة بطائرة الرئيس الأولـــى. جهاز نزول آلى. جهاز استشعار اضطرابات جوية لمسافة ٣٠ ميـلى أمام الطائرة. جهاز تحديد المسافة بدقة عند الاقتراب مـــن الممـــر بغرض الهبوط. أجهزة استقبال وإرسال فائقة الحساســية وطويلـــة المدى وأكثر دقة . نظام تكييف هواء لا يوجد فى أية طائرة مدنيـــة أخرى فى العالم. ونظام تشفير يمكن الرئيس من إرسال واســـتقبال

رسائل على مبرقة الطائرة فى مدى ٣٠٠٠ ميـــل ، لايمكــن فــك شفرته ويكفل الأمان والسرية التامة.

ولم يجد رجال سلاح الطيران وكبيرى العـــاملين بـــالبيت الأبيض أى مانع من أن يكون جسم الطائرة مزين بما يدل علـــى أن راكبها هو الرئيس نفسه. فتـــم كتابـــة United States بصـــورة واضحة إلى جانب حروف نداء الطائرة.

ثم استقر رأى كبار قادة سلاح الطـــيران علـــى أن النســـر الأمريكى شعار الولايات المتحدة المعروف ، والمرسوم على كـــل محتويات البيت الأبيض ، يجب أن يوضع برسم ملون فاخر علـــى طائرة الرئيس من الخارج كنوع من التميز وإبراز طابع الطـــائرة. وقد تكلف دهان هذا الشعار على جسم الـــ Independence مبلـــغ ١٥٠٠دولار تبرعت بها الشركة الصانعة Douglas.

وقد تم الاحتفال بإدخالها الخدمة لرئاسة الجمهورية فى يـــوم الاستقلال ٤ يوليو لتكون اسماً على مسمى. ووصفها كل من رآهـــا لأول وهلة بالروعة!

وفى خلال الخمسة أعوام التى استخدمها ترومان بعد ذلـــك كانت Independence تمر بمراحل تجديد وتطوير مســـتمرة ، إذ أن العصر الذى صنعت فيه اتسم بسرعة التطـــور فـــى الأجـــهزة الملاحية وفى اكتشاف أية عيوب فى التصميم أو التجـــهيز. فمثـــلا

نظام التدفئة ظهر به عيوب كانت تؤدى إلى رفع درجة الحرارة داخل كابينة القيادة، وهو ما أدى إلى حادثة سقوط إحدى الطائرات المدنية من نفس الطراز، مما دعى إلى وقف استخدام طائرة الرئيس لمدة ٦ أشهر كاملة ، لمعالجة هذا العيب. فبدئاً من نوفمبر ١٩٤٧ تم إعادة الطائرة إلى مصانع Douglas ولم يسمح لها بالطيران إلا بعد عدة تجارب، وعادت إلى الخدمة فى مايو ١٩٤٨م (**المترجم:** يذكر العالم العربى أنه فى ١٩٤٨م اعترف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل بعد ثلاثين دقيقة فقط من إعلان مولدها، مما أثار كل العرب ضد هذا الانحياز الواضح لحليف يعتبر امتداداً لأمريكا مازال الفلسطينيون يعانون منه حتى الآن).

خلال فترة توقف Independence عاد ترومان لاستخدام "البقرة المقدسة" ، ومن حسن حظه أن الاضطرابات الجوية الشديدة والخطيرة لم تكن شائعة وقتئذ، وهو العيب الذى عانت منه هذه الطائرة من طراز DC4 ، لكن الطيار الأول كابتن مايرز نصح رجال البيت الأبيض بعدم الاعتماد أساساً على هذا الطراز طوال فترة الشتاء والخريف.

ساعد على ذلك انبهار ترومان بفكرة القطار الذى يمر به على عدة ولايات لعمل دعاية لحزبه ، أو للتوقف لافتتاح مشاريع قومية تمت فى عهده. وكان يسمى قطاره الفاخر "فرديناند ملجلان"

يشبه إلى ذلك الرحالة الشهير وهو يوضح ولع الأمريكيين بالأسماء البراقة.

ويقول كبير طيارى الرئيس بعد ست سنوات خدمة فى هذه الوظيفة ، برغم عرض الرئيس له لترقيته إلى رتبة جنرال، وتعيين مساعداً له، أن وظيفته فى الرئاسة استدعت البعد عن أولاده وزوجته لفترات طويلة، واستدعت مؤخراً التعامل المضنى مع البيروقراطية التى زحفت إلى البيت الأبيض بالتدريج، فحرمته من متعة الانطلاق إلى الجو دون تعقيد، ودون أوراق كثيرة يوقعها، ففضل أن يترك العمل فى البيت الأبيض كله، وأن يلتحق بشركة American Airlines حيث ظروف العمل تسمح له بالطيران بحرية والتمتع بعد عودته من رحلاته بزورقه الذى اشتراه ليصيد سمك فى بحيرة Eagle Mountain بالقرب من بيته وفى صحبة أولاده.

لكن ترى إلى أى عدد من السنوات ستظل الـ Independence فى خدمة مؤسسة الرئاسة؟ لقد بدأ التفكير فى طائرة جديدة فى أوائل ١٩٤٨م ، ليتم تصنيع طائرة خاصة على خط تجميع منفرد فى شركة لوكهيد ، من طراز Constellation كونستيلاشن طويلة المدى عابرة القارات. هذه المرة لا توجد طائرة مدنية أخرى ستكوت شبيهة لها.

الفصل السادس

من الطائرات المروحية / نفاثة إلى جيل جديد من النفاثات فقط

بدخول دوايت إيزنهاور البيت الأبيض كرئيس جمهورى بعد حكم ٢٠ سنة للديمقراطيين. احتاج إيزنهاور إلى طائرة جديدة تماثل هذه الروح الجديدة الزاحفة على البيت الأبيض. وباختصار رأى مسئولى البيت الأبيض الجدد أن الـ Independence لم تعد تصلح للمهمة.

وبالطبع كانت الـ Constellation ذات الأربع محركات جاهزة وتوافق مزاج الرئيس كقائد حربى سابق، وقد وجد فيها شبها لطراز سابق هو C-[2] كان يستخدمه كقائد أعلى لقوات الحلفاء عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢.

تم اختيار الطائرة أساسا بواسطة ميجور وليام دريبر الذى عين ككبير طيارى رئيس الجمهورية. ووافق إيزنهاور على الاختيار وأطلق اسم Constellation II على الطائرة الجديدة، وتم دهان الاسم على مقدمة الطائرة ، وهى نفس الوردة التى تحبها زوجته مامى فى ولاية كولورادو ، إذ أن كولومباين Columbine

كانت زهرته المفضلة أثناء الحرب. الأمريكيون دائماً يهوون تدليل معداتهم حتى القنبلة الذرية كان لها اسم دلع!

كان طراز Constellation قد أثبت جدارة منذ دخوله الخدمة فى القوات الجوية منذ ١٩٤٩م . وكانت الطائرة التى اختارها إيزنهاور لنفسه من هذا الطراز قد قطعت ٦٥٠ ألف كيلومتر طيران خلال ٣٠٠٠ ساعة طيران سلس ، فى كافة الظروف الجوية. وشمل جناح الرئيس نقش بارز لأزهار الـ Columbine ولوحة توضح كفاءة عمل كل الأجهزة الملاحية كان إيزنهاور يحب أن يتأملها. كابينة القيادة اتسعت لـ ١١ من الطقم الطائر. ودورة المياه فى آخر الجناح شملت معدات زينة وعطور كادت أن تصبح بها صالون تجميل متسع (لتكون اسماً على مسمى ... بيت الراحة "المترجم").

وكان إيزنهاور بطبيعته محباً للطيران مفضلاً إياه عن أية وسيلة مواصلات أخرى. وهو نفسه كان طياراً حربياً فى شبابه قطع ١٠٠ ساعة طيران. إلا أن حبه للطيران كان يماثله خوف زوجته منه.

وكان دريبر يفخر بتزويد الـ Constellation بجهاز Loran وهو أحدث ما أمكن خبراء الطيران من إنجازه كنظام ملاحة طويلة المدى يخدمه نظام رادارى لاكتشاف أية ظواهر

جوية خطرة، وكان يقول دائماً لزوجة الرئيس أن أخطر مرحلة فـي السفر هي من ركوب السيارة إلى باب الطائرة، إذ لا يمكن مقارنـة الأمان داخل الطائرة بأية مخاطر يقابلها الإنسان أثناء قيادة سيارة!.

وكان إيزنهاور راكب مثالي يثبـت حـزام الأمـان أثنـاء الإقلاع والهبوط ، وأحياناً عندما تدعو الحاجة أثناء الطيران أيضـاً في أجزاء من الرحلة وعلى عكس ترومان وغيره من الرؤساء لـم يكن من عادته التجول في الطائرة خلال الطيران ومن عادته أيضـاً حب قراءة روايات المغامرات عن الغـرب الأمريكـي وهـو مـا حرص طاقم القيادة على تزويده بآخر الروايات المثيرة مـن هـذا النوع.

حتى في طعامه كان إيزنهاور بسيطاً يتناول القليل برغم كم اللحوم المتنوعة في مطبخ الطائرة. وكان دريـبر كبـير طياريـه يراعي فروق التوقيت في الرحـلات الطويلـة فينصـح الرئيـس بالأوقات المثلى للنوم، ويراعي بالمثل الارتفاع الأمثل الذي يجعـل الرئيس قادراً على النوم بسهولة. والارتفاع المفضل لهذا الطـراز كان ١٢٠٠٠ قدم ، برغم قدرة الطائرة للطيران المستقيم المتواصـل على ارتفاع ١٨٠٠٠ قدم.

وصادف عام ١٩٥٤م عملاً شاقاً من قبل الرئيس اعتمد فيه على الطيران بطائرته الخاصة Columbine II، إذ قام إيزنـهاور

بالتخطيط لحملة دعاية لحزبه الجمهوري الذى استطاع أن يصل إلى السلطة بعد غياب ٢٠ سنة ، مثلاً فى ٣٠ أغسطس استقل الطائرة من دينفر فى منتصف الليل ليصل واشنطون ٦,٤٥ صباحاً لزيارة حاكم ويسكونسن جنرال لوكانس كلاى مع حاكم ولاية كونيتيكت لتوقيع قانون استخدام الطاقة الذرية، ثم ليلقى فى الثانية عشر ظهراً خطاباً أمام مؤتمر قدامى المحاربين ، وبعد زيارة قصيرة لصالون الحلاقة لتهذيب شعره، يسافر إلى دى موانييس مع هربرت هوفر الرئيس السابق ، ليلقى خطاباً آخر في ولاية إيوا ليعود بطائرته مرة أخرى إلى دينفر ، ثم ليستقلها بعد ساعتين فقط لحضور احتفال للأمهات، وعند مغادرته الطائرة شكر دريبر ومساعديه قائلاً يمكن أن تعتبروا غداً ... يوم راحة.

إلا أن Columbine II فى الواقع عانت من هذه الرحلات الطويلة المتوالية المجهدة. ومن ثم اتجهت أنظار دريبر إلى طراز آخر أكثر تطوراً وهى ما أنتجته شركة لوكهيد كتعديل فى الواقع لنفس طراز الكونيستيليشن وهى الـ Super Constellation الذى تفوق طولها على طائرة الرئيس بـ ١٨ قدم أزيد. وقدرة خزانات على استيعاب وقود طيران أكثر، وقوة محركات أفضل تصل بها إلى سرعة مثالية غير مسبوقة تخدم الرحلات الطويلة بالذات.

وكانت الخطوة التالية هى مخاطبة شركة لوكهيد لتصنيع أفضل ما يمكن أن تنتجه من الـ Super Constellation لخدمة الرئيس ...

وبالفعل مرت الأحداث بسرعة واقتربت خدمة Columbine II من نهايتها في وقت قياسي وغير متوقع ، ولكل شيء نهاية فالطائرات مثل الإنسان لها فترات تزدهر وتكون ملء السمع والبصر ويمر الزمن ليطوى مع كل شيء الاهتمام والقوة وينتقل مركز الثقل لإنسان جديد أو طراز جديد أو طائرة جديدة.

هذه الطائرة الجديدة استلمها جمع غفير على رأسه ايزنهاور وزوجته مامى فى احتفال حاشد ، تم تدشين فيه الطائرة رقم 7885 – 53 وباسم Columbine III وبدلاً من كسر زجاجة شمبانيا كما يفعل المحتفلون مع السفينة الجديدة ، تم كسر زجاجة بها ماء صافى من مرتفعات كولورادو.

وقدر لهذه الطائرة Columbine III أن تظل فى خدمة البيت الأبيض لمدة ٦ سنوات متصلة وهو ما لم يتح لأى طائرة أخرى من نفس الطراز.

لكن بقيت الـ Super Constellation طائرة ذات أربعة محركات مروحية /نفاثة ، وليست نفاثة كاملة.

وهنا يدخل التنافس بين العالم الغربى والشرقى فى إظهار مدى القدرة على التقدم التكنولوجى والعلمي. إذ استطاع الروس أن يطلقوا قمراً صناعياً ليدور حول الأرض فى سابقة تفوقوا فيها على الأمريكان لأول مرة، وكانت لطمة توضح مدى تقدم الروس فى علوم الطيران والفضاء بما يتجاوز قدرة أمريكا.

ثم بدأت الطائرات النفاثة تخصص لرئيس الاتحاد السوفيتى فى رحلاته الدولية بالذات ، ليشهد العالم أن زعيم الكتلة الشرقية يهبط من طائرة تفوق فى تقدمها طراز طائرة رئيس أمريكا ذات المحركات الأربعة المروحية / النفاثة.

وكان جون فوستر دالاس، وزير خارجية أمريكا من أكثر الناس إحساسا بهذا التميز الذى أحرزه الروس وكان دائم الإلحاح على إيزنهاور أن الـ Super Constellation لم تعد أبدا لائقة بمقامه كزعيم للعالم الغربى فى ظل هذا التنافس الحاد وفى ظروف هذه الحرب الباردة.

وهنا بدأ الاتجاه لشركة بوينج التى بدأت تنتج البوينج ٧٠٧ كطائرة نفاثة صرف بأربعة محركات قوية عابرة للقارات معها كافة شركات الطيران المدنية التجارية فى الولايات المتحدة.

وبالفعل اتجهت مؤسسة الرئاسة إلى هذه الشركة، وكانت الخطوة الأولى هى اختيار مجموعة من طيارى القوات الجوية

لتدريبهم على قيادة هذا الطراز الجديد الذى يعتبر حداً فاصلاً بـدأت معه الطائرة النفاثة كسيدة الجو التى لا تنـافس ، وينـهى سـيادة المروحيات أو أنصاف المروحيات.

من ضمن كافة طيارى القوات الجوية برز طيـار يدعـى (رالف البرتازى) .. ظهرت قدراته المميزة فى الطيران على هـذا الطراز، وتم التركيز عليه ليصبح بعد ذلك هو طيار الرئيس.

أتمت شركة بوينج تسليم ثلاثة طائرات بوينج ٧٠٧ للقيـادة العليا للقوات الجوية لاستخدامها جميعاً للرحلات الخاصـة (SAM) وهى اختصار Special Air Missions لنقل كبـار الجـنرالات وكبار رجال الدولة فى الرحلات الهامة التـى تسـتدعى طبيعتـها سرعة الحركة.

اختار إيزنهاور واحدة من هذه الطائرات ليصبح أول رئيس أمريكى يسافر بهذا الطراز فى أغسطس ١٩٥٩م من واشنطون إلى بون لمقابلة مستشار ألمانيا الغربية ثم ليصطحبه لمقابلـة مـاكيلان رئيس وزراء بريطانيا ثم يزور الملكة بعد ذلـك فـى لنـدن، ثـم ليواصل رحلته لمقابلة شارل ديجول فى باريس ، ثـم يعـود إلـى اسكوتلندا ليمارس هوايته فى لعب الجولف فى مدينـة إيـر شـاير ويقفل عائداً إلى العاصمة الأمريكية ليصلها فى ٧سبتمبر ١٩٥٩م.

ولم يكن رالف البرتازى المدرب جيداً على تشغيل وقيادة البوينج قد تولى مسئولية طيار الرئيس بعد، والذى بدأ إدخاله في جو الرحلات الهامة لكبار رجال الدولة تدريجياً فكان ينقل واحد من هؤلاء إلى لندن مثلاً ، ثم يعود إلى واشنطون ليقوم بثلاث رحلات داخلية إذا دعت الحاجة ، ثم ليعود إلى لندن فى نفس اليوم ليصحب نفس الشخصية الهامة إلى واشنطون مرة أخرى. فقد كانت من سياسة القيادة العليا لسلاح الطيران مع مدير العاملين بالبيت الأبيض أن طراز مثل البوينج "لا يجب أن يبقى معطلاً على الأرض لمدة طويلة" فثمن الطائرة بأسعار (١٩٥٩) كان ستة ملايين ونصف دولار . وكان رقماً خيالياً آنذاك. (أخر طراز سينتج عام ٢٠٠١ سيصل ثمنه إلى ٢٥٠ مليون دولار للطائرة الواحدة ... المترجم).

وقد أطلق هذا الطراز خيال الرئيس لرحلات لم يكن يفكر فيها أيام الـ Super Constellation. أصبح يفكر الآن في التوجه مباشرة من واشنطون إلى جنوب شرق آسيا ، وإلى شمال أفريقيا دون توقف. وما أن حل شتاء عام ١٩٥٦ حتى أصبح القيام برحلات طويلة غير مسبوقة لا يقاوم. إذا استدعى إيزنهاور كبير طياريه ، وفي وقت كان الكونجرس في إجازة والعلاقة مع

خروشوف زعيم روسيا هادئة ، ليفكر فى رحلة يـــزور فيـــها ١١ دولة فى ١٨يوم ، وهو رقم قياس لم يفكر فيه أحد من قبل.

وبدأت الرحلة بعد دراسة مشتركة من قيادة الطائرة وقيـــادة الأمة ، فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٩ إلى روما وزيارة الفاتيكـــان ثـــم أنقره ، فكاراتشى باكستان ، فكـــابول ، فنيودلـــهى ، ثـــم طـــهران (إيران)، فأثينا ليتبعها تونس مع رحلة خاطفة إلى باريس ثم مدريـــد فالدار البيضاء ، ليقفل إيزنهاور عائدا إلى واشنطون.

وكان على دريبر ، أن يسافر أولا بطائرة مماثلة إلى كـــل مطار في عواصم هذه الدول ليدرس إمكانيات ممراته الأرضيـــة ، ظروفه الجوية ، إمداداته التموينية من وقود وغـــذاء ، ومصـــاعب الاتصال بالعاصمة الأمريكية من كل من هذه العواصـــم. واحيانـــا كان يجد لزاما عليه نقل نوع الوقود الصـــالح للبوينـــج ٧٠٧ مـــن واشنطون إلى واحد أو أكثر من هـــذه المطـــارات حتـــى يكـــون الـــ jet – Al جاهزا لتموين البوينج المقلة للرئيس بعد هبوطها.

المهمة كانت شاقة للغاية ، لكن رغبة إيزنهاور لزيارة كـــل هذا العدد من الدول فى رحلة واحدة كانت طاغية للغايـــة ، كمثـــال الهبوط فى مطار مثل كابول بمنطقة جبلية تشتهر بعواصفها العاتبـــة استلزم أن يرافق طائرة الرئيس قبل هبوطها طائره أخرى اســـتقلها الملحق العسكرى بأفغانستان ليزور دريبر بحالة الجو واتجاه الريـــح

وقوته فوق الممر الأرضى لمطار كابول ، بعد إنشاء محطة أرصاد مؤقتة لهذا الغرض بجهاز إرسال يبلغ الطائرتين بآخر ظروف الأحوال الجوية قبل أن يغامر طيار الرئيس بالهبوط.

وفى دلهى وصل الأمر أن رئيس الوزراء أكد بنفسه لكبير الطيارين أن وحدة من الجيش ستكون مسئوله عن أبعاد الأبقار (البقرة مقدسة فى الهند) عن الاقتراب من الممر الأرضى أثناء هبوط طائرة الرئيس!!

لكن ما لم يستطع الوعد به ولم يتمكن من تحقيقه نهرو فى الهند أن يحيط بسيارة ايزنهاور بعد هبوطه واتجاهه خارج المطار فى شوارع بنودلهى .... مليون هندى.

ومن مظاهر الخطورة التى قابلها دريير أثناء الرحلة أن الطيران عبر الحدود التركية الإيرانية جنوب الاتحاد السوفيتى يجب أن يتم خلال ممر جوى ضيق ، المدفعية الروسية فيه جاهزة لأى هدف تعتبره معادى وقد أسقطت بالفعل طائرة أمريكية من طراز C-130 بسرب المواصلات عن طريق قذيفة روسية.

وليس أقل خطورة أنه أثناء الطيران فوق أفغانستان أن يفاجأ دريير بسرب من طائرات الميج السوفيتية تحيط به من كل جانب ، وهو سرب تابع لسلاح الجو الأفغانى ، يبدو أنه جاء ليحيى

طائرة رئيس أميريكا ، برغم أن الملحق العسكرى الأمريكـــى لــم يطلب هذه التحية التى لم يكن لها أى داعي.

وفى عام سنة ١٩٦٠ بعد نجاح الثورة الكوبية وتولى فيــدل كاسترو السلطة في هافانا ، وجد إيزنهاور أن عليه أن يقوم برحلــة لتدعيم موقف أميريكا فى دول أميريكا اللاتينية الأخرى وانطلق من واشنطون إلى ساو باولو ثم إلى ريودى جانيرو فى فبزاير من نفس العام ، وكانت حادثة مؤسفة قد حدثت لفرقه موسيقية تابعة للبحريــة الأمريكية قد أدت إلى موت ٦٩ جنـــدى وضـــابط أمريكـــى فـــى البرازيل وعندما اتجه الرئيس إلى الأرجنتين ، كان إعجاب رئيســها أرتورو فروندیزی لا حد له "بتلك الأعجوبة الســـاحرة الB707 التى يستغلها إيزنهاور" ولم يكن إيزنهاور يدرى أنـــه مـــن تقـــاليد أمريكا اللاتينية أن المضيف عندما يبدى إعجابه بشئ يجــب علـــى الضيف أن يهديه له ، ولآن هذه الــ B707ليست ملكا لايزنـــهاور فقد كان كل ما عرضه على الرئيس الأرجنتينى أن "يصطحبه معه فى هذه لأعجوبة إلى البلد التـــالى المســـافر إليـــه" وكانت مدينة سان كارلوس ، ولكى يفسح مكانا للرئيس الأرجنتينـــى ومرافقيه كان على كبير الطيارين أن ينقل بعض محتويات طـــائرة الرئيس والطقم الطائر إلى طائرة أخرى مرافقة. وللأســـف كـــانت

الحقائب المنقولة تضم ملابس السهرة الرسمية التى حرمت الطقم الطائرة كله من حضور حفلات الاستقبال فى سان كارلوس.

إلا أن أهم ما فكر فيه إيزنهاور من رحلات كانت إلى العاصمة السوفيتية فلشهور عدة كان يتوجه للقيام بهذه الرحلة التاريخية ليكون أو رئيس أمريكى يزور لاتحاد السوفيتي. وكان خروشوف قد زار سنة ١٩٥٩ الولايات المتحدة فى جولة طاف بها ولايات أمريكة كثيرة واتسمت بالود لطبيعة خروشوف البسيطة الغير متعالية.

لكن وكالة المخابرات المركزية كان لها وجهه نظر أخرى جبال الاتحاد السوفيتي. كان من رأى الوكالة بعد أن قامت طائرة التجسس الأمريكية U-2 برحلات عديدة فوق الاتحاد السوفيتى أن هذه الدولة ، وفق الصور التى عادت بها طائرة التجسس قد أظهرت الترسانة قواعد صواريخ ذرية ، ومدارات ، وكافة مفردات الزسانة العسكرية الضخمة التى كان يفاخر بها زعماء روسيا. وكانت بعض الصور التى التقطت على ارتفاع ٧٠٠٠٠ قدم سبعين ألف قدم توضح كل ذلك بشكل أثار إعجاب إيزنهاور وضمن معرفة أمريكا بما يدور خلف الستار الحديدى ، وبالتالى الاستعداد له. أى كفلت عنصر الأمان ...

عندما فكر إيزنهاور في زيارة أمريكا ، اتجه فكر وكالة المخابرات المركزية ورجال الأمن القومي اتجاها خطرا. إذا كانت طائرة التجسس U2 قد استطاعت أن تصور ما تحتها من قواعد نووية ، فما بالك بطائرة غير مشكوك فيها مثل طائرة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة ودية لمدن وأقاليم الاتحاد السوفيتي ، وعلى ارتفاعات منخفضة ممكن أن تصل عند بدء إجراءات الاقتراب من أي مطار سوفيتي إلى ٥٠٠٠ قدم فقط ، لا شك أن النتيجة من صور مركزه وموجهة ستكون مذهلة في وقتها.

وبدأ التخطيط "من وراء ظهر الرئيس" بدأ تزويد بطن الطائرة الـBoing الـ 707بأجهزة بالغة الدقة من آلات تصوير متطورة وحساسة للغاية .... لتؤدى نفس المهمة اللاأخلاقية التي فكر فيها كبار مسئولي وكالة المخابرات المركزية ومؤسسة الأمن القومي. والتبرير أن الغاية تبرر الوسيلة.

إلا أنه لحسن حظ إيزنهاور ، أسقط الاتحاد السوفيتي طائرة تجسس أمريكية من طراز U2وتم أسر قائدها الكابتن (فرانسيس جاري باورز). وكانت بمثابة الفضيحة لأمريكا ، مما أدى إلى انسحاب خروشوف من مؤتمر في باريس وترك القاعة وإيزنهاور وغادر المكان.

وبالتالى لم يعد هناك أى تفكير فى زيارات "ودية" للاتحـــاد السوفيتى وتلطخت صوره أمريكا كفوه معادية تضمر الشر لروسيا.

وبوصول جون كينيدى إلى الحكم ودخوله البيت الأبيـــض سنة ١٩٦٠ وبرغم تخصيص طائرة مـــن طـــراز Dc6 القديـــم لاستخدام الرئيس إلا أن كينيدى لم يخفى رغبته فى أن تكون طـائرة الرئاسة من طراز B707 بوينج ٧٠٧. وكانت بالفعل هى الطـــراز الذى أقل جون كينيدى فى مارس سنة ١٩٦١ إلى لندن (ولم يكن قد مضى إلا شهران منذ توليه السلطة) ليقابل رئيس وزراء بريطانيـــا هارولد ماكميلان ، ليناقش معه أوضاع جنوب شرق آسيا ولم يكـــن كينيدى يجيد نطق عاصمة كوريا :لاوس وكان ماكميلان قادما مـــن جزر الكاويبى ووصل فوق مطار كى ويست قبل طائرة كينيـــدى إلا أن المراقبة الجوية طلبت من قائدها بالدوران فوق المطار انتظـــارا لتعليمات أخرى. "مستحيل" كانت إجابة قـــائد الطـــائرة البريطانيـــة "الطائرة تقل الشفرة رقم (٢) "وكان هذا هو الاسم الشفرى لرئيـــس الوزراء "استمر فى الدوران حول المطار لأن هناك طائرة ستصل بعد قليل وعلى متنها الشفرة رقم (١) "وكـــان هـــذا هـــو الرمـــز المستخدم لرئيس الولايات المتحدة ، قال الطيار الأمريكـــى وفـــى الواقع كان كينيدى حريصا ، كنوع من المجاملة الواجبة ، أن يكـون هو فى انتظار ضيفه وليس العكس. وفى عام ١٩٦٢ تـــم تصنيـــع

بوينج حديثة وخاصة باسم SAM 26000 لتكـون بـالفعل أول بوينج تدش رسميا "لطائرة الرئاسة" وتسجل فـي سـجلات الدولـة الرسمية بهذا الاسم : "Air force one" وصلت هـذه البوينـج قاعدة اندروز فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٦٢ ، ولتطـير منـها دون توقف لمسافة ٧٠٠٠ ميل ، وبسرعة تصل إلى ٦٢٠ميـل/سـاعة. محركاتها أحدث ما أنتجت براث وهويتنـي مصـانع المحركـات المشهورة وتستطيع لإقلاع من ممرات أرضية أقصر وبلـغ ثمنـها سنة ١٩٦٢ ٧٠٢٤٠٠٠ دولار سبعة ملايين وأربعـة وعشـرون ألف دولار. إذا أضيف لها قطع الغيار والوازم أخـرى ، خاصـة جهاز اتصالات يمكن الرئيس من التخاطب مع أى مكان فى العـالم لوصلت القيمة الفعلية إلى ٨ مليون و ٦٠٠ ألف دولار.

مظهرها الخارجى كهيكل ومقدمة كان مبـهرا ، بأجنحـة عرض ١٤٦ قدم وبحمولة ٣٢٨٠٠٠رطل أثقل من أى طائرة مثيلة لها بـ٣٥ طن. وتصل فى ارتفاعها إلى ثمانية أميال فـوق سـطح الأرض. وكانت أول طائرة تحمل اسم "Air force one" طـائرة سلاح الطيران الأمريكى رقم (١). واقترح كينيدى أن يستبدل اسـم "united states Air force" المكتوب من قبل ليتحول إلى رمـز قومى يدل على طبيعة قومية أعم ويمثل الولايـات المتحـدة فـي صورة رئيسها وبالفعل أصبح الاسم المنقوش على جـانبى الجسـم

الخارجى. "united states of America" وصادف هـذا الاسم هوى لدى سيدة أميريكا الأولى جاكلين كينيدى. وتم طبـع شعار الولايات المتحدة ، النسر محاط بزخارف عديدة على الطائرة من الخارج ، لتكتمل الصورة فهى بوينج ترمز إلـى أميريكا وليس القوات المسلحة أو سلاح الطيران فقط.

لكن الاسم الرسمى "Air force one" كحروف نداء لكافة أجهزة المراقبة الجوية ورجال الدفاع الجوى والأمن القومى استمر ليظل هو الاسم المستخدم لآيه طائرة تحمل رئيس أميركا الـذى أصبح يتبعه ضابط خاص يحمل شفره القذائف النووية أينما ذهب ، واستمر هذا النظام حتى الآن.

وعلى غير عادات الرؤساء الذين تولوا هذا المنصب بعد كينيدى مثل نيكسون وجيمى كارتر ، كان كينيدى يفضل أن يمضى الوقت فى رحلاته فى حالة استرخاء ، دون أن يركز علـى الأوراق الرسمية أو البرقيات الشفرية الواردة من البيت الأبيض اعتـاد أن يلجأ إلى سرير عريض فى جناحه الخاص ، مع عده صحف يقرأها بسرعة ويطويها .... لينام.

ولم أشاهد رئيسا يستمتع برحلاته الرئاسية ، مثل كينيـدى كما يقول وصيفه وخادمه الخاص ريد فـيرنون. "وكـانت عائلـة كينيدى تحب الشرب " الكثير ، والأكل الأقل " يقول كبير الطـهاة"

وكنت أحبهم لذلك إلا أن البعض كان يسرف دون أن يدرى في احتساء المشروبات الروحية وكانت نظرة حازمة من كينيدى بعينيه الذكيتين ... كافيه لأن تضع كل واحد عند حده ، ويثوب إلى رشده ويتماسك على الفور. وكينيدى كان محبا للحياة والناس ، اعتاد أن يستدعى أحد مرافقيه ويدعى "شيل" ليسرد علية آخر نكتته أو حادثة طريفة كان "شيل" يجد الأمر محرجا فى أول الأمر ، ثم اعتاد بعد أن اطمأن إلى طبع الرئيس في أن "يتبادل" النكات مع الرئيس ، وبعضها كان نكاتا "خارجة"

بل لقد امتدت روح الدعابة لدى كينيدى إلى رجال الصحافة استدعى يوما بير سالينجر سكرتيره الصحفى ليصحح خبرا نشر عنه في اليوم السابق فى الـ Washing ton post أنه لم يستطع السيطرة على قارب شراعى فى نزهة بحرية واضطر أن "يغرز" في رمال الشاطئ ...... أى أنه بحار سيئ ولا يستطيع أن يقود مركب شراعى! رفض رئيس التحرير تكذيب الخبر لأن "الصور لا تكذب والمصور أمامى ومعه تقرير واضح عما حدث" عاد السكرتير الصحفي ليخبر كينيدى برد رئيس التحرير ، فما كان من كينيدى إلا أن رفع السماعة وطلب المصور نفسه قائلا "هل تريد أن تقول بصورتك هذه أن القائد الأعلى للقوات المسلحة والبحرية لا يستطيع أن يقود مركب شراعى .... أم ماذا".

وكثرت رحلات كينيدى الجوية فى السنة الأخيرة من عمره. سافر إلى جزر هاوايي لمدة ٥ أيام. بعد توقف فى "إيل ياسو" بولاية تكساس ليحضر مؤتمر لحزب الديموقراطي. ثم بعد شهر إلى برلين فى رحلة شهيرة ، حيث ضمن خطابه إلى أهالى هذه المدينة جملا باللغة الألمانية التى تدرب عليها وكان استقبال الألمان له حافلا وبترحيب غير عادى. وكان تعليق كينيدى فى رحلة العودة من برلين "لن أرى يوما حافلا مثل هذا فى حياتى" ولم يكن يعلم أنها تقترب من نهايتها.

ومن برلين توقف فى ايرلندا ليحيى أقاربه و أسلافه القدامى حيث أن عائلة كينيدى من أصول أيرلندية ، وزار خلال توقفه بلده قديمة عاش فيها أجداد أجداده قبل رحليهم إلى أميريكا وكان شهر أغسطس من نفس السنة شهرا حزينا لآل كينيدى إذ فقدت جاكلين كينيدى فى عملية قيصرية ابنها ، مما أثار حزن الزوجين العميق ، كان يخفيه كينيدى بالانخراط فى العمل وفى رحلات قصيرة مكوكية من وإلى واشنطون.

وقضى سيتمبر وأكتوبر فى حملات انتخابية زار خلالها (١١) ولاية ، كان نيكسون قد تفوق عليه فيها فى الانتخابات السابقة كله استعدادا لمعركة اعاه انتخاب الرئيس فى نوفمبر سنة ١٩٦٤ ولم ينسى عند زيارة ولاية كاليفورنيا أن يزور الفتى الشهير

بينج كروسيبى بينما فرانك سيناترا كان قد قام بتجهيز قطعـــة أرض لتكون مهبط الطائرات الهليوكوبتر خاصة طائرة الرئيس. وكـــانت زيارة الرئيس لبينج كروسي منافس فرانك ســيناترا مثـار ضيقــه الشديد ، وأقسم أن "يهد" مهبط الهليوكوبترا هذا ، طالما أن الرئيــس يتوجه دائما لمقابلة "صديقه" بينج كروسي. وشهد شهر أكتوبر عــدة رحلات إلى جامعات أمريكــا فــى (ميــن) Main وأمهيرســت وفيلادلفيا وبوسطون ، ونيويورك وقبل رحلته المأسوية إلى ولايـــة تكساس بأسبوع زار فلوريدا ليشهد إطلاق تجريبى لصاروخ عـــابر للقارات من طراز بولاريس وألقى خطابين فـــى تاميــا وميــامى ، وتوقف للراحة فى منزل والده فى بالم بيتش.

وفى الثلاثاء السابق إلى رحلته المصيرية الأخيرة كان قـــد أنبأ مساعده أنه يود أن يزور مع زوجته جاكلين اليابان والفلبيـــن ، والهند وباكستان على Air force one وكان فـــى نيـــة الرئيـــس زيارة السفير هنرى كابوت لودج بعد عودته من زيارة تكساس.

هل تظن يا أودونبل (مساعده) أننى سأغادر تكســـاس فـــى الوقت المناسب لأكون فى استقبال لودج ؟ "تسائل كينيـــدى مضيفـــا "الرجل قادم من فينا خصيصا لملاقائى ويجب أن أصل فى موعـــد مناسب للقياه" إلا أن القدر كان له رأى آخر ......

نفس يوم الأحد التالى كان هنرى لودج وأودونيل يســـيران خلف نعش الرئيس الملفوف بعلم بلاده وفى مشهد مهيب!!

الفصل السابع

فى الثانى والعشرون من نوفمبر ..

أو مصرع كينيدى

كان يوماً رائعا ... ليس هناك أروع من ذلك جماهير تكساس المرحبة خرجت لتحية الرئيس الشاب وزوجته الجميلة فى مدينتى سانت انطونيو وهيوستون حتى خصومه السياسيين من الحزب الجمهورى تأثروا لذلك لاستقبال الحافل من الجماهير. المطر الخفيف أثار انتعاش المستقبلين والجو صافى وجميل.

كانت هذه هى رحلة جاكلين كينيدى الأولى لولاية تكساس فعلقت "سمعت كثيرا عن كرم وشهامة أهل تكساس" وقبل أن تخلد إلى النوم فى فندق "تكساس هويتل" فى الدور الثامن فزدت ملابس اختبرت بعناية لترتديها اليوم التالى فى زيادة لمدينة دالاسى غلب على ملابسها اللون الأزرق لون البحرية Navy blue وقفازات فى غاية الأناقة لونهما أبيض.

استغرقت الرحلة من مطار فورت وورث إلى دالاس ثلاث عشرة دقيقة فقط ، وشاهد كابتن سويندال الذى قاد البوينج جمع غفير فى المطار لاستقبال كينيدى وزوجته، البعض يلوح والشباب

يقفز في مرح ، مما أقنعه أن التقارير السابقة أن مدينة دالاس كانت ضد كينيدى لم تكن دقيقة.

تبعث طائرة الرئيس ، طائرة Air force TWO تقـــل نائبه وزوجته، ليندون جونسون من أهالي تكساس الذي وجـــد مــن واجبه أن يرحب بالرئيس حتى اصطف المستقبلين خلـــف الحـــاجز الطويل المعد بالمطار ليمدوا أيديهم وينالوا حظ مصافحـــة كينيـــدى وزوجته يداً بيد. التقطت عينا كينيدى لوحه كبـــيرة تحمـــل جملـــة معادية في آخر الصفوف ، لكن أمامه امتدت عبـــارات الـــترحيب المكتوبة بخط كبير "أهلا برئسنا العظيم كينيدى وأهلا بزوجته.

وفى سعادة بالغة امتدت يد جاكلين لتستلم بوكيه من الـــورد تقدم به أحد المراهقين مبتسماً ومصافحاً وبدأت سلسة امتداد الأيادى للترحيب مع صيحات الإعجاب والتهليل واستغرقت المســـافة مـــن لحظة الهبوط من سلم الطائرة حتى مدخل المطار عشرون دقيقـــة ، وكلمات مثل "لقد لمست يديه لقد لمست يديها" تدوى في مرح مـــن قبل الشباب المحتشد. وفى غمرة الزحـــام زحـــف منـــدوب مجلـــة نيوزويك ليقترب من جاكلين ليسألها "ما رأيك فى هـــذا الاســـتقبال" لتجيب "رائع .... كل شئ رائع!"

وعند مغادرة دائرة المطار للتوجه إلى شوارع مدينة دالاس المزدحمة بالمنتظرين أمر كينيدى رجال الأمن برفع كابوت الســيارة

الوافى من طلقات الرصاص "حتى يستطيع الناس رؤيتى بوضـــوح وكى أستطيع أن أرد تحيتهم بالمثل"

وازاخ بيده عدداً من الحـــرس الخـــاص يحيطـــون عـــاده بالسيارة فى أمكان معده لهم على حاجز يمنع الناس مـــن رؤيتـــه ، وقد تأثر بحرارة الاستقبال الغير متوقع ، وليظهر للناس أن دعـــاوى وجود عناصر معادية لسياسته فى مدينة دالاس المحافظة لا يخيفه ، وأنه يسير فى قلب المدينة "بصدر مفتوح ... وقلب مفتوح" رغـــم أنه فى نفس هذا اليوم صباحاً خرجت صحيفة "دالاس نيوز" بصفحة كاملة تدين فيها "سياسة كينيدى الرقيقة والضعيفة .. تجاه الاتحـــاد السوفيتى" وكانت الصفحة الكاملة مجللة بالسواد. تاريخ النسخة هـــو تاريخ اليوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٣.

وكان كينيدى قد قرأ هذه الصفيحة وهو فى الطـــائرة قبـــل هبوطها دالاس وألقاها جانبا بازدراء.

تبعت سيارة كينيدى وهى تخترق شوارع دالاس ، الســـيارة الأخرى المعتادة التى تنقل رجل الأمـــن والمخـــابرات والحـــرس الخاص ، يتبعها سيارة نائب الرئيس الليموزين .. ســـيارة مفتوحـــة مثل سيارة كينيدى بعد أن أمر برفع الغطاء. وكان منظـــر لينـــدون جونسون مع النائب الديموقراطى فى تكساســـى ســـيناتور رالـــف

باربورو .... له مغزى لقاء المحافظين والديموقراطيين فى قلب دالاس .

وفى خضم الزحام .. ابتعدت سيارة طبيب كينيدى المرافق الدكتور إدميرال جورج باركلى ... عن سيارة الرئيس الليموزين التى تقدم رتل السيارات. وعندما اعترض باركلى على هذا الوضع لم يجد استجابة من رجال البيت الأبيض المرافقين ، لآن الجو كان ودياً وليس هنالك أى دلالة للعداء أو سوء النية. كان المشهد بحر من الناس المرحبين فى ود لوصول رئيسهم لمدينة دالاس.

الآن تزحف سيارة الرئيس عبر شوارع ليمون افينو ، ثم تيرتل كريك ، فشارع هاروود ثم تنعطف يميناً لشارع مين ستريت .. وهنا أصبح الحشد متلاطم فى زحام غير عادى وعلا زئير الجمهور ليصم الأذان وسيارة الرئيس تخترق الحشد. لكن كان بإمكان مدير الأمن جيس كارى أن يلمح الرئيس وهو يلوح. وقد صاحب جيس كارى شريف المدينة بيل ديكر ... الذى شاهد مئات الأعين تراقب الموكب من النوافذ على الجانبين. وسرت رعشة من سوريل أحد رجال الحرس عندما شاهد كل هذه النوافذ المفتوحة على سيارة الرئيس.

خلال هذه الفترة كان طيار الرئيس يعد طائرته بعد إجراء الاختبارات المعتاد بضمان كفاءة كل الأجهزة استعدادا للجزء التالى

من الرحلة إلى مدينة أوستن لجمع تبرعات فى حفل سيقيمه الحزب الديموقراطي لهذا الغرض ، فاكتفى هو ومعاونيه مع أفراد السكرتارية بساندويتشات روزبيف من مطبخ الطائرة بدلا من النزول إلى المدينة وعن طريق جهاز الاستقبال فى الطائرة كان بإمكان سويندال الطيار المكلف بالرحلة أن يستمع إلى المحادثات اللاسلكية بين رجال الأمن وزملائهم فى البيت الأبيض الذين يتتبعون موكب كينيدى الذى اقترب من "تريد مارت" حيث من المتوقع أن يلقى خطابه وابتسم سويندال فى انشراح إذ أن الأهالى بدأو يحيطون الرئيس بكم من الورود تلقى على الموكب.

بينما الوصيف جو أيارس يفكر فى الزيارة التى سيقوم بها كينيدى لعزبة ليندون جونسون القريبة وبدأ يفكر إعداد الملابس الرياضية الخفيفة التى كان يفضل الرئيس ارتدائها عندما يكون فى موقف غير رسمى أقرب إلى النزهة.

ثم جاءت اللحظة الحاسمة ليفيق الجميع فى تمام الساعة الثانية عشر وثلاثون دقيقة ، جاء صرخة على جهاز الاستقبال على متن Air force one . وانتبه سويندال الطيار المسئول على الفور لمفردات الصرخة "الخنجر يقوم بتغطية المتطوع" مرة واثنان وثلاثة. وبصوت رئيس البوليس السرى. فكر سويندال باضطراب فى مغزى الرسالة. إن "الخنجر" هو رمز لروفوس يونجبلار

الحارس الخاص لنائب الرئيس ليندون جونسون "والمتطـوع" هـو رمز لنائب الرئيس نفسه. كان الهلع واضح في صوت المتحـدث ، ترى هل هاجم شخص ما ليندون جونسون أم ماذا حـدث؟! سـاد جهاز الاستقبال صمت مميت. هل تزاحم الناس أدى إلى خطر مـا؟ ثم لم يمض إلا وقت قصير ليدق جرس التليفون والمتحدث صوتـه قادم من مستشفى "باركلاند ميموريال" . صـوت بكـاء لمسـاعد كينيدى لشئون الطيران جنرال جودفرى ماكهيو: لكن صوت حاسم زود الـ Air force one بالوقود الآن فوراً. الغي الجزء الثـانى من الرحلة. وسلم خطة رحلة لرجال المراقبة الجوية على التو إلـى واشنطون . سنعود الآن !.

اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن ماحدث ... قـد حـدث للرئيس . ربما إصابة ظهره القديمة قد تفـاقمت . ربمـا الـهدف الإسراع بنقله إلى مستشفى بيسيدا البحرى المتخصصة فـى هـذه الإصابة . لكن خطر لسويندال أن يسرع إلى التليفزيون ليعرف مـا جرى. ووجد محيطاً بالجهاز بقية رجال البيت الأبيض الذين فضلوا البقاء بالطائرة : فوجلسنجار وأيارز وتوماس .. القلق يلف الجميع.

ولحظات وكان سويندال يطوى سلم الطائرة هابطاً فى هلـع ليصرخ فى مسئول التموين تحت الطائرة "يـاجو مـون الطـائرة بسرعة .. استعد للإقلاع"! وعاد على الفور إلى الطائرة.

ويقول تشابيل أحد مرافقي الرئيس :"أيقنت أن حدثاً كبيراً قد وقع ، ربما أزمة دولية في بيرلين أو كوبا ..." فأسرع مودى مسئول تموين الطائرة المرافقة إلى طائرته للاطمئنان أنها ستكون جاهزة للإقلاع هى الأخرى.

وهنا ظهر سويندال مرة أخرى أعلى سلم الطائرة ليقول بصوت مخنوق: "يا رجال لقد سمعت الآن أنه قد أطلق الرصاص على الرئيس."

الساعة ١٢,٣٦ أذاعت محطة ABC التليفزيونية استناداً إلى تقرير وارد من مندوب وكالة الـ "يونايتد برس" أن ثلاثة رصاصات أطلقت على الرئيس أثناء سير موكبه فى مدينة دالاس" وبعدها بأربع دقائق أذاعت CBS أن "الرئيس قد أصيب وأنه ربما يكون فى حالة خطيرة"، تلت ذلك محطة NBC بخبر كان هو الرعب نفسه.

جميع من التفوا حول جهاز التليفزيون فى Air force 1 لديهم إحساس بالذهول ، والصدمة ، وعدم التصديق .. الكلمات هربت وساد الصمت والنظرات المتبادلة التى ترجو أن يكون ما حدث غير صحيح. اثنان من فتيات السكرتارية أمسكت كل واحدة بجسم الأخرى وبدأت الدموع، ثم زاد نهر الدموع لتهتز الأجساد بنحيب متصل. هل هذا معقول؟! الرئيس الشاب الممتلئ حيوية

الذين شاهدوه منذ وقت قصير يهبط سلم الطائرة في مرح ..كل هذا ضاع!!. توماس الوصيف لم يجد ما يشغل به نفسه إلا أن يطوى ملابس كينيدى ويعيدها إلى دولابها فى حزن بالغ.

فى مطعم الطائرة ومطبخها لم يكن العاملون يشعرون بما حدث وإن ساد إحساس بأن هناك جو غير عادى . أناس تدخل وتخرج ولا تطلب طعام .. همسات ثم صمت أصبح صوت الأطباق التى ينظفها العاملون .. صوت عالى جداً حتى فتيات خدمة تقديم الطعام اعتراهم نوع من الارتباك.

الساعة ١,٢٣ بتوقيت دالاس الموافق ٢,٢٣ بالتوقيت الشرقى أذاعت نشرة أخبار خاصة أن مراسم تلاوة الصلاة الأخيرة على جسد كينيدى قد تليت فى المستشفى المسجى جسده فيه. وفى تمام الساعة ١,٣٥ أعلنت وكالتى يونايتد برس وأسوشيندبرس الخبر الحزين: "الرئيس كينيدى قد مات".

للحظة ساد هدوء غريب مبنى Love field الذى كان من المفترض أن ينتهى إليه مسار كينيدى بعد زيارة دالاس. لا أحد قادر على الكلام ، كما لو كانت قرية اجتاحها إعصار ، لا شئ يتحرك ولا أحد يتحرك ، ثم بدأ هدير الألم المبرح واجتاح المكان فوض لا نهاية لها وانتقلت كل المشاعر التى لفت الناس فى المستشفى إلى المكان. وكما كتب بعد ذلك وليام ما نشتر فى كتاب

وافقت عليه عائلة كينيدى "موت رئيس" كان رجال البوليس عندما أطلق النار يجرون فى بلاهة وبلا هدف وفى كل اتجاه كما كتب مندوب النيوزويك "ماهى الحقيقة في واقعة الاغتيال " إذ أن كل من كان فى موقع المسئولية فى هذه اللحظة كان يعدو فى حالة ذهول وشلل ويبحث عن شخص آخر ليتصرف. إلى هذا الحد كانت الصدمة وكانت المفاجأة التى حلت على الجميع كالصاعقة.

كان أول ما وصل إلى قاعدة Love field هى سيارة الرئيس الليموزين وكانت مازالت مضرجة بدمائه ولسخرية القدر هذه المرة مغطاة بكابوت مضاد للرصاص. وتم توجيهها إلى طائرة نقل ضخمة من طراز C-130 . رجال البوليس السرى فى حالة من الهياج يخفى عجزهم الواضح عن ما لم يحدث وهو حماية الرئيس ويقذفون بكم هائل من السباب يصفون به القاتل الذى استعد لجريمته فى مبنى ديلى بلازا . وبعد أن انتهى الغرض من وجودهم قام رجال بوليس والحرس الوطنى لمدينة دالاس بحراسة كل المداخل لقاعدة Love field ولسان حال رجال البيت الأبيض "بعد إيه!!؟.

وانتشر رجال مسلحون من البوليس السرى فى كل جانب من القاعدة بالداخل كما لو كان القاتل يتجول لاصطياد هدف جديد. بينما الحقيقة المؤكدة الآن ، هو أن على قمة هرم السلطة الآن

رجل آخر : ليندون جونسون الذى أصبح تلقائيا هو رئيس الجمهورية فى نفس لحظة إعلان وفاة كينيدى فى المستشفى التقى البوليس السرى حول جونسون وتم نقله على الفور إلى مكان معزول داخل المستشفى وأحيط المكان بحراسة فائقة الشدة والصرامة . رجال الأمن القومى اتجه تفكيرهم أنه ربما هناك مؤامرة دولية للتخلص من كل شخص فى السلطة ولم يكن من الممكن نقل نائب الرئيس (الذى كانوا يعلمون الآن عن يقين أنه قد أصبح الرئيس المسئول) خارج المستشفى المكان يعض بالصحفيين والمراسلين ومندوبى وكالات الأنباء والأطباء بل حتى التسلسل القيادى لقيادات البوليس السرى ورجال الأمن القومى اضطرب للحظة عند إطلاق النار على كينيدى.

وكان (جيرالد بير) قد نقل سلطاته فى أمر حماية الرئيس فى رحلته إلى دالاس إلى روسى كليبرمان أحد كبار رجال الأمن بدلا منه ، وكان هذا السلوك سلوك غير محترف ، الآن الأخير لم يكن بوسعه أن يسيطر على موقف كالذى وجد نفسه فيه دالاس.

وكان خروج نائب الرئيس خارج نطاق منطقة واشنطون قد جعل العاصمة خالية من الرئيس وممن يمكن أن يملأ مكانه ويتولى سلطاته فى العاصمة وكان الأفضل بالطبع أن يكونا منفصلين كل يشغل موقع الأمر تحسباً لأى طارئ لكن الرحلة إلى ولاية تكساس

كان لها طابع خاص ، فقد كان وجود جونسون كرجل محافظ فـــى معية الرئيس كفيل يحـــل الخـــلاف والتعـــارض فـــى الاتجاهـــات والتصرفات السياسية بيـــن ســـيناتور يـــاربوروه الديموقراطـــى ، ومنافسه حاكم تكساس جون كوناللى المحافظ إلى أقص حد وكـــان هدف كينيدى أن يوحد آراء أهل تكساس الموزعة بيـــن الســـناتور الديموقراطى والحاكم الجمهورى. إلا أن لاثنان لم يولوا جونســـون بالذات أى ثقة. أما كينيدى فقد كان يهدف إلى اكتســـاب جونســـون شعبية مع جمهور تكساس حتى يستطيع أن يقف فى وجـــه بـــارى جولدووتر أو الآراء الرجعية فى الانتخابات القادمة.

عندما أطلق الرصاص على كينيدى ، وجد(جـــيرالد بـــير) نفسه فى موقف صعب. رجال الأمن القومى فى حاجة إلى يد قويـــة تملى الأوامر الواضحة على الكل. رجال الرئيس ورجـــال حمايـــة نائب الرئيس فى موقف لا يحتمل أى تردد فى أية لحظة. كان هـــو اليوم الذى يعمل حسابه أصبح أمن الولايات المتحدة كله فى خطر ، وفى حاجة إلى سلطة مركزية تضمن الأمن للدولة كلها "سواء نائب رئيس أو غيره".

وقد أثار حساسة رجال كينيدى أن الجميع الآن أصبح كـــل تركيزه على جونسون بعد سقوط رئيسهم مضرجاً فى دمائه وكـــان أكثرهم وضوحاً فى تصرفاته إيمورى روبرتس نـــائب كيليرمـــان

الذى هو نفسه نائب المسئول الأمن الأكبر فى واشنطون (جـــيرالد يير).

الساعة ١,٣٣ توقيــــت دالاس شـــهدت القـــاعدة الجويـــة Love field مشهداً غريباً : سيارتان لا يميزهمــــا أى شــعار حكومي أو رسمي تندفع إلى الطائرة الرئاسية. Air force one ويانجيلولد يحمي بصدره جونسون شخصياً المظهر درامـــى. ولـــم يجد طيار كينيدى الذى تم إبلاغه باللاسلكى بشخصية القادم الجديـده ، لم يجد بد من أن يتجه إلى الباب الرئيـــس Air force one والتى مازال يزنها اسم united stales Am erica وليقـــوم بأداء التحية العسكرية لرئيسه الجديد ليندون جونسون الذى أصبـــح القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية. وخـــلال رحلـــة الغـــودة الحزينة كان من المتوقع إنسانيا وجود حساسة شديدة لأى تصـــرف يتم عن عدم فهم أو عن غير قصد من أى مجموعة رجال كينيـــدى المخلصين ، ورجال الوجه الجديد : جونسون إلا أن الأخـــير كـــان فى حالة صدمة وحزن حقيقية ومع ذلـــك فإحساســه بمســئوليات منصبه كان مثارا للإعجاب لأى مراقب محايد وقد كان من النـــادر أن تجد "محايد" فى رحلة العودة. مندوب النيوزويك الذى قدر له أن يستقل Air force one مع جونسون يعلق دون أى تخـــبز لأى من الجانبين.

"كان انتقال السلطة كما مارسه جونسون عاقلاً هادئاً وضبط للأعصاب فلم يكن أحد يدرى المدى الذى كـان يهدفـه الاغتيـال رصاصات لى هارفى اوزوالد لم تكن قد عرف على وجه التحديـد أبعادها. إلا أن جونسون كان واعياً تمامـاً لالتزاماتـه وواجباتـه الجديدة وبرغم الصدمة التى هزت كل من كان فى مدينـة دالاس ، بدا جونسون أكثر شخص مسيطرا على تصرفاته سواء فى المدينـة أو على متن طائرة الرئيس.

كانت أكثر مشاعر يمكن لأى إنسانا أ، يتذكرها على متـن Air force one هى مشاعر : الحزن المريـر. كمـا صـوره مصور البيت الأبيض الذى قدر له أن يشاهد مراسم نقـل السـلطة عن كثب. جونسون واقف فى صرامة وحزن واضح أمام قاضيـة تم استدعائها على عجل ، يده اليمنى مرفوعة ليقسم ويده اليسـرى على الكتاب الذى سيقسم عليه ، محاطاً بامرأة مذهولة هى جـاكلين كينيدى ، وسيده أخرى يلفها صمت بليغ زوجة جونسون ليدى بـيرد وكانت هذه اللحظة بالذات مثار جدل واسع فيما بعـد فقـد بحـث الجميع عن إنجيل ليقسم عليه الرئيـس اعتقـد جونسـون أن مـن الطبيعى أن القاضية قد أحضرت معها الكتاب المقدس لكنها وصلت بسرعة دون تحضر شئ وبعد بحث مضى لم يجد الجميع إلا كتـاب يضم تراتيل القداس وفق الكنسية الكاثوليكية ، إلا أنه فى المظـهر

الخارجى وغلاف الجلد كان شبيه بالإنجيل ولم يكن الموقف يحتمل الانتظار خاصة بالنسبة لجاكلين كينيدى أكثر إنسان فى حالة ذهول ورغبة فى الابتعاد عن الناس جميعا وأقسم جونسون عليه وبقسمه أصبح رئيسا رسميا وسواء كانت يده على الإنجيل أم على كتاب صلوات ، فالإجراء الرسمى قد تم ، وبه اصبح مكلفا بأن يحمل على أكتافه كل مسئوليات أخطر منصب فى الولايات المتحدة ..والعالم.

وكانت جاكلين كينيدى ساعة القسم ، ترتدى نفس الملابس التى تحمل دم زوجها .. دون أناقة ولا Navy blue ولاقفازات بيضاء فقط تحمل لون الدم!

وكان من التصرفات ذات المغزى عندما اقتربت Air force one من مطار العاصمة أن الطائرات جميعا طلبت الانتظار وعمل "Holding" أى الدوران فى الجو دون هبوط كل يلتزم بارتفاعه ... انتظارا لهبوط طائرة الرئيس الأعلى ارتفاعا أولا. كان من الواضح أن الجميع دون استثناء ، ومن كافة الجنسيات يقومون بتحية جون كينيدى كدليل مودة وإحترام حتى وهو مسجى فى جثمان داخل طائرته وفى الجزء الأخير من الطائرة حيث وضع جثمان كينيدى تذكر كينى أودونيل أحد مساعديه رحلته إلى أيرلندا منذ أربعة شهور فقط ، إذ تجمعت

فتيات مدينة شانون وقاموا بتكوين كورس انطلق بغناء جـــزء مـــن ملحمة إيرلندية قديمة ، وكانت تحكى عن فارس وسيم ذهب لكـــــى يقاتل .... ويموت!

الفصل الثامن

فليحيا ..... الزعيم

خلال جولة ليندون جونسون حول العالم سنة ١٩٦١ كنائب للرئيس وأثناء توديعه فى مطار مانيلا فى حضور الرئيس الفليبيين فرد ينادز ماركوس ، هرع مساعده الصحفى جورج زيدى إلى سلم الطائرة التى كان على قمتها نائب الرئيس يلوح لمودعيه مبتسما ، وأخذ وضع لائق للمصورين لالتقاط صوره ، لكن لدهشته همس النائب له لكن بصوت مسموع "إلى أين أنت ذاهب" "إلى داخل الطائرة يا سيادة النائب!"

واستمر جونسون يلوح لمودعيه مبتسما ابتسامة عريضة لم تمنعه من أن يواصل أوامره لجورج الذى بدأ يصعد السلم."الأمور ليست بهذه البساطة يا جورج ... هذه طائرة النائب ، مكانك هناك فى الطائرة الأخرى مع الصحفيين ..."

"لكن يا سيادة النائب حقائبى وملابسى على متن الطائرة أعلى" "قلت لك يجب أن تهز إليتك السمينة وترينى عرض قفاك وتسرع إلى طائرة الصحافة .. الآن !" واتسعت ابتسامة جونسون وهو مازال يلوح لمودعيه وعلى رأسهم رئيس الفيليبين ثم أضاف

لجورج المذهول من هذا التصرف. "إذا واصلت صعود السلم أقسم أن أقذف بك من أعلى السم..."

هكذا كان جونسون ... عصبى أحيانا .. مندفع فى مواقف ما ، يهوى إحراج العاملين معه ... خاصة علنا! شخصية مختلفة عن كينيدى المتحضر البشوش البسيط . لكن عفويته هذه أخفت عدم سوء نيه ، سلامة الطوية ، إذ كان دائما يقوم "بالصلح" مع الشخص الذى جرحه .... خاصة إذا كان الجرح شديد كانت تغلب عليه صفات الفلاح.

وفى أحدث جولاته الأسيوية ، وكان كينيدى دائما يكلفه بسفريات كثيرة كسفير نوايا طيه يمثل رغبة الولايات المتحدة فى علاقات ودية مع دول كثيرة كان يعتبرها حليفه ، فى إحدى جولاته استطاع مندوب الأسوشييتد برس أن يلتقط خبر مفاده أن أمريكا قد خصصت ٢٧ مليون دولا مساعده لرئيس فيتنام الجنوبية نيجو دين دييم استشاط جونسون غضبا واستدعى السفير الأمريكى كارل رووان "كارل ، البنطلون الذى ارتديه الآن أمامك هل هو مصنوع من زجاج أو قماش شفاف !"

"أبدا يا سيادة النائب ... بنطلون عادى" "طالما أنه عادى إذن كيف لمندوب الأسوشييتد برس أن يرى مبلغ ٢٧مليون دولار فى جيوبى ذاهب لتسليمها لرئيس فيتنام !

لكنه لم يكن عنيفا مع الصحفيين بنفس الطريقة التـــى كـــان يعامل بها رجال البيت الأبيض عفوى نعم ، لكنه مهتور لا. هكـــذا كان جونسون ...!

وهكذا كانت مواقفه تجاه مـــن يعتقـــد أنـــهم لا يحترمونـــه الاحترام الكافى حتى ولو داخليا عندما لقى هامرشولد مصرعه فـــى أفريقيا ، كلف كينيدى نائبه للتوجه بـــ Air force two طائرة نائب رئيس الجمهورية لحضور مراســـم تشـــييع ســـكرتير الأمـــم المتحدة في بلده قريبة من ستوكهلولم إى أن كينيدى وجد أنـــه مـــن الأوفق أن يصحبه على نفس الطـــائرة أدلاى ستيفنســـون وســـفيرة السويد فى أمريكا ، وبالتالى كان علـــى الطـــائرة أن تطـــير مـــن واشنطون إلى نيويورك وتتوقف لإلتقـــاط ستيفنســـون والســـفيرة. جونسون لم يعجبه هذا الكلام "هم يريدون السفر معى فى "طائرتى" حسنا هم يحضرون حيث أكون أنا".

وبالفعل تمت مخاطبة ستيفنسون الـــذى لـــم يكـــن يبـــادل جونسون أي ود كسياس مخضرم ومحترم ، والسفيرة ، وسافرا إلى وشنطون لكى يصطحبهم جونسون فى "طائرته"

ثم حدث أنه عند وصولها إلى نيويورك إلى المطار الـــذى ستقلع منه Air forceالمخصصة لنـــائب الرئيـــس ، أن صعـــدا كلاهما إلى متن الطائرة وتوجها إلى الجناح الخاص بالنائب انتظـــرا

له. ما أن وصل جونسون وعلم بأيهما "يحتلان" جناحه الخاص ، حتى استشاط غضبا وطلب من قائد طائرته أن يبلغهما بضرورة النزول من الطائرة ، حتى يصعد هو أولا ، ثم يعودا ثانية. الطلب غير معقول ، وغير دبلوماسي وكان موقف محرج للغاية إى أن الكابتن البرتازى الذى كان مسئول عن هذه الرحلة تصرف بأكبر قدر من التعقل ، إذ طلب من الضيفين الانتقال إلى جانب آخر من الطائرة ، لمكالمة خاصة سترد للسيد نائب رئيس الجمهورية ، وهى تتسم بالسرية ، فقام الضيفان بإخلاء المكان على مضض.

والغريب أن جونسون بعد أن صعد إلى الطائرة وتوجه إلى جناحه ، أن طلب من الوصيف دعوة أدلاى ستيفنسون وسفيرة السويد إلى جناحه الخاص للترحيب بهما. سلوكه كان غريب لمن لم يفهمه فهو يحب دائما أن يشعر أنه المسئول الأول ، وأن هذه هى طائرته ، وأن هذا هو صالونه ، ولا يجب أن يتصرف أحد فيما يخصه دون رجوعه إليه شخصيا ! وفى بقية الرحلة كان جونسون كريما مع ضيفيه بل لقد تطوع بترك سريره العريض الخاص حتى تجد السفيرة راحتها أثناء هذه الرحلة الطويلة.

وعند الاقتراب من ستوكهولم ، من المعروف وفق القواعد المنظمة لاستقبال كبار الضيوف أن هنالك وقت محدد بالدقيقة لفتح باب الطائرة ، خاصة أن القادم ممثل لرئيس الولايات المتحدة لكن

جونسون الذى كان يحب أن يأخذ حقه من النوم كان قد أستيقظ منـذ ٣٠ دقيقة فقط ، وهى غير كافية لأن يرتدى كامل ملابســـه التـــى يجب أن تكون أنيقة ومهندمة لكى تليــق بوضعــه كمثــل لرئيــس جمهورية فطلب من البرتازى أن "يدور حول المطار إلـــى أن يتـم لاغتسال وارتداء كامل ملابسه" اندهش برج مطــار اســتهوكهولهم عندما طلب البرتازى "الدخول فى دائرة الانتظار لحيــن تعليمــات أخرى" أجاب ضابط المراقبة بالبرج "لكنك يا سيدى رقم (١) فـــى ترتيب الهبوط وموعد فتح الباب معلوم لدى رئيس الســويد وكبــار المستقبلين " اعتذر البرتازى وطلب من البرج إبلاغ المسئول عـــن إعداد إجراءات الاستقبال ان "يقبل اعتذاره لهذا التأخير ، لأن نـائب الرئيس كان مشغولا بأمر دولى هام".

وأخيرا هبط جونسون من سلم الطائرة فى كامل أناقته ،وقـد أمسك قبعته الأكثر أناقة فى يده سائلا البرتازى "هل المفــروض أن أرتدى هذه القبعة اللعينة ..... أم أمسك بها" لـــم يكــن البرتـــازى خبيرا فى قواعد الدبلوماسية ، لكنه لمح معظـــم المســتقبلين دون قبعات أو غطاء رأسى ، فقال لنائب الرئيس "سيدى ... يكفـــى أن تمسك بالقبعة فى يدك" غلب طابع الفلاح التلقائى على سلوك ليندون جونسون لكن كان الأمر يستدعى بعض الوقت لكى يفهم المحيطيــن به طبيعة سلوكه.

وكان من مزاياه ، برغم طاقته وصحته الجيدة كرجل ، أن كان يجب زوجته ، ويحترمها ، بل يفخر بوجودها إلى جانبه لكن هذا لم يمنع من إعجابه بسيدات جميلات أصغر سنا يجب أن يحطنه من كل جانب وكانت ليدى بيرد زوجته تلاحظ ذلك ، وتبتسم ، وتداعبه بألفاظ تدل أنها تفهم "حركاته" بل لقد كانت تدعو بنفسها جميلات وشنطون كلى يجلسن بالقرب منه في المآدب الرسمية. وإحدى هذه الجميلات كانت مندوبة تليفزيون NBC نانسى هانشمان "كنت أحب فعلا الاقتراب منه والحديث معه ، وحتى الانفراد به لكن لم أفكر فى الجنس ، ولا هو. كان فعلا إعجابا بشخص يمتلك كل ذلك النفوذ ، فللنفوذ جاذبيه طاغية إذا امتلكها أى رجل! وكان جونسون إلى جانب ذلك خفيف الظل ، يمتلك شخصية ساحرة عندما يكون فى حالة نفسية طيبة.

فى إحدى زياراته إلى كانساس ، كانت على متن الطائرة امرأة تتميز بجمال واضح وهى إحدى سكرتيرات البيت الأبيض ميرى مارجريت وايلى. طرأت ظروف أدت إلى إلغاء حفل حزبى كان من المفروض أن يحضره. الخطوة الطبيعية كانت العودة إلى واشنطون لأن الغرض من الرحلة إلى كانساس إنتفى ، لكن جونسون قرر فجأة أنه من الأفضل التوجه إلى عزبته فى تكساس بدلا من واشنطون ثقيلة الظل وساستها الأثقل ظل فما أن اقتربت

الطائرة من نقطة الإقلاع على الممر الأرضى بمطـــار كانســـاس ، حتى أرسل رسالة عبر أحد مساعديه إلى الطيار البرتـــازى ، بـــأن "وجهتنا الآن هى هيوستون تكساس ! هكذا يطلب نـــائب الرئيـــس وذهب الجميع إلى عزبته فى تلك الولاية ذات الطبيعـــة الخاصـــة واستمتع جونسون بصحبة السكرتيرة الجميلـــة كـأحدى ضيوفـــه والطبيعى بعد هذه الإجازة القصيرة فى عزبته هـــو العـــودة إلـــى العاصمة لكن مرة أخرى طرأت للسيد النائب "فكـــرة أن الأفضـــل التوجه إلى مدينة نيويورك لكى يشاهد مع سكرتيره البيت الأبيـــض الأثيرة لديه مسرحية أرترميللر "موت بائع متجول" الصعوبة كـــانت أن زيارة رئيس الدولة أو نائبه إلى مدينة نيويورك بـــالذات كـــانت يستدعى ضرورة الاستعداد الإجراءات أمن معينه لابد من اتخاذهـــا أولا تأمين مسار موكب الشخصية الهامة وتأمين الكبارى وتعديـــل المرور فى بعض الطرق الرئيسية ، وما يتبعـــه مـــن جـــهد إدارة المرور وتامين هليوكوبتر للحراسة الاحتياطية. فى نيويورك تقيـــم ٤٠جنسية. بعض أهلها لا يحبون الرئيس ولا نائبـــه ، وكـــل شـــئ وارد.

وتوجه جونسون الذى يعلم كل ذلك ، إلى نيويورك موعـــد نهاية المسرحية التى سافر إلى هذه المدينة الشرسة ، لكى يشـــاهدها هو العاشرة. لكن البرتازى انتظر فى مطار نيويـــروك وباســـتمرار

ينظر إلى ساعته "الحادية عشره .... الثانية عشره ...." ولا حس ولا خبر وأخيرا جاء مساعديه كلي يبلغ كبير طيارى هذه الرحلة أن نائب الرئيس "قرر المبيت فى نيويورك ... وأنه سيسافر إلى واشنطون فى التاسعة صباح اليوم التالى !!

وبالتالى تم إخطار أطقم الحراسة فى شوارع المدينة وعلى الكبارى وفى المواقع التى كان تم تأمينها ... فى الصباح.وتم إعداد الطائرة للإقلاع قبل التاسعة بوقت كافى .... التاسعة. العاشرة .... الثانية عشرة ، ولم يظهر ليندون جونسون ..... بسؤال البرتازى لمسئول الانتقالات الرئاسية ، أبلغوه أن النائب " بيقص شعره " ثم ذهب ليتناول الغذاء .... عاد .... للراحة وأخيرا .... أخيرا فى الخامسة بعد الظهر ظهرت الليموزين الفاخرة وداخلها جونسون وسكرتيرته المفضلة ... وصعد سلم الطائرة مهرولا "هيا يا فتيان نريد الوصول إلى واشنطون بأسرع ما يمكن لدى اجتماع هام يجب اللحاق به ... الهمة يا رجال الهمة!

وهكذا كانت هذه التصرفات ... العفوية ... الغير رسمية ... المخالفة لقواعد السلوك المفترض لمن يشغل هذا المنصب ... سمة من سمات جونسون.

كانت Air force one قد مضت فى الخدمة الرئاسية سبع سنين عندما تولى نيكسون سلطات رئيس الجمهورية فى

احتفال تولى منصبه فى يناير سنة ١٩٦٩ وكانت الطائرة بالتالى قد واصلت الطيران والخدمة فى كافة أرجاء الدنيا أكثر من أى من سابقاتها. لكنت مع ذلك ، وبرغم كم السفريات الهائلة التى قطعها ، كانت الطائرة فى حالة ممتازة . يرجع الفضل فى ذلك إلى مهندسى قاعدة أندروز والفنيين بالـ Special Air Missions وهم من خيرة الفنيين فى هندسة الطيران إذ ظلت بفضل هذا الطاقم المختار بعناية من مهندسين وفنيين " افضل طائرة بوينج تقنيا وملاحيا وسلامة أجهزة وبنيان إذا قارناها بأى طائرة بوينج أخرى على مستوى العالم كله.

إلا أن هذا لم يمنع من ضرورة إجراء عملية شاملة وفق تعليمات القوات الجوية للطائرة كلها. وتكلفت العملية عدة ملايين ... وقت طويل لإتمامها. وقد خصص نيكسون كبير مساعديه هولدمان لتولى مهمة متابعة هذا الأمر وكان من الطبيعى أن يعدا تشكيل صالون الطائرة وأجزائها الداخلية بمهندس ديكور مكلف بتصميم ما يرضى "ذوق ، ورغبات" الرئيس الجديد. العمره تكلفت ٥ مليون دولار ، وهو رقم كبير أعاده تصميم وتنفيذ الديكورات تكلفت وحدها ٨٠٠ ألف دولار إلا أن تصميم أرضية الطائرة وفرشها ومقاعدها كان قد بلغ حد الكمال أن لم يتم تغييره حتى الآن والممر الجانبى الداخلى تغير وضعه بحيث يكون أقص يسار

الطائرة (صالون الطائرة أو جسمها الداخلى) مما يسمح لمــن يمــر من العاملين أو الطقم الطائرة المرور دون إزعاج جنـــاح الرئاســـة المفصول فصلا تاما تقريبا عن بقية الطائرة ، والمخصص بـــالطبع لاستخدام رئيس الجمهورية وعائلته فقط ، وكنـــوع مــن ضمـــان الخصوصية كما تم نقل أماكن رجال البوليس السرى إلـــى مكـــان أقرب ما يكون من الرئيس ، وتصميم لوحة جانبيـــه دخــل جنـــاح الرئيس ، تضمن سرعة الاتصال وتبادل أن معلومات لها قدر معين من الأهمية .... بين الرئيس وقائد البوليس السرى.

فضل نيكسون أن يكون مقعده داخل جناحه أقــص اليميــن وفى مكان يمكنه من رؤية ومواجهة أى شـــخص داخــل الجنـــاح الخاص. ومقعد آخر استثنائى واجد فقط مواجه لمقعـــده خصــص لزوجته ، وكان يستخدمه أحيانا وزير خارجيته الأشـــهر : هــنرى كيسنجر. وكانت صحيفة الـــ Time قد صورت نيكسون وهـــو يمارس عمله داخل طائرة الرئاسة. إلا أن الصورة من وجه نظـــر هولدمان كبير موظفى البيت الأبيض ، لم تعجبـــه ، فـــاتصل بعـــد التشاور مع الرئيس وطلب من مهندسى الديكور وضع شعار الدولـــة فى حفر خشبى بنى داكن خلف مقعد الرئيس ، لكى تكون الصـــورة أكثر تعبيرا عن شخصية الجالس أمامها .. النسر القوى!

خاتمة

لكن ماذا سيكون مستقبل الـــ Air force one أى شكل ستكون فى السنوات القادمة حتى عام ١٩٧٩ (وقت صدور الكتـــاب المترجم) ... كانت قد تحولت إلى طــــــراز بوينـــج ٧٤٧ ، أكـــبر طرازات البوينج حجما وسعة وإمكانيات وفخامة ومـــــدى. أربعــة محركات ضخمة وهيكل يتسع لـــ ٢٥٠ راكب مائتـــان وخمســون راكب إلى جانب طاقمها الذى لا يقل عاده عـــن ٩ مـــن طيـــارين ومساعدى طيارين ومهندسين.

إمكانياتها فى أجهزة الاتصال وأحدث نظم الملاحة الجويـــة لكافة الأجواء الجوية واتساع حجمها ومداها وسعة خزانات الوقـــود يمكن دون أن يكون ذلك إذاعة لسر عسكرى ، أن تعمـــل كغرفـــة عمليات كاملة وطائرة فى أية حرب نووية مفاجئة ، طالما أن القـــائد الأعلى للقوات المسلحة وطاقمه العسكرى على متنها تديد معـــــارك "يوم القيام" فى العرف العسكرى Dooms Day أى عنـــد أى هجوم مفاجئ على أمريكا غرفة قيادة العمليات العسكرية الطارئـــة صممت فى المقدمة ، حيث باستطاعة الرئيس العمل أو الاســـترخاء أو النوم. تضم عدة مكاتب وأسرة تكفى لـــهذا الغـــرض إذا دعـــت الحاجة إليه. وهو قسم يجمع بيـــن متطلبـــات العمليـــات ووســـائل

الرفاهية والراحة. وبالطبع هناك أمـــاكن لرجـــال الأمـــن القومـــى وخدمات المخابرات يقع خلف هذه الغرفة الفريـــدة فـــى إمكانيـــات الاتصالات والخرائط ، حجرة تصلح لعقـــد المؤتمـــرات عســكرية ومدنية. أن دخول هذا الطراز من الطائرات لخدمة رحلات الرئاسة قد غير من نوعية الرحلة وإمكانياتها. لكـــن هـــذه الإمكانيـــات لا تتجاوز تاريخ نشر هذا الكتاب فى يونيو سنة ١٩٧٩.

<u>**المترجم**</u> : حتى سنة ٢٠٠٠ بالطبع سيكون معدل التطور أســـرع ، ومدى التحديث أكبر ، والإمكانيات المتاحة تقنيا وعلميا وعســـكريا قد تصل إلى مدى من الصعب تخيل مداه.

إذ أن إمكانيات الكومبيوتر من ســـنة ١٩٧٩ حتـــى ســـنة ٢٠٠٠ قد تجاوزت كل ما كان متوقع فى السابق.

(بقى أن نأمل جميعا أن يكون ما تحقق هو من أجل خـــير وسلامة البشرية ، وليس لأى أغراض أخرى عانى منـــها الشـــرق الأوسط بالذات. ومازال يعانى ......!)

المترجم

المترجم

- درس الأدب الإنجليزى فى قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة وتخرج عام ١٩٥٩م وعاصر بالتالى جيل أساتذة تركوا بصمة على حياة مصر الثقافية والفكرية: د. رشاد رشدى وفاطمة موسى وشوقى السكرى وعز الدين فريد.
- كما درس علم النفس بآداب عين شمس على يد رائده فى مصر د. مصطفى زيور ونخبة مميزة من أساتذة هذا العلم وحصل على ليسانس علم النفس عام ١٩٧٦م.
- التحق بالهيئة المصرية العامة للطيران المدنى ، وتدرج فى مناصبها حتى شغل موقع مدير عام الشئون الدولية بمطار القاهرة الدولى.
- عن طريق الهيئة العامة للطيران المدنى والمعونة الأمريكية درس المراقبة الجوية بدورات متقدمة بالولايات المتحدة فى دورة استمرت ٩ شهور شملت ولايات نيويورك وكليفلاند وكاليفورنيا وأوكلاهما وأوريجون وواشنطن مما أتاح له فرصة الاحتكاك بأنماط مختلفة من الأمريكيين.
- درس الرادار والملاحة الجوية بتوسع فى نفس الدورة مما جعل موضوع الكتاب المترجم أقرب إلى مجال تخصصه.

- نأمل أن يلبى هذا الكتاب ، وهو الأول من نوعه فـــى المكتبـــة العربية ، ما هدفنا إليه من عرض موضوع جديد وطريف فـــى آن واحد.

والله الموفق ،،

منير فوزى

«قصة هذا البيت الأبيض»

«الطائرة»

هذه قصة طائرة خاصة جدا لشخصية مميزة وهو رئيس الولايات المتحده الأمريكية.

وهذا الكتاب ـ عزيزي القارئ ـ جديد على المكتبة العربية فى موضوعة و مجاله !

أقلعت أولى طائرات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٤٤ ومنذ ذلك التاريخ، لم يتناول أي من مطبوعات العالم العربي ما دار ـ أو مازال يدور ـ على متن هذه المركبة الفريدة من نوعها.. في تصميمها وتأثيثها وتجهيزها وما تم عليها من قرارات إمتد تأثيرها ليشمل العالم كله.

وتلقب طائرة رئيس الولايات المتحدة بـ Air Force One، فهي الطائرة الأول من حيث الأهمية والامكانيات.

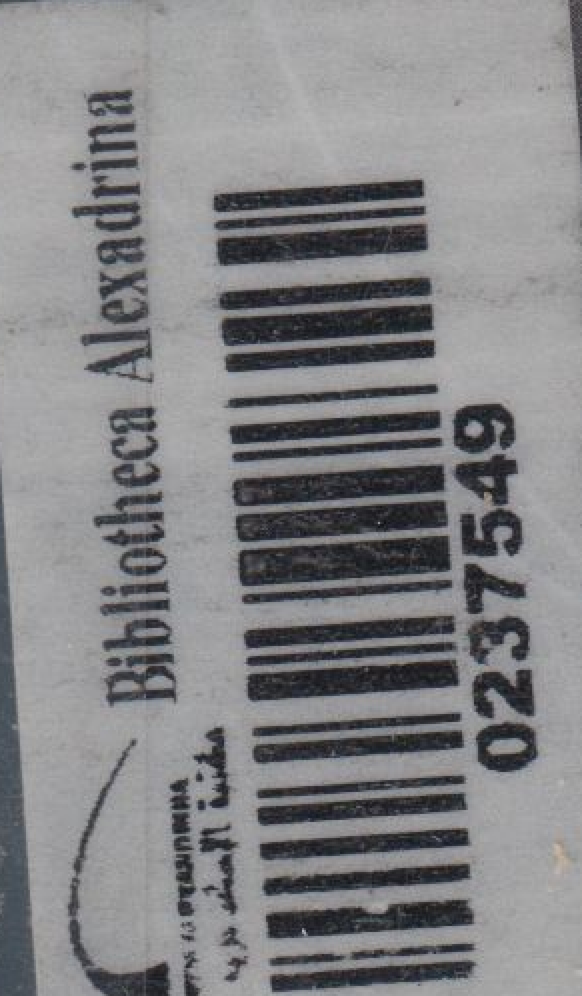
الكثير من الدول تستطيع أن تشتري ما يماثلها كطائرة من حيث الطراز أو الشكل، لكن طائرة سلاح الجو الأمريكي رقم واحد هي الوحيدة التي تتمتع بامكانيات طيران واقلاع وهبوط وأجهزة تقنية وأجهزة إتصالات ونظم حماية لا تستطيع طائرة أخرى ان تقترب من مستواها.

ماذا كان سلوك نيكسون عندما تنازل عن رئاسة الولايات المتحدة؟! ما هي تفاصيل رحلة جون كيندي الأخيرة، حين أقلع رجل مليئاً بالحيوية و في يده اليمنى شفرة الحرب النووية، ليعود على متن نفس الطائرة كائناً مسجى في صندوق بمؤخرة الطائرة.

ماذا كان سلوك جونسون بعد ذلك ؟!

هذه مجرد أمثلة تضمنها هذا الكتاب الممتع والمثير والجديد.

الناشر



هلا للنشر والتوزيع